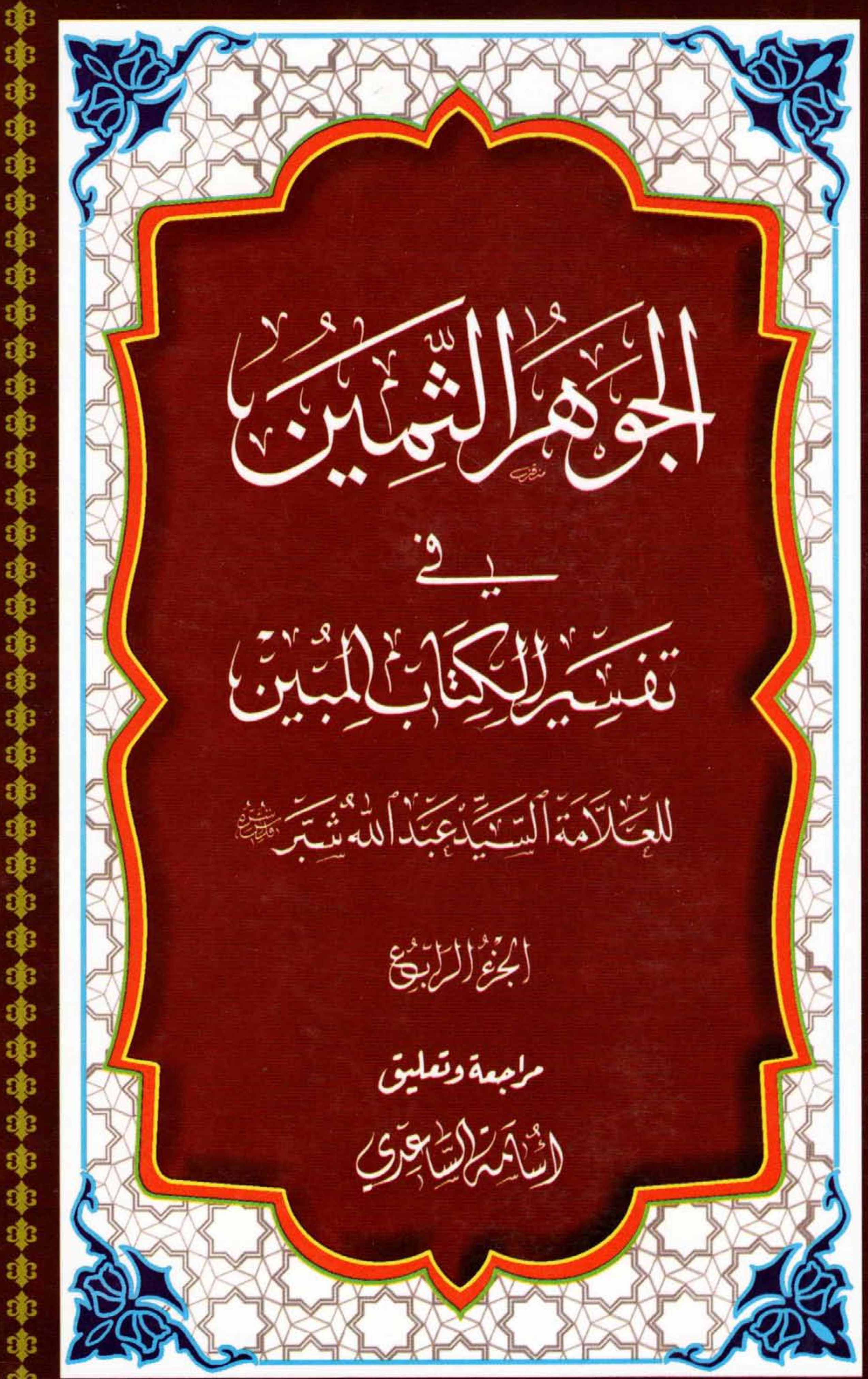
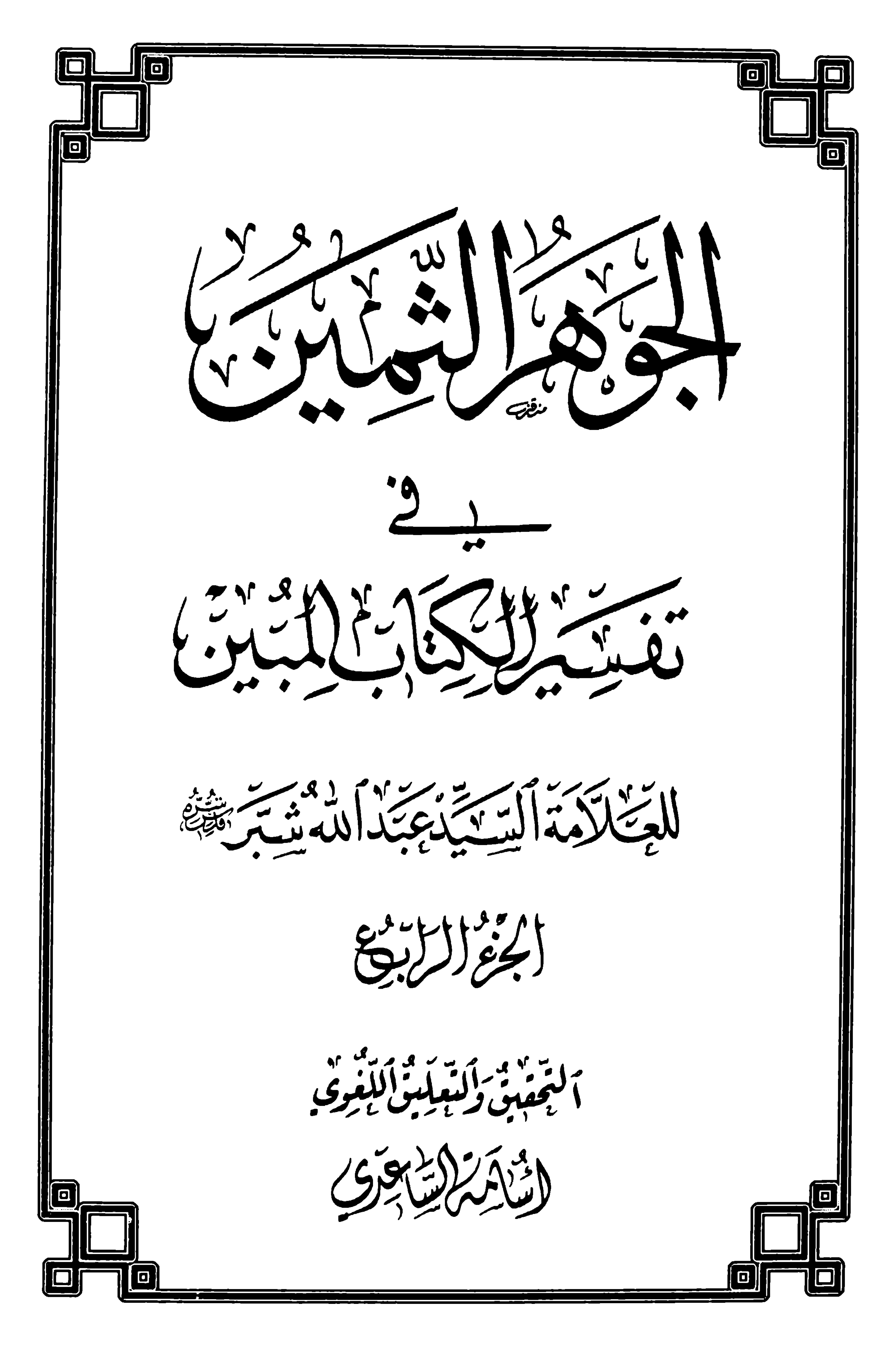
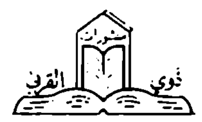

الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره
الجزء الرابع
مراجعة وتعليق
أسامة الساعدي


الجوهر الثمين قدس سره
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره
الجزء الرابع
التحقيق والتعليق اللغوي
أسامة الساعدي

شبر ، عبدلله ، ۱۷۷۴ ـ ۱۸۳۶ م .
الجوهر الثمین فی تفسیر الکتاب المبین / لعبدلله شبر؛التحقیق والتعلیق اللغوی اسامه الساعدی.
قم: ذوی‌القربی، ۱۳۸۸.
۲۱۶۰ ص .
دوره ۶ جلدی ISBN:978 - 964 - 518 - 318 - 7
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتاب حاضر تفسیر وسیط از تفاسیر سه‌گانه مولف می‌باشد
موضوع: تفاسیر شیعه – قرن ۱۳ ق،
رده بندی کنگره: ۹ ج ۲ ش / ۹۷ BP
رده بندی دیویی: ۱۷۲۶ ـ ۲۹۷



▣ اسم الکتاب : الجوهر الثمین فی تفسیر الکتاب المبین ج ۴

▣ المؤلف : السید عبدالله الشبر

▣ الناشر : ذوي‌القربی

▣ الطبعة : الأولیٰ

▣ تاریخ الطبع : ۱۴۳۱ هـ ق

▣ الکمیة : ۱۰۰۰

▣ المطبعة : سلیمانزاده

▣ شابك دوره : ۷ ـ ۳۱۸ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▣ شابك (ج ۴) : ۰ ـ ۳۶۲ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▣ مرکز التوزیع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاول ـ رقم ۵۹ ـ تلیفون: ۷۷۴۴۶۶۳ـ۲۵۱ـ۹۸+

سورة الإسراء

مائة وعشر آيات، مكية.

وقيل: الا (وإن كادوا ليفتنونك) الآيات الثمان.

[الآيات ١ -٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ سُبْحانَ﴾ مصدر كـ(غفران) أو إسم للتسبيح أي: التنزيه نصب بإضمار فعله، أتي به تنزيهاً له تعالى عمّا لا يليق به﴿ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِه﴾ محمد(ص)﴿ لَيْلاً﴾ ظرف للاسراء وهو: سير الليل كالسرى، وفائدة ذكره التنبيه بتنكيره على تقليل مدّة الإسراء﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ أو من مكة إذ روي أن الحرم كله مسجد ـ وعليه الأكثر ـ قالوا: كان (ص) نائماً في بيت أم هاني فأسري به ورجع من ليلته وقصّ القصة عليها، وقال: مُثّلَ لي النبيون فصليت بهم، ثم خرج إلى المسجد فأخبر به قريشاً فتعجبوا منه وكذّبوه وارتد بعض من آمن به فاستوصفه جماعة سافروا إلى بيت المقدس، فخيّل له فجعل يلحظه ويصفه لهم فقالوا: أما الوصف فقد أصاب فيه، فسألوه عن عِيرهم فأخبرهم بأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، فخرجوا إلى الثنيّة[1]، فصادفوها كما أخبر ولم يؤمنوا، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة. والأكثر على أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى. وقيل: أسري بروحه في المنام، وهو باطل﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ بيت المقدس سمي به لبُعد ما بينهما﴿ الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ﴾ في الدين والدنيا بجعله مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة، وحفّه بالأشجار والأنهار. وفيه إلتفات من الغيبة﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾ العجيبة كبلوغه بيت المقدس وما رأى فيه، وعروجه إلى السماء وما شاهد هناك، ورجوعه في بعض ليلة﴿ إِنَّهُ هُوَالسَّمِيعُ﴾ لأقوال رسوله

---

(١)الثنية ـ هنا ـ الطريق في الجبل.

﴿ الْبَصِيرُ﴾ بأفعاله فأكرمه بهذه الكرامة ﴿ وآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة﴿ وجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا﴾ (أن) مفسرة، أو زائدة والقول مضمر، وقرأ أبوعمر وبالياء، أي: لئلا يتخذوا ﴿ مِنْ دُونِي وكِيلاً﴾ تكلون إليه أمركم﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ من بنيه الثلاثة، إذ الناس كلهم ذريتهم، وهو منادى على قراءة التاء، ومنصوب على الإختصاص على قراءة الياء، أو على أنه أحد مفعولي (لا تتخذوا) على القراءتين﴿ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ كثير الشكر حامداً في كل حال. عن الباقر (ع): في سبب تسميته بذلك: أنه كان إذا أصبح قال: «أصبحت أشهدك ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فإنها منك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد على ذلك ولك الشكر كثير يقولها ثلاثاً إذا أصبح وثلاثاً إذا أمسى﴿ وقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أوحينا إليهم وحياً مقضياً مثبوتاً ﴿ فِي الْكِتابِ﴾ التوراة﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ﴾ جواب قسم محذوف﴿ مَرَّتَيْنِ﴾ أولهما قتل شعيباً وثانيتهما قتل زكريا ويحيى ﴿ ولَتَعْلُنَّ عُلُوا كَبِيراً﴾ لتعتنّ عتوا عظيماً﴿ فَإِذا جاءَ وعْدُ أُولاهُما﴾ وعد عقاب أولى المرتين﴿ بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا﴾ بخت نصّر وجالوت، أي: خليناهم وإياكم. وعن علي (ع): قرأ عبيداً لنا﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ذوي قوة وبطش وحرب شديد ﴿ فَجاسُوا﴾ ترددوا يطلبونكم﴿ خِلالَ الدِّيارِ﴾ وسطها فقتلوا كباركم وسبوا صغاركم، وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد﴿ وكانَ وعْداً﴾ عقابهم﴿ مَفْعُولاً﴾ كائناً لا خلف فيه﴿ ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدّولة والغلبة ﴿ عَلَيْهِمْ﴾ على الذين بعثوا عليكم، بتسخير بعض ملوك الفرس لكم فردكم إلى الشام واستولى على أتباع بخت نصّر، أو بتسليط داود على جالوت فقتله﴿ وأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ وجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ عدداً، أي: من ينفر معهم﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها﴾ العقوبة، و وبالها عليها. وعن علي (ع): ما أحسنت إلى أحد

ولا أسأت إليه وتلا الآية، وذكر بـ(اللام)للإزدواج وعن الرضا (ع): وإن أسأتم فلها رب يغفر لها﴿ فَإِذا جاءَ وعْدُ الآخِرَةِ﴾ وعد عقاب المرّة الآخرة﴿ لِيَسُوءُا وجُوهَكُمْ﴾ أي: بعثناهم ليجعلوا وجوهكم ظاهرة فيها آثار المساءة، وقرأ أبوبكر وابن عامر وحمزة (ليسوء) موحداً وفاعله الوعد أو البعث أو الله ويؤيده قراءة الكسائي بالنون ﴿ ولِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخرّبوه﴿ كَما دَخَلُوهُ أولَ مَرَّةٍ ولِيُتَبِّرُوا﴾ ليهلكو ﴿ ما عَلَوا﴾ ما غلبوا عليه، أو مدّة علوهم ﴿ تَتْبِيراً﴾ وذلك بعد أن قتلوا يحيى وبقي دمه يغلي فسلّط الله عليهم الفرس فقتلوا منهم ألوفاً وسبوا ذراريهم وخرّبوا بيت المقدس.

[سورة الإسراء الآيات ٨ - ١٧]

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ

ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾

﴿ عَسى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الثانية إن تبتم﴿ وإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد﴿ عُدْنا﴾ إلى عقوبتكم، وقد عادوا بتكذيب محمد (ص) فسلّط عليهم بقتلى قريظة وإجلاء النضير وضرب الجزية عليهم﴿ وجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾ سجناً ومحبساً وعن الصادق (ع): أنه فسّر الإفساد مرتين: بقتل علي (ع) وطعن الحسن (ع) والعلو الكبير بقتل الحسين، والعباد أولي بأس بقوم يبعثهم الله قبل خروج القائم (ع) فلا يدعون وتراً لآل محمد (ص) إلا قتلوا، و وعد الله بخروج القائم (ع) وردّ الكرّة عليهم بخروج الحسين (ع) في سبعين من أصحابه﴿ إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ للطريقة التي﴿ هِيَ أَقْوَمُ﴾ الطرق وأشدّ استقامة عن الصادق (ع): أي: يدعو. وعنه (ع): يهدي إلى الإمام (ع) وعن الباقر (ع): يهدي إلى الولاية ﴿ ويُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ أجْراً كَبِيراً﴾ وخفف حمزة والكسائي (يبشر)﴿ وأنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ عطف على (أن لهم) أي: يبشرهم بثوابهم وعقاب أعدائهم، أو على (يبشر) بتقدير: يخبر﴿ أعْتَدْنا﴾ هيّأنا﴿ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً ويَدْعُ الإِنْسانُ بِالشَّرِّ﴾

على نفسه وأهله ضجراً﴿ دُعاءَهُ﴾ كدعائه له﴿ بِالْخَيْرِ وكانَ الإِنْسانُ عَجُولاً﴾ بالدعاء بالشرّ لم ينظر عاقبة. عن الصادق (ع): إعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعوالله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك، ثم تلا الآية. وعنه (ع): لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وثب ليقوم قبل أن يستتم خلقه، فسقط، فقال الله: وكان الإنسان عجولاً﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيتَيْنِ﴾ دالّتين على قدرتنا وعلمنا﴿ فَمَحَونا آيةَ اللَّيْلِ﴾ أي: طمسنا نورها بالظلام﴿ وجَعَلْنا آية النَّهارِ﴾ الآية التي هي النهار﴿ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة أو مبصراً فيها. سئل علي (ع): عن المحو في القمر؟ فقال: أما سمعت الله يقول: (فَمَحَونا...) إلخ. وفي النبوي: أمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداً ولو أن القمر ترك على حاله لم يمح لما عرف الليل من النهار... الخبر. وعن الصادق (ع): لما خلق الله القمر كتب عليه (لا إله الا الله محمد رسول الله (ص) علي أمير المؤمنين (ع)) وهوالسّواد الذي ترونه. ﴿ لِتَبْتَغُوا﴾ في النهار﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتصرف في وجوه معاشكم﴿ ولِتَعْلَمُوا﴾ بهما﴿ عَدَدَ السِّنينَ والْحِسابَ﴾ للأوقات﴿ وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً وكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ﴾ عمله وما قدر له، كأنه طيّر له من عش الغيب و وكر القدر﴿ فِي عُنُقِهِ﴾ لزوم الطوق في عنقه. عنهما (ع): قدره الذي قدر عليه. وعن الباقر (ع) خيره وشرّه معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل. ﴿ ونُخْرِجُ لَهُ يَومَ الْقِيامَةِ كِتاباً﴾ مكتوباً، هوصحيفة عمله﴿ يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾ لكشف الغطاء﴿ اقْرَأْ كِتابَكَ﴾ بتقدير: القول﴿ كَفى بِنَفْسِكَ الْيومَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ محاسباً. عن الصادق (ع): يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا: (يا ويلتنا

ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها)[1] ﴿ مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾ لا يعود نفع اهتدائه وضرر ضلالته إلاّ إليه ﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ﴾ لا تحمل نفس حاملة﴿ وِزْرَ﴾ حمل نفس ﴿ أُخْرى﴾ بل إنما تحمل وزرها﴿ وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ يبيّن الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة. وسئل الصادق (ع): هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: لا، قيل: فهل كلفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان (لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها)[2]، و(لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها)[3] ﴿ وإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي: أهلها بعد قيام الحجة عليهم، أو إذا أردنا وقت أهلاكهم كقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله، فإرادة إهلاكهم مجاز عن دنوه﴿ أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ منعميها أي: رؤساءها بالطاعة، أمراً بعد أمر على لسان رسول بعثناه إليهم توكيداً للحجة عليهم. وخص المترفون لأن غيرهم تَبَع لهم، ولأنهم أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور ﴿ فَفَسَقُوا فِيها﴾ فتمادوا في العصيان والخروج عن الطاعة﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ الوعيد بانهماكهم في المعاصي﴿ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾ أهلكنا أهلها وخربناها. والقمي: كثرنا جبابرتها. وعن الباقر (ع): (أمّرنا) مشددة ميمه. وعنه (ع): أمرنا أكابرها. وعنه (ع): انه قرأ (آمرنا) على وزن (عامرنا) أي: كثّرنا﴿ وكَمْ﴾ وكثيراً ﴿ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بيان لـ(كم)﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وغيرهم﴿ وكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها فيعاقب عليها.

(١) حكى الله تعالى ذلك عنهم في سورة الكهف الآية ٤٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٣) سورة الطارق الآية ٧.

[سورة الإسراء الآيات ١٨ - ٢٧]

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ﴾ النعمة الدنيوية مقصوراً عليها عمله﴿ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له. وهو بدل من (له) بإعادة الجار، وقيّد بالمشيّة والإرادة: لأن العبد لا يعطى كل ما يتمناه﴿ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها﴾ يدخلها ﴿ مَذْمُوماً﴾ ملوماً﴿ مَدْحُوراً﴾ مطروداً من رحمة الله﴿ ومَنْ أرادَ الْآخِرَةَ وسَعى لَها سَعْيَها﴾ حق السعي، وهو الإتيان بما أمر به والانتهاء عما نهي عنه للتقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة (اللام) إعتبار النية والإخلاص﴿ وهُومُؤْمِنٌ﴾ إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب، إذ لا نفع للعمل بدون الإيمان﴿ فَأولئكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ مقبولاً عند الله، مثاباً عليه﴿ كُلاًّ﴾ كل واحد من الفريقين﴿ نُمِدُّ﴾ نعطي﴿ هؤُلاءِ وهَؤُلاءِ﴾ بدل من (كلاً) ﴿ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ﴾ رزقه متعلق بـ(نمد) ﴿ وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ ممنوعاً في الدنيا عن مؤمن ولا كافر ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه﴿ ولَلآخِرَةُ أكْبَرُ﴾ أعظم﴿ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ من الدنيا، فينبغي الرغبة فيما هو أفضل وأبقى. روي: أن ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها مثل ما بين السماء والأرض. وعن النبي (ص): إنما يرتفع العباد غداً في الدرجات، وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم. وعن الصادق (ع): ان الثواب على قدر العقل.﴿ لا تَجْعَلْ﴾ أيها السامع، أو الخطاب للنبي (ص) والمعنيّ: أمته﴿ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿ مَذْمُوماً﴾ على لسان العقلاء﴿ مَخْذُولاً﴾ لا ناصر لك. وعبّر عن ذلك بالقعود لأنّ في القعود معنى الذل والعجز والهوان، يقال: قعد به الضعف ﴿ وقَضى رَبُّكَ﴾ أمر أمراً جزماً﴿ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ﴾ وجاز كون (ان) مفسّرة و(لا) للنهي﴿ وبِالْوالِدَيْنِ﴾ وأن

تحسنوا بهما ﴿ إِحْساناً﴾ عظيماً﴿ إِمَّا﴾ (إن) الشرطية أدغمت في (ما) الزائدة للتأكيد وأكد بالنون﴿ يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أحدهُما﴾ فاعل، وعلى قراءة حمزة والكسائي (يبلغان) هو بدل من (الألف)﴿ أو كِلاهُما﴾ عطف عليه ـ على الوجهين ـ ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ﴾ فلا تضجر منهما، وهوصوت يدل على تضجّر بمعنى مصدر أي: نتناً وقبحاً مبني على الكسر ونونه نافع وحفص تنكيراً، وفتحه ابن كثير وابن عامر، والمعنى: لا تؤذهما قليلاً ولا كثيراً. وقيل: لا تتقذرهما وأمط عنهما الأذى كما يميطانه عنك حين كنت تبول وتتغوط. وعن الصادق (ع): أدنى العقوق (أف) ولو علم اللّه شيئاً أهون منه لنهى عنه.﴿ ولا تَنْهَرْهُما﴾ تزجرهما بإغلاظ﴿ وقُلْ لَهُما قَولاً كَرِيماً﴾ جميلاً رفيقاً﴿ واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ﴾ الاضافة بيانيّة، أي: جناحك الذليل، أريد به المبالغة في التذلل والتواضع لهما وضمهما إليه كما يضم الطائر فرخه بخفض جناحه له﴿ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من الرقة عليهما﴿ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما﴾ برحمتك الباقية فإنها أنفع من رحمتي لهما ﴿ كَما رَبَّياني﴾ كرحمتهما لي بتربيتهما إيّاي﴿ صَغيراً﴾ فأني عاجز عن مكافأتهما ولا يقدر عليها سواك. سئل الصادق (ع): ما هذا الإحسان؟ فقال: أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئا إن كانا مستغنيين، أ ليس اللّه يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبّون)[1] (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) إن ضرباك (وقل لهما قولا كريماً) إن ضرباك، فقل لهما: (يغفر اللّه لكما) فذلك منك قول كريم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما تضمرون من برّ وعقوق﴿ إِنْ تَكُونُوا

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢.

صالحينَ﴾ طائعين له﴿ فَإِنَّهُ كانَ لِلأوابينَ﴾ التوابين عن تقصير صدر منهم في حق الوالدين وغيره﴿ غَفُوراً﴾ لتقصيرهم، أو لذنب كل تائب. عن الصادق (ع): الأواب: التواب المتعبد الراجع عن ذنبه.﴿ وآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم بالمال والنفس. وعنهم (ع): المراد به: قرابة الرسول (ص) وان الآية لمّا نزلت أعطى النبي (ص) فاطمة فدكا﴿ والْمِسكينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ بإنفاق المال في غير طاعة اللّه سئل الصادق (ع عن الآية؟ فقال: من أنفق شيئاً في غير طاعة اللّه فهو مبذّر ومن أنفق في سبيل اللّه فهو مقتصد. سئل (ع): أ فيكون تبذير في حلال؟ قال: نعم. وعنه (ع): لا تبذر في ولاية علي (ع)﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ أمثالهم السالكين طريقتهم، وهذا غاية الذم ﴿ وكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ شديد الكفر فكذا مُتبعَه المبذر.

[سورة الإسراء الآيات ٢٨ - ٣٨]

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا

تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿ وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ وان تعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل، إذ لم تجد ما تعطيهم ﴿ ابْتغاءَ رَحْمَةٍ منْ رَبِّكَ تَرْجُوها ﴾ لطلب رزق منه تنتظره أن يأتيك فتعطيهم منه ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَولاً مَيْسُوراً ﴾ ليناً، أي: عدهم وعداً جميلاً وادع لهم باليسر. روي أنه (ص) لما نزلت هذه الآية إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: يرزقنا الله وإياكم من فضله ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقكَ ﴾ لا تقبضها عن الانفاق كل القبض ﴿ ولا تَبسُطْها ﴾ فيه ﴿ كُلَّ البَسْط فَتَقْعُدَ ﴾ فتصير ﴿ مَلُوماً ﴾ بالإسراف عند الله وغيره ﴿ مَحْسُوراً ﴾ نادماً، أومنقطعا بك، أو عرياناً عن الصادق (ع): ان رسول الله (ص)

كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلا أعطاه، فأرسلت إليه امرأة إبناً لها فقالت: انطلق إليه فاسأله، فان قال: ليس عندنا شيء. فقل: أعطني قميصك، قال: فأخذ قميصه وأعطاه فأدّبه الله، وتلا الآية. وعنه (ع): المحسور: العريان. وعنه (ع): في قوله: (ولا تجعل....) إلخ، ضم يده فقال: هكذا (ولا تبسطها) بسط راحته وقال: هكذا ﴿ إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾ يوسّعه ويضيّقه بمشيته بحسب المصلحة ﴿ إِنَّهُ كانَ بعبادِه خَبيراً بَصيراً﴾ عالماً بسرهم وعلنهم وبما يصلحهم من التوسعة والتقتير ﴿ ولا تَقْتُلُوا أولادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ القمي: يعني مخافة الفقر والجوع، فان العرب كانوا يقتلون أولادهم[1] لذلك﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإياكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبيراً﴾ إثماً عظيماً، وكسر ابن كثير (الخاء) بمد وفتحها ابن ذكوان كالطاء بلا مد، وكسرها الباقون وسكنوا (الطاء)﴿ ولا تَقْرَبُوا الزِّنى﴾ نهى عن قربه مبالغة في النهي عنه﴿ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً﴾ ظاهر القبح﴿ وساءَ سَبِيلاً﴾ وبئس طريقاً هو. عن الباقر (ع): يقول معصية ومقتاً فان الله يمقته ويبغضه وساء سبيلاً وهو أشرّ النار عذاباً والزنا من أكبر الكبائر. وفي النبوي: في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا: يذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق، وثلاث في الآخرة: سوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار. وعنه (ع): إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل﴿ ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالْحَقِّ﴾ بسبب مبيح كالقود والردّة وحد المحصن﴿ ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾ بغير حق﴿ فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً﴾ تسلطاً على القاتل﴿ فَلا يُسْرِفْ﴾ الولي بتجاوز الحد

---

(١) لايعقل أن يكون العرب يقتلون أولادهم وإلا لانقطع نسلهم، نعم قد تكون العرب فعلت ذلك في حالات نادرة.

﴿ فِي الْقَتْلِ﴾ بالمثلة، أو قتل غير القاتل، أو لا يسرف القاتل في قتل من لا يحق قتله. وقرأ حمزة والكسائي (فلا تسرف) على خطاب الولي، أو القاتل﴿ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ علة النهي. و(الهاء) للولي، فان اللّه نصره بأن أوجب له القصاص والتعويض، أو للمظلوم فانه منصور في الدنيا بأيجاب القود بقتله وفي الآخرة بالثواب، أو للذي يقتله الولي إسرافاً بإيجاب القصاص على المسرف. وقيل: للكاظم (ع): ما حدّ الإسراف الذي نهى اللّه عنه؟ قال: نهى أن يقتل غير قاتله أو يمثل بالقاتل، قيل: فما معنى كان منصورا؟ قال: وأيّ نصرة أعظم من أن يدفع القاتل أولياء المقتول فيقتله ولا تبعة تلزم من قتله في دين ولا دنيا﴿ ولا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتيمِ﴾ فضلاً أن تتصرفوا فيه﴿ إلاّ بِالَّتي﴾ بالخصلة التي﴿ هِيَ أَحْسَنُ﴾ كحفظه وتثميره﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ عن الصادق (ع): انقطاع يتم اليتيم: الإحتلام وهو أشدّه. وعنه (ع): إذا بلغ الغلام أشده ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة سنة وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم، كتبت عليه السيئات وكتبت له الحسنات وجاز له كل شيء إلا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً﴿ وأوفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إليكم من اللّه أي: تكاليفه، أو بما عاهدتم اللّه عليه﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾ عنه ناكثه، أو مطلوباً من العاهد أن يفي به. عن الصادق (ع): ثلاثة لم يجعل اللّه لأحد من الناس فيهن رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد.﴿ وأوفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه﴿ إِذا كِلْتُمْ وزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقيمِ﴾ بالميزان السويّ. عن الباقر (ع): هوالميزان الذي له لسان، بضم (القاف). وكسره حفص وحمزة والكسائي﴿ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأويلاً﴾ مآلاً ومرجعاً﴿ ولا تَقْفُ﴾ لا تتبع، والقمي: لا تقل﴿ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أعمّ من العقائد وغيرها﴿ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤادَ﴾ القلب﴿ كُلُّ أُولئِكَ﴾ الأعضاء ﴿ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ أي: كان كل واحد منها مسؤلاً هو أو صاحبه عمّا فعل به، وربما يدل على المؤاخذة بالعزم على الذنب.

عن السجاد (ع): ليس لك أن تتكلم بما شئت، لأن الله يقول: (ولا تقف...) إلخ. ﴿ ولا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً﴾ ذا مرح، أي: مختالاً، القمي: أي: بطراً ومرحاً ﴿ إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدّة وطأتك القمي: أي: لن تبلغها كلها﴿ ولَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً﴾ بتطاولك، القمي: أي: لا تقدر ان تبلغ قُلل الجبال[1]. وقيل: هو تهكم بالمختال، وتعليل للنهي بأن الإختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل﴿ كُلُّ ذلِكَ﴾ إشارة إلى الخصال الخمس وعشرين المذكورة من قوله: (ولا تجعل مع الله إلهاً)، وعن ابن عباس: إنها المكتوبة في ألواح موسى. ﴿ كانَ سَيِّئُهُ﴾ وهو المنهي عنه من دون المأمور به، وهذه قراءة الكوفيين وابن عامر، وقرأ غيرهم (سيئة) على انها خبر (كان) وإسمها ضمير (كل) وذلك إشارة للمناهي فقط﴿ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ خبر على الأولى، وبدل منه على الثانية. ويفيد ان الله تعالى لم يرد المناهي لذاتها وإنما أرادها بالتبع لإرادة المكلف لمضادّة الكراهة للإرادة بالذات.

[سورة الإسراء الآيات ٣٩ - ٤٩]

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ

---

(١) قلل الجبال: قممها وأعاليها.

مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي
هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ
ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ
وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ
تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا
بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ
وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ
يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا
مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا
جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

﴿ ذلِكَ﴾ المذكور﴿ مِمَّا أوحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الكلام المحكم الذي لا دخل للفساد فيه﴿ ولا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ﴾ كرّر إيذاناً بان التوحيد رأس الحكمة وملاكها ﴿ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً﴾ لنفسك وغيرها﴿ مَدْحُوراً﴾ مطروداً عن رحمة اللّه﴿ أ فَأَصْفاكُمْ﴾ انكار لقول قريش: الملائكة بنات اللّه أي: أخصّكم؟ ﴿ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ الذين هم أشرف الأولاد﴿ واتَّخَذَ﴾ لنفسه مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً﴾ بناتاً ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَولاً عَظِيماً﴾ بنسبة الأولاد إليه، ثم بتفضيل أنفسكم عليه إذ جعلتم له ما تكرهون، ثم بجعل الملائكة ـ الذين هم من أشرف الخلق ـ أخسّهم﴿ ولَقَدْ صَرَّفْنا﴾ أي: كرّرنا وبيّنا الدلائل والعِبَر ﴿ فِي هذَا الْقُرْآنِ﴾ وأوقعنا التصريف فيه ﴿ لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتذكروا، أي: يعتبروا، وقرأ حمزة والكسائي (ليذكروا) من (الذكر) بمعنى: التذكر﴿ وما يَزِيدُهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾ عن الحق نسب إليه مجازاً، أي: ازدادوا نفوراً عند نزوله﴿ قُلْ لَو كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ كما تقولون أيها المشركون. وقرأ ابن كثير وحفص بالياء﴿ إِذاً لابْتَغَوا﴾ جواب لـ(لو) ولقولهم أي: لطلبوا إلى﴿ ذِي الْعَرْشِ ﴾ مالك الملك﴿ سَبِيلاً﴾ بالمغالبة، فعل الملوك بعضهم ببعض، أو بالتقرب إليه لعلمهم بعلوه عليهم﴿ سُبْحانَهُ﴾ تنزيهاً له﴿ وتعالى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب﴿ عُلُوا كَبِيراً﴾ تعالياً متباعداً عن صفات الممكنات﴿ يُسَبِحُ لَهُ﴾ وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائي وحفص بتاء التأنيث﴿ السَماوات السَّبْعُ والأَرْضُ ومَنْ فِيهِنَّ وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ينزهه عما لا يليق بشأنه بلسان الحال، أو بإقدار اللّه له على ذلك﴿ ولكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة

﴿ غَفُوراً﴾ لمن تاب عن كفره. عن الصادق (ع): ما من طير يصاد إلا بتضييعه التسبيح. وسئل (ع): أ تسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم أما سمعت خشب البيت كيف ينقض؟ وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كل حال. ﴿ وإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾ ساتراً أو ذا ستر كمكان مهول أي: ذا هول، أو مستوراً عن الحس قيل: نزلت في قوم كانوا يؤذونه (ص) إذا قرأ القرآن فحجبه الله عنهم فلا يرونه عند قراءته ﴿ وجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿ وفِي آذانِهِمْ وقْراً﴾ صمماً فلا يسمعونه، وهو مَثَل في نبو قلوبهم[1] ومسامعهم عن قبوله، وأسند إليه تعالى إيذاناً بتمكنه منهم كالجِبِلَّة[2] ﴿ وإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وحْدَهُ﴾ بدون ذكر آلهتهم، مصدر في محل الحال أي: موحداً وحده ﴿ ولَّوا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾ جمع (نافر) أو مصدر لـ(ولوا) من غير لفظه أي: نفروا عن استماع التوحيد نفرة. عن الصادق (ع): كان رسول الله (ص) إذا دخل إلى منزله واجتمعت عليه قريش جهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويرفع بها صوته فتولي قريش فراراً فنزلت ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهزء بالقرآن ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وإِذْ هُمْ نَجْوى﴾ ظرفان لـ(أعلم) أي: نحن أعلم لغرضهم من استماعهم حين يستمعون إليك وحين هم ذوو نجوى يتناجون في أمرك ﴿ إِذْ﴾ بدل من (إذ هم) ﴿ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ سحر فذهب عقله، أو مخدوعاً ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثالَ﴾ شبهوك بمسحور وساحر وشاعر وكاهن ومجنون ﴿ فَضَلُّوا﴾ بذلك عن

---

(١) أي: إعراضها ونفورها.

(٢) أي: كالخلقة والطبيعة المتمكنة فيهم.

الحق﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إليه، أو إلى الطعن فيك، ضلّوا ضلال من تحيّر في التيه﴿ وقالُوا﴾ إنكاراً للبعث﴿ أَ إذا كُنّا عظاماً ورُفاتاً﴾ رضاضاً ﴿ أَ إنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (إذا) ظرف لما دلّ عليه مبعوثون لا له إذ لا يعمل ما بعد (ان) في ما قبلها﴿ خَلْقاً﴾ مصدر، أو حال﴿ جَدِيداً﴾ عن الصادق (ع): جاء أُبيّ بن خلف فأخذ عظماً بالياً من غائط ففتّه، ثم قال: يا محمد(أ إذا كنا عظاماً ورفاتاً...)إلخ الآية، فأنزل الله: (قال من يحي العظام وهي رميم)[1].

[سورة الإسراء الآيات ٥٠ - ٥٨]

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ

---

(١) سورة يس الآية ٧٨.

يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾

﴿ قُلْ﴾ جواباً لهم﴿كُونُوا حِجارَةً أوحَديداً أوخَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عندكم عن قبول الحياة ـ فضلا عن العظام الرفات ـ فان الله لا يعجز عن إحيائكم﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا﴾ يحيينا﴿ قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم﴿ أولَ مَرَّةٍ﴾ فان مَن قَدرَ على البدء فهو على الإعادة أقدر﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ﴾ يحركون نحوك﴿ رُؤُسَهُمْ﴾ تعجباً واستهزاءً﴿ ويَقُولُونَ مَتى هُوَ﴾ أي: البعث ﴿ قُلْ عَسى أنْ يَكُونَ قَريباً﴾ فان ما هوآتٍ قريب﴿ يَومَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم على لسان إسرافيل عند النفخة الثانية﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تجيبون﴿ بِحَمْدِهِ﴾ حامدين له، أو مطاوعين لبعثه مطاوعة الحامد له﴿ وتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا، أو في البرزخ﴿ إلاّ قَليلاً﴾ لهول ما ترون﴿ وقُلْ لِعِبادِي﴾ المؤمنين﴿ يَقُولُوا﴾ للمشركين الكلمة﴿ الَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾

ولا يخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يهيّج بينهم المراء والشر بسبب الغلظة فتشتد النفرة فلا يحصل الغرض﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ للإِنْسانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ بيّن العداوة، ثم فسّر التي هي أحسن بقوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفضله﴿ أو إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله﴿ وما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وكِيلاً﴾ موكولاً إليك أمرهم يجبرهم على الإيمان إنما أرسلناك مبشراً ونذيراً وهذا قبل آية السيف﴿ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَماوات والأَرْضِ﴾ وأحوالهم فيختار منهم للنبوة والولاية من هو أهلها وهو ردّ لإنكار قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً والفقراء أصحابه﴿ ولَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾ وخصصنا كُلاً منهم بما يليق به كإبراهيم بالخلة، وموسى بالكلام، ومحمد (ص) بخصائص لا يشركه فيها أحد ﴿ وآتَيْنا داود زَبُوراً﴾ إسم لكل كتاب وغلب في كتاب داود ويأتي منكراً ومعرّفاً كحسن والحسن لأنه مصدر، أو بمعنى: المفعول وضمه حمزة، وإنما ذكر ليعلم ان التفضيل إنما هو بالعلم والدين لا بالمال والملك. وعن الصادق (ع): سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولوالعزم من الرسل وعليهم دارت الرحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص)﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم الهة﴿ مِنْ دُونِه﴾ كالملائكة وعزير والمسيح ﴿ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ كالقحط والمرض ﴿ ولا تَحْوِيلاً﴾ له عنكم إلى غيركم ﴿ أولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: يدعونهم آلهة ﴿ يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون﴿ إلى رَبِّهِمُ الْوسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة﴿ أيهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب؟﴿ ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخافُونَ

عَذابَهُ﴾ كسائر العباد فكيف يزعمون أنهم الهة؟ ﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً﴾ حقيقاً بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل ﴿وإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ بالموت ﴿أو مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً﴾ بالقتل وغيره ﴿كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُوراً﴾ مكتوباً سئل الصادق (ع) عن هذه الآية؟ فقال: هو الفناء بالموت. وفي رواية: بالقتل والموت وغيره.

[سورة الإسراء الآيات ٥٩ - ٦٦]

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا

يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿ وما مَنَعَنا﴾ صرفنا﴿ أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ﴾ التي اقترحتها قريش﴿ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِهَا الأوَلُونَ﴾ لمّا اقترحوها وأرسلناها إليهم وأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك كما جرت به سنتنا، وقد حكمنا بإمهالهم ليتم أمر محمد (ص)﴿ وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ آية واضحة، تبصر من تأملها﴿ فَظَلَمُوا أنفسهم بِهَا﴾ بعقرها، أوكفروا بها﴿ وما نُرْسِلُ بالآياتِ﴾ المعجزات﴿ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ للعباد من عذابنا ليؤمنوا﴿ وإذْ﴾ واذكر إذ﴿ قُلْنا﴾ أوحينا﴿ لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ﴾ علماً وقدرة فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخشهم فهوعاصمك منهم﴿ وما جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أرَيْناكَ﴾ عياناً ليلة الإسراء، أو في المنام، إذ رأى بني أمية ينزون[1] على منبره نزو القردة فساءه ذلك﴿ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ إمتحاناً لهم ليتميز المصدّق بالإسراء عن المكذب، أو الثابت على إيمانه في دولة بني أمية من غيره﴿ والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ عطف على (الرؤيا) وهي بنو أمية على الأشهر بين المفسرين وفي الرواية، وقيل: شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلها الله فتنة لهم فكذبوا بها وقالوا: النار تحرق الشجر فكيف ينبت فيها؟ وهذا محض جهل منهم بكمال قدرته تعالى﴿ ونُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿ إلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ عُتواً عظيماً﴿ وإذْ﴾ واذكر

---

(١) ينزون: أي يتحركون ويندفعون.

إذ﴿ قُلْنا لِلْمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ﴾ فسّر في البقرة﴿ قالَ أ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ نصب بنزع الخافض، أو حالاً من عائد الموصول، أو منه ويؤذن بعلة الإنكار﴿ قالَ أ رَأيتَكَ هذَا﴾ مفعول أول إذ لا محل لكاف الخطاب﴿ الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ صفة (هذا) والمفعول الثاني مقدّر أي: أخبرني عن هذا الذي فضلته على أمري بتعظيمه لِمَ فضلته؟ ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَومِ الْقِيامَةِ﴾ لام قسم جوابه: ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ لأستأصلنّهم بالإغواء من (احتنك الجراد الزرع) استأصله. واثبت ابن كثير ياء (أخرتني) مطلقاً ونافع وابوعمرو وصلاً﴿ إلاّ قَلِيلاً﴾ منهم، ممن عصمته منهم بلطفك. ولعلّه علم تيسّر ذلك له من قول الملائكة (أ تجعل فيها من يفسد فيها) وتقريره: ﴿ قالَ﴾ تعالى﴿ اذْهَبْ﴾ لما اخترته مخلّى بينك وبينه﴿ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿ جَزاءً مَوفُوراً﴾ موفراً مكملاً، ونصب على المصدر بإضمار قوله، أو بما في جزائكم من معنى تجازون، أو حال توطئة لقوله: (موفوراً) ﴿ واسْتَفْزِزْ﴾ استخف واسترلّ﴿ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوتِكَ﴾ بدعائك إلى الشر ﴿ وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ فرسانك﴿ ورَجِلِكَ﴾ إسم جمع للراجل، وكسر جيمه حفص أي: صِحْ عليهم بكل راكب وماش في الضلالة، أو اجمع عليهم كيدك وأعوانك﴿ وشارِكْهُمْ فِي ألأمْوالِ﴾ المكتسبة من الحرام والمنفعة فيه﴿ والأولادِ﴾ من الزنا، أو في تسميتهم بعبد اللات وعبد العزّى﴿ وعِدْهُمْ﴾ الباطل لنفي البعث، أو شفاعة آلهتهم﴿ وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاّ غُرُوراً﴾ باطلاً يزيّنه لهم عن الصادق (ع) في الآية: ان الشيطان ليجئي حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها، ويحدث، كما يحدث وينكح كما ينكح، قيل: بأيّ شيء يعرف ذلك؟ قال: بحبنا وبغضنا فمن أحبنا كان نطفة العبد ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان وعنه (ع): إذا ذكر إسم الله تنحى عنه الشيطان ومن فعل ولم يسمّ ادخل ذكره وكان العمل منهما جميعاً والنطفة

واحدة﴿ إِنَّ عِبادِي﴾ الخُلّص، أو مطلقاً﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾ تسلط﴿ إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ باختياره﴿ وكَفى بِرَبِّكَ وكِيلاً﴾ حافظاً لعباده من شركك وشرك﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي﴾ يجري﴿ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ بما خلق من الرياح، وبأن جعل الماء على وجه يمكن جري السفن فيه﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة﴿ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ حيث سخرها لكم.

[سورة الإسراء الآيات ٦٧ -٧٥]

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ

فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿ وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ خوف الغرق﴿ فِي الْبَحْرِ﴾ من اضطراب الأمواج، أو احتباس السفن من سكون الرياح﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ ذهب عن خواطركم كل معبود ﴿ إلاَّ إِيَّاهُ﴾ وحده، إذ لا يكشف الضرّ سواه﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من أهوال البحر ﴿ إلى الْبَرِّ﴾ وأمنتم الغرق﴿ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن توحيده﴿ وكانَ الإنْسانُ كَفُوراً﴾ كثير الكفران، وهو كالتعليل للإعراض﴿ أَ فَأَمِنْتُمْ﴾ إنكار عطف على مقدر أي: أنجوتم فأمنتم حتى أعرضتم؟﴿ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ﴾ أن يقلبه الله وأنتم عليه، أو يذهبكم بيغيكم في الأرض، أو أراد: بعض البر، وهو موضع حلولهم فيه فانه يصير بعد الخسف جانباً، وقيل: أنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر، وقرأ ابن كثير وابوعمرو بالنون فيه وفي الاربعة الآتية﴿ أو يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ﴾ حجارة تحصبون بها أو ريحاً ترمي بالحصباء والمعنى: أن القادر على إغراقكم في البحر قادر على إهلاككم في البر﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وكِيلاً﴾ حافظاً منه﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر﴿ تارَةً أُخْرى﴾ بأن يحوجكم إلى ركوبه فتركبوه

﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر السفينة، وقيل: الحاصب: الريح المهلكة في البر والقاصف: المهلكة في البحر. وعن الباقر (ع): هي العاصف﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بما كَفَرْتُمْ﴾ بسبب كفركم نعمة[1] الإنجاء ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً﴾ مطالباً بدمائكم يتبعنا، أو دافعاً عنكم﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنطق واعتدال الخلق وتسخير الأشياء لهم، وغير ذلك مما لا يحصى﴿ وحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن﴿ ورَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ المستلذات﴿ وفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾ بالغلبة والإستيلاء أو بالشرف والكرامة، والكثير ما عدا جنس الملائكة أو خواصهم، ولا ينافيه تفضيل الأنبياء عليهم، إذ عدم تفضيل جنس الناس لا يستلزم عدم تفضيل بعضهم﴿ يَوْمَ نَدْعُوا﴾ على إضمار(اذكر) أو ظرف لما دلّ عليه (ولا يظلمون)﴿ كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ بمن ائتموا به من نبيٍ، أو إمام، أو كتاب أعمالهم. وعن أهل الذكر (ع): إمام زمانهم، وأن الأئمة إمام هدى وإمام ضلال﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ﴾ كتاب عمله﴿ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ﴾ فرحاً بما يرون فيه، وجمعوا باعتبار (من)﴿ ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ لا ينقصون من حقهم قدر ما في شق النواة ﴿ ومَنْ كانَ فِي هذِهِ﴾ أي: الدنيا﴿ أَعْمى﴾ القلب عن الحق﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمى﴾ عن طريق الجنة، أو أعمى العين فلا يقرأ كتابه، وقيل: هو للتفضيل، وأماله ابو بكر وحمزة والكسائي في الموضعين وابوعمرو في الأول﴿ وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ وأبعد طريقاً عن الحق﴿ وإِنْ﴾ مخففة أي: ان الشأن ﴿ كادُوا﴾ قاربوا﴿ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ يستزلونك. واللام فارقة﴿ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾ من الأحكام﴿ وإِذاً﴾ لو اتبعت مرادهم﴿ لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ ولياً لهم أو فقيراً محتاجاً

---

(١) حق العبارة أن يقال: (كفركم بنعمة)وليس (كفركم نعمة).

إليهم، من الخلّة، والأول أقرب قيل: نزلت حين قالت قريش له (ص): لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا. أو حين قالوا: كُف عن شتم آلهتنا حتى نستمع منك. أو حين قال ثقيف نبايعك على أن لا ننحني في الصلاة وأن تحرم وادينا كمكة، وألحّوا عليه فأبى﴿ ولَولا أنْ ثَبّتْناكَ﴾ على الحق بالنبوة والعصمة والمعجزات، أو بالألطاف الخفية﴿ لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت﴿ تَرْكَنُ﴾ تميل﴿ إليهمْ شَيْئاً﴾ ركوناً ﴿ قَليلاً﴾ لكن عصمناك فلم تقارب الركون فضلا عن أن تركن إليهم. ويفيد أنه (ص) لم يهمّ بإجابتهم، قيل: لمّا نزلت قال النبي (ص): اللهم لا تكلني إلى نفسي. وسئل الصادق (ع) عن الآية؟ فقال: لما كان يوم الفتح أخرج رسول الله (ص) أصناماً من المسجد، وكان منها صنم على المروة، وطلبت إليه قريش أن يتركه وكان مسخاً فهمّ بتركه، ثم أمر بكرة[1]، فنزلت﴿ إذاً﴾ أي: لو قاربت، أو فعلت﴿ لأذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وضِعْفَ الْمَماتِ﴾ ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة أي: مثل ما يعذب غيرك في الدارين، وقيل: الضعف: إسم للعذاب. وقيل: ضعف الحياة: عذاب الآخرة، وضعف الممات: عذاب القبر. ولعل الخطاب من باب إياك أعني﴿ ثُمّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصيراً﴾ دافعاً عنك.

[سورة الإسراء الآيات ٧٦ - ٨٦]

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ

(١) كذا في النسخة الخطية ولعلها: (بكسره).

ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿ وإنْ﴾ مخففة ﴿كادُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يزعجونك ﴿ مِنَ الأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿ لِيُخرِجُوكَ مِنْها وإذاً﴾ لو أخرجوك ﴿ لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي خِلافَكَ ﴿ إلاَّ قَلِيلاً﴾ إلا زماناً يسيراً. وقد كان ذلك وهو قتلهم ببدر بعد هجرته بسنة. قيل: نزلت في اليهود كرهوا مقامه بالمدينة فقالوا: إن كنت نبياً فأت الشام فإنها أرض الأنبياء ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ

منْ رُسُلنا﴾ أي: كسنتنا في رسلنا من إهلاك من أخرجهم﴿ ولا تَجدُ لسُنّتنا تَحْويلاً﴾ تبديلاً﴿ أَقمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لزوالها، من الدلك لأنّ الناظر إليها يدلك عينه ليتبيّنها و(اللام) بمعنى: الوقت، فيشمل وقتي صلاتي الظهرين وقيل: لغروبها﴿ إلى غَسَقِ اللّيْلِ﴾ ظلمته وهو وقت العشاءين. وعن الصادق (ع): دلوكها: زوالها ففيما بينه إلى غسق الليل وهو انتصافه أربع صلوات﴿ وقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ صلاة الصبح، وتسميتها (قرآناً) لتضمنها له، كتسميتها (ركوعاً) و(سجوداً)﴿ إنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. سئل الباقر (ع): عمّا فرض الله من الصلاة، فقال: خمس صلوات في الليل والنهار، وتلا الآية، ثم قال: دلوكها: زوالها ففيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات، وغسق الليل: إنتصافه، ثم قال: وقرآن الفجر فهذه الخامسة. وعنهما (ع) في الآية: قال: جمعت الصلوات كلهن، ودلوك الشمس: زوالها وغسق الليل إنتصافه.﴿ ومنَ اللّيْلِ﴾ أي: بعضه﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ فدع الهجود أي: النوم للصلاة بالقرآن﴿ نافلَةً لَكَ﴾ خاصة زيادة على الفرائض، أو فضيلة لك تخصك﴿ عَسى أنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك في الآخرة ﴿ ربُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة ـ كما عن أحدهما (ع) ـ ﴿ وقُلْ رَبِّ أَدْخلْني﴾ فيما حملتني من الرسالة، أو في المدينة أو في القبر﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضياً ﴿ وأَخْرِجْني﴾ من أعباء الرسالة بأدائها، أو من مكة، أو عند البعث﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجاً لا أرى فيه مكروهاً﴿ واجْعَلْ لِي منْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾ حجة أتقوى بها على سائر الأديان الباطلة، أو ملكاً أقهر به العصاة. وقد أجابه تعالى فنصره بالرعب من مسيرة شهر، وروي: أعطاه علياً ينصره على أعدائه﴿ وقُلْ جاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام، أو عبادة الله، أو القرآن﴿ وزَهَقَ الْباطلُ﴾ الشرك، أو عبادة الأصنام، أو الشيطان ﴿ إنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾ مضمحلاً زائلاً عن الصادق (ع) عن آبائه: دخل رسول الله (ص)

يوم فتح مكة والأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) وما يبدئ الباطل وما يعيد، فجعلت تنكب لوجهها وعن الباقر (ع): في الآية إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل، وقيل: بقي صنم خزاعة فوق الكعبة، فحمل (ص) علياً (ع) على كتفه فصعد، فرمى، به فكسره﴿ وَنُنَزِّلُ﴾ وخففه أبوعمرو﴿ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (من) بيانية ﴿ ما هُوَ شِفاءٌ﴾ من الأمراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة، والجسمانية ببركة تلاوته وكتابته وحمله، وغير ذلك للإستشفاء﴿ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون به﴿ وَلا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً﴾ لكفرهم به عن الصادق(ع): لا بأس بالرقية والعوذة والنشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ثم تلا الآية.﴿ وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الإِنْسانِ﴾ بالصحة والسعة ﴿ أَعْرَضَ﴾ عن ذكرنا ﴿ وَنَأى بِجانِبِهِ﴾ بَعُدَ بنفسه عنه وثنى عطفه مستكبراً، وقرأ ابن ذكوان (وناء) على القلب، أو بمعنى: نهض﴿ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كمرض، أو فقر ﴿ كانَ يَؤُساً﴾ قنوطاً من رَوْح الله﴿ قُلْ كُلٌّ﴾ من المؤمن والكافر﴿ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾ على طبيعته وخليقته التي تخلق بها، أو طريقته التي اعتادها، أو على ما هو أشكل بالصواب وأليق بالحق عنده، ولذا قيل: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله لأن الأليق به تعالى العفو فهو يعفو﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً﴾ أسدّ طريقاً، وأحسن ديناً ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ التي يحيى بها بدن الإنسان﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ﴾ رَبِّي عدول عن جوابهم لأنه أدعى إلى الصلاح، ولأن سؤالهم عن تعنّت لا عن إستفادة، ولو أجيبوا لزادوا عناداً قيل: أن إليهود قالوا لكفار قريش: سلوه عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي أي: من أمر ربي الذي لم يطلع عليه أحداً. وقيل: سألوه أهي

مخلوقة أم محدثة؟ فالجواب مطابق أي: من فعله وخلقه، وقيل: الروح المسؤول عنه جبرئيل، وقيل: خلق أعظم من الملك، وقيل: القرآن، فأجيبوا بذلك. وسئل الصادق (ع): عن الآية؟ فقال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله (ص) وهو مع الأئمة يسدّدهم وليس كل ما طلب وجد. وعنهما (ع) في الآية: انما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتأييد، يجعله الله في قلوب المؤمنين والرسل﴿ وما أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَليلاً﴾ بالنسبة إلى علم الله تعالى. خطاب للنبي (ص) وغيره، أو للسائلين ﴿ ولَئِنْ شِئْنا﴾ لام قسم جوابه: ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أوحَيْنا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، وناب جواب إن﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وكِيلاً﴾ من يتوكل بردّه عليك.

[سورة الإسراء الآيات ٨٧ - ٩٦]

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

﴿ إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ متصل كأن رحمته تعالى تتوكل بالرد، أومنقطع أي: ولكن رحمة من ربك أبقته عليك﴿ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾ بإرسالك وإنزال القرآن وإبقائه عليك، وغير ذلك﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ﴾ متعاضدين ﴿ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة، وحسن النظم وجودة المعنى، والخلوص من التناقض، وغير ذلك من المحاسن لعجزوا عن ذلك﴿ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ وفيهم الفصحاء والبلغاء. وهو جواب القسم، وناب جواب إن ﴿ ولَوكانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ معيناً. نزلت رداً لقولهم: لونشاء لقلنا مثل هذا، روي: أن ابن أبي العوجاء وثلاثة من الدهرية أتفقوا على أن يعارض كل واحد منهم ربع القرآن وكانوا بمكة وعاهدوا أن يجيئوا بمعارضة في العام القابل، فلما حال الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم، قال أحدهم: إني لما رأيت قوله: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا

سماء إقلعي وغيض الماء)[١] كففت عن المعارضة، وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: (فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجياً)[٢] أيست عن المعارضة، وكانوا يسرّون ذلك إذ مرّ عليهم الصادق (ع) فالتفت إليهم وقرأ: (قل لئن اجتمعت...)إلخ الآية، فبهتوا ﴿ ولَقَدْ صَرَّفْنا﴾ كرّرنا وبيّنا للناس﴿ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة محذوف أي: عبراً من جنس كل مثل ليعتبروا﴿ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاّ كُفُوراً﴾ جحوداً وسوّغ الإستثناء معنى النفي. عن الباقر(ع): نزلت فأبى أكثر الناس بولاية علي(ع)إلا كفوراً ﴿ وقالُوا﴾ إقتراحاً﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ﴾ وخففه الكوفيون﴿ لَنا مِنَ الأَرْضِ﴾ أرض مكة﴿ يَنْبُوعاً﴾ عيناً ينبع ماؤها﴿ أوتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان﴿ مِنْ نَخيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهارَ خِلالَها﴾ وسطها﴿ تَفْجِيراً أو تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً﴾ حال كـ(قطع) لفظاً ومعنىً كما عن نافع وعاصم وابن عامر، وسكّنه غيرهم وهو مخفف المفتوح، أو بمعنى: مقطوع كـ(طحن) للمطحون﴿ أوتَأْتِيَ بِاللَّهِ والْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ كفيلاً بما تدعي، أو مقابلاً نعاينه ويشهد لك، وهو حال من الله دالة على حال الملائكة، أو مقابلة وعياناً مصدر في محل حال عن الكل، أو قبائلاً فوجاً فوجاً حال من الملائكة﴿ أويَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ ذهب وأصله الزينة﴿ أو تَرْقى فِي السَّماءِ﴾ أي: تصعد ﴿ ولَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحدك﴿ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً﴾ من الله شاهداً بصحة نبوتك ﴿ نَقْرَؤُهُ قُلْ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال)﴿ سُبْحانَ رَبِّي﴾ تعجباً من تهكمهم، أو تنزيهاً له منه﴿ هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾ كسائر الرسل. وما كانوا يطيقون أن يأتوا إلا بما يخصهم الله بحسب المصلحة وليس لهم أن يحكموا

---

(١) سورة هود الآية ٤٤

(٢) سورة يوسف الآية ٨٠

عليه وقد خصني بآيات تغني عما اقترحتم﴿ وما مَنَعَ النَّاسَ أنْ يُؤمِنُوا إذْ جاءَهُمُ الْهُدى﴾ الحجج البيّنة﴿ إلاّ أنْ قالُوا﴾ إلا قولهم إنكاراً﴿ أ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ وهلاّ بعث مَلَكاً﴿ قُلْ﴾ في جوابهم:﴿ لوكانَ فِي الأرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كالبشر ﴿ مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين فيها ﴿ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾ إذ لا بد من تجانس الرسول للمُرسَل إليهم ليمكنهم إدراكه والتلقي منه، وأما إرسال المَلَك إلى النبي (ص) فلتمكنه من ذلك لقوة نفسه﴿ قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي بإظهار المعجز الدال عليه﴿ إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ يعلم بواطنهم وظواهرهم. وفيه تهديد لمن ردّ تلك الشهادة.

[سورة الإسراء الآيات ٩٧ - ١١١]

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا

لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا

وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿ ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ بلطفه، أو يحكم بهداه﴿ فَهُو المُهْتَدِ﴾ وأثبت نافع وأبوعمرو (الياء) ﴿ ومَنْ يُضْلِلْ﴾ يمنعه اللطف، أو يحكم بضلاله﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أولياءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم﴿ ونَحْشُرُهُمْ يَومَ القِيامَةِ عَلى وجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها، أو يمشيهم الله على وجوههم بقدرته﴿ عُمْياً﴾ لا يرون ما يسرّهم﴿ وبُكْماً﴾ لا ينطقون بما ينفعهم﴿ وصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يمتعهم وقيل:يحشرون من الموقف إلى النار موؤفة[1] حواسهم﴿ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ﴾ سكن لهبها بإفنائهم﴿ زِدْناهُمْ سَعيراً﴾ تلهباً واشتعالاً بهم بإعادتهم﴿ ذلكَ جَزاؤُهُمْ بأنَّهُمْ كَفَرُوا بآياتنا وقالُوا﴾ إنكاراً للبعث ﴿ أ إذا كُنَّا عِظاماً ورُفاتاً أ إنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَديداً أ ولَمْ يَرَوا﴾ يعلموا﴿ أنَّ اللَّهَ الَّذي خَلَقَ السَّماوات والأرْضَ قادرٌ عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: يعيدهم فان القادر على الأعظم قادر على الأهون﴿ وجَعَلَ لَهُمْ أجَلاً لا رَيْبَ فيه﴾ وهو: الموت أو البعث ﴿ فَأَبى الظَّالِمُونَ إلاّ كُفُوراً ﴾ جحوداً للحق﴿ قُلْ لَوأنْتُمْ﴾ رفع بفعل يفسره: ﴿ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ رزقه وسائر نعمه. وفتح نافع وأبوعمرو الياء ﴿ إذاً لأَمْسَكْتُمْ﴾ بخلاً﴿ خَشْيَةَ الإنْفاقِ﴾ خوف النفاد بالإنفاق ﴿ وكانَ الإنْسانُ قَتُوراً﴾ بخيلاً لأنه خلق محتاجاً إلى ما لا يحصله إلا بالمال وإمساكه، فالغالب عليه البخل ولو بذل شيئاً فلعوض أجل منه، فهو بخيل بالنسبة إلى وجود الله تعالى﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ هي: العصا واليد والجراد والقُمَّل والضفادع والدم وانفجار

---

(١) مصابة بالعاهات . و(الموؤفة) مأخوذة من (الآفة) وهي كل ما يصيب شيئاً فيفسده من عاهة في العضو أو مرض في البدن أو قحط في الزرع.

الماء من الحجر وانفلاق البحر ورفع الطور فوقهم. وقيل: الطوفان والسنون ونقص الثمرات بدل الثلاثة الأخيرة وقيل: الطمسة بدل اليد، وهي: دعاء موسى وتأمين هارون، وعن الصادق (ع): هي الجراد والقمّل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا ويده، وفي النبوي: العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء والجراد والقُمّل والضفادع والدم ورفع الطور والمن والسلوى آية واحدة وفلق البحر، وفي آخر: لما سأله إليهود عنها هي أن لا تشركوا باللّه شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، ولا تمشوا إلى سلطان ليقتل، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، ولا تولّوا للفرار يوم الزحف وعليكم خاصّة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت، فقبّل إليهودي يده، وعدّه هذه الأحكام آيات لأنها من علامات النبوة ﴿ فَسْئَلْ﴾ يا محمد (ص)﴿ بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾ عما جرى لموسى وفرعون﴿ إِذْ جاءَهُمْ﴾ أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك وعلى هذا نصب إذ بآتينا، أو بإضمار اذكر، أو فقلنا لموسى حين جاءهم: اسأل بني إسرائيل من فرعون ليرسلهم معك؟ أو سلهم عن إيمانهم﴿ فَقالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً ﴾ سحرت فخولط عقلك، أو ساحراً﴿ قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ يا فرعون. وضمّه الكسائي ﴿ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ﴾ أي: الآيات﴿ إِلاَّ رَبُّ السَماواتِ والأَرْضِ بَصائِرَ﴾ حججاً تبصرك صدقي ولكنك تعاند﴿ وإِنِّي لأَظُنُّكَ يا فِرْعَونُ مَثْبُوراً﴾ هالكاً، أو مصروفاً عن الخير، أو مخبولاً لا عقل لك. والظن يراد به: العلم، أو هو على ظاهره. وعن علي (ع): قال: واللّه ما علم عدو اللّه ولكن موسى هو الذي علم، فقال: لقد علمتُ يعني بضمّ التاء ﴿ فَأَرادَ فرعون أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يزعج موسى وقومه بالنفي، أو القتل﴿ مِنَ الأَرْضِ﴾ أرض مصر﴿ فَأَغْرَقْناهُ ومَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾ عارضناه بنقيض مراده﴿ وقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه ﴿ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾ التي أراد أن يستفزكم منها

وهي أرض مصر والشام﴿ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ الدار الآخرة أي: القيامة، أو الكرّة الآخرة، أو نزول عيسى (ع): ﴿ جِئْنا بِكُمْ﴾ من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء ﴿ لَفيفاً﴾ مختلطين أنتم وهم، وعن الباقر (ع): جميعاً وفي رواية: من كل ناحية. ﴿ وبِالْحَقِّ أنزَلْناهُ وبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: ما أردنا بإنزال القرآن إلا تقرير الحق في مركزه، وما نزل إلا بالدعاء إلى الحق﴿ وما أرْسَلْناكَ إلاّ مُبَشِّراً﴾ من أطاع بالجنة﴿ ونَذيراً ﴾ من عصى بالنار﴿ وقُرْآناً﴾ نصب بفعل يفسّره: ﴿ فَرَقْناهُ﴾ نزلناه مفرّقاً نجوماً في نحو عشرين سنة، أو فرّقنا به الحق من الباطل، فحذف الجار﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ - بالضم - مهل وتَثَبّت ليسهل فهمه وحفظه﴿ ونَزَّلْناهُ تَنْزيلاً﴾ منجماً على حسب المصالح﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أو لا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم﴿ إنَّ الَّذينَ أوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تعليل له أي: إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم: علماء أهل الكتاب كابن سلام وغيره، أو الأعم منهم ومن غيرهم، أو تعليل لـ(قل) تسلية له (ص) بإيمان العلماء من إيمان الجهلة﴿ إذا يُتْلى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ﴾ يسقطون على وجوههم ﴿ سُجَّداً﴾ تذللاً وخضوعاً لله تعالى﴿ ويَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد﴿ إنْ﴾ مخففة﴿ كانَ وَعْدُ رَبِّنا﴾ بإنزاله، وبعث محمد (ص) في كتبنا﴿ لَمَفْعُولاً﴾ منجزاً واللام فارقة﴿ ويَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ ﴾كرّر إيذاناً بتكرير الفعل منهم وليقيد الثاني بالحال وهي﴿ يَبْكُونَ﴾ من خوف الله﴿ ويَزيدُهُمْ القرآن خُشُوعاً﴾ لين قلب وتواضعاً لله واستسلاماً لأمره وطاعته﴿ قُلِ ادْعُوا اللّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمنَ﴾ قيل: نزلت حين قال المشركون وقد سمعوه (ص) يقول(يا الله يا رحمن): ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهين، أو حين قالت أليهود: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة، فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية يتعدى إلى مفعولين حذف

أولهما لظهوره، أو للتخيير والمعنى سمّوه بأيّ الإسمين فإنهما سواء في الإطلاق على ذاته﴿ أياً﴾ شرطية وتنوينها عوض المضاف إليه﴿ ما﴾ صلة زيدت تأكيداً للإبهام أي: أي هذين الإسمين﴿ تَدْعُوا﴾ تسموا فهو حسن، ودلّ على ذلك قوله: ﴿ فَلَهُ﴾ أي: للمسمى﴿ الأسماءُ الْحُسْنى﴾ الدالة على صفات الجلال والإكرام وهذان منها ﴿ ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ﴾ جهراً شديداً تشغل به من يلي بقربك﴿ ولا تُخافِتْ بِها﴾ حتى لا تسمع نفسك﴿ وابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ ﴾ المذكور﴿ سَبِيلاً﴾ وسطاً فخير الأمور أو سطها، ولم يقل: (بين ذينك) لأنه أراد الفعل أو المعنى، لا تجهر بها كلها ولا تخافت بها كلها، بل اجهر بصلاة الليل وخافت بصلاة النهار، أو لا تجهر بدعائك ولا تخافت به. وعن الصادق (ع): في الآية الجهر بها رفع الصوت والتخافت ما لا تسمع نفسك، واقرأ بين ذلك، وفي آخر ما بين ذلك قدر ما تسمع أذنيك. وعنه (ع): المخافتة ما دون سمعك والجهر أن ترفع صوتك شديداً. وعن الباقر (ع): الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بعد عنك والإخفات أن لا تسمع من معك إلا يسيراً، وقيل: للصادق (ع): أعلى الإمام أن يسمع من خلفه وان كثروا؟ قال: ليقرأ قراءة وسطاً، ثم تلا الآية﴿ وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ ولَداً ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُ ولِيٌّ﴾ يواليه﴿ مِنَ الذُّلِّ﴾ من أجل ذل ليدفعه بموالاته، أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر. ورتب الحمد على نفي الولد والشريك والمعين أيذاناً بأنه المستحق لجميع المحامد بكمال ذاته وتفرّده منعوت بالجلال والإكرام﴿ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ عظّمه تعظيماً لا يدانيه تعظيم. وعن الصادق (ع): إنه أمر من قرأ هذه الآية أن يكبّر ثلاثاً.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الإسراء وتفسيرها.

سورة الكهف

مائة وعشر، أو احدى عشرة آية، مكية.

الا (واصبر نفسك).

[الآيات ١ – ١٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ
بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا
لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟

رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾

وعنه (ع): من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً، وبعثه الله من الشهداء و وقف يوم القيامة مع الشهداء وعن النبي (ص): من قرأ هذه السورة يوم الجمعة غفر الله له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، وأعطي نوراً يبلغ إلى السماء.﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ﴾ أي: الفرقان، تعليم من الخالق للمخلوق كيف يحمده على أجل نعمه عليه الذي به هدايته إلى إصلاح معاشهم ومعادهم ورتب الحمد على إنزاله لأنّه النعمة الكبرى على العالمين لإنتفاعهم به في أمر الدين والدنيا﴿ ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾ أي: فيه ﴿ عوجاً﴾ شيئاً من العوج باختلاف اللفظ وتنافي المعنى كما قال: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)[1] أو بانحراف من الدعوة إلى الحق﴿ قَيِّماً﴾ مستقيماً مستوياً

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢

لا تناقض فيه، أو قيماً بمصالح العباد، أو على الكتب مصدقاً لها وانتصابه بمقدر أي: جعله قيماً، أو على الحال من الكتاب إن كان واو (ولم يجعل) للحال﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً﴾ ليخوف بالكتاب الكفار عذاباً﴿ شَدِيداً﴾ فحذف المفعول الأول للقرينة﴿ مِنْ لَدُنْهُ﴾ صادراً من عنده، وسكّن أبو بكر الدال بإشمام وكسر النون والهاء﴿ وَيُبَشِّرَ﴾ وخففه حمزة﴿ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ هو الجنة بدليل: ﴿ ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ لا إلى نهاية﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ القمي: يعني قريشاً حيث قالوا: أن الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى في قولهم: عزير بن الله، والمسيح بن الله. وكرر الإنذار مخصصاً بهم لعظم كفرهم وحذف المنذر به لسبق ذكره. ﴿ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بهذا القول، وإنما صدر عن جهل وتقليد، أو بالله إذ لوعلموه لم ينسبوا إليه الإتخاذ﴿ وَلا لِآبائِهِمْ﴾ القائلين له من قبلهم﴿ كَبُرَتْ﴾ عظمت مقالتهم هذه، أو الضمير مبهم يفسره: ﴿ كَلِمَةً﴾ وهي تمييز﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾ صفة لها، و وصفها بالخروج من الأفواه توسعاً ومجازاً، وذكر الأفواه تأكيد أي: انهم صرّحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح وأظهروها﴿ إِنْ﴾ ما﴿ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ وافتراء على الله﴿ فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ مهلكها أو قاتلها﴿ عَلى آثارِهِمْ ﴾ بعد توليهم عنك﴿ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن﴿ أَسَفاً﴾ حزناً وغضباً لحرصك على إيمانهم مفعول له أو مصدر﴿ إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الأشجار والأنهار والحيوان والمعادن والجمادات وسائر النبات﴿ زِينَةً﴾ حلية لها ولأهلها﴿ لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبرهم أي: نعاملهم معاملة المختبر﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فيه، وهو الأزهد فيه ومن لا يغتر به، وقيل: إن معنى الإبتلاء الأمر والنهي إذ بهما يظهر المطيع من العاصي، وقيل: أراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض، وقيل: أراد العلماء والأنبياء، وفي الآية تسكين للنبي (ص) ودلالة على انه تعالى أراد من الخلق العمل الصالح، وأنّ أفعالهم

حادثة منهم وإلا لما صح الابتلاء فبطل قول الجبرية﴿ وإِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها﴾ من زينتها﴿ صَعِيداً جُرُزاً﴾ تراباً مستوياً بالأرض يابساً لا نبات عليه. وعن الباقر (ع): لا نبات فيها وهو تزهيد في الدنيا وتنبيه على المقصود من حسن العمل﴿ أَمْ﴾ بل ﴿ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ﴾ الغار الواسع في الجبل﴿ والرَّقِيمِ﴾ إسم الوادي، أو الجبل الذي فيه كهفهم أو قريتهم، أو لوح رقمت فيه قصّتهم وجعل بالباب، وقيل: أصحاب الرقيم: ثلاثة أنفار دخلوا غاراً فانحطت صخرة سدّت بابه فقالوا: ليدع الله كل واحد منا بحسنة عملها لعلّه يفرج عنا، ففعلوا فنجوا﴿ كانُوا مِنْ آياتنا عَجَباً﴾ فلخلق السموات والأرض أعجب من قصتهم، بل خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر أعجب﴿ إِذْ أوى﴾ اذكر إذ التجأ﴿ الْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى كـ(صبى) وهوالشاب الكامل﴿ إلى الْكَهْفِ﴾ هرباً بدينهم من دقيانوس وقد ادّعى الربوبية، وكانوا من خواصّه ويسرّون الإيمان﴿ فَقالُوا رَبَّنا آتنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو﴿ وهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا﴾ الذي نحن عليه من مفارقة الكفار﴿ رَشَداً﴾ نكون به راشدين مهتدين﴿ فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ﴾ حجاباً يمنع السماع بتسليط النوم بحيث لا تنبههم الأصوات، قيل: هذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ، يقال ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف﴿ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرفان لـ(ضربنا)﴿ عَدَداً﴾ ذات عدد ﴿ ثُمَّ بَعَثْناهُمْ﴾ أيقظناهم﴿ لِنَعْلَمَ﴾ ليظهر معلومنا﴿ أي الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين في مدّة لبثهم منهم أو من غيرهم، ولتضمنه الإستفهام علق بعلم فهو مبتدأ خبره: ﴿ أَحْصى﴾ فعل ماض أي: ضبط﴿ لِما لَبِثُوا﴾ للبثهم حال من المفعول وهو﴿ أَمَداً ﴾ أي: غاية ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد (ص) ﴿ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شباب، وعن الصادق (ع): كانوا شيوخاً فسمّاهم الله فتية بإيمانهم. وعنه (ع): من آمن بالله

واتقى فهو الفتى﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ بالتوفيق والثبات ﴿ ورَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ قوّيناها وشددنا عليها حتى صبروا على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران[1] ﴿ إِذْ قامُوا﴾ بين يدي دقيانوس الجبار، أو خلف المدينة ﴿ فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَماوات والأرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِه إلهاً لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً﴾ قولاً ذا شطط أي: بُعْد مفرط عن الحق أن دعونا إلهاً غيره﴿ هؤُلاءِ﴾ مبتدأ﴿ قَومُنَا﴾ عطف بيان، أي: أهل بلدنا﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِه آلِهَةً﴾ خبره ﴿ لولا﴾ هلاّ﴿ يَأْتونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم﴿ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة. ويفيد بطلان كل دين لا دليل عليه، ومنع التقليد﴿ فَمَنْ﴾ أي: لا أحد﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ بنسبة الشريك إليه.

[سورة الكهف الآيات ١٦ - ٢٠]

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ

---

(١) غيران: جمع (غار).

ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿ وإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب بعضهم لبعض قاله رئيسهم لهم، يعني تنحيتم عن عبدة الأصنام جانباً﴿ وما يَعْبُدُونَ﴾ أي: ومعبوديهم﴿ إلاَّ اللَّهَ﴾ متصل، لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، أو منقطع، أي: لكن الله لم يتركوا عبادته﴿ فَأووا إلى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يبسطها لكم في الدارين﴿ ويُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مرفَقاً﴾ ما ترتفقون به أي: تنتفعون، قالوا ذلك ثقة بفضله تعالى، وفتح نافع وابن عامر (الميم) وكسر (الفاء) وعكس غيرهما. وفيها دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وقبح المقام في دار الكفر﴿ وتَرَى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتها﴿ إذا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ تميل عنه، وأصله: (تتزاور) أدغمت التاء في الزاء وحذفها الكوفيون، وقرأ ابن عامر (تزورّ) كـ(تحمرّ)﴿ ذاتَ الْيَمِينِ﴾ ظرف أي: الجهة المسماة باليمين ﴿ وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم وتجوزهم﴿ ذاتَ الشِّمالِ﴾ فلا تصيبهم وتؤذيهم،

لأن باب الكهف كان مستقبلاً للقطب الشمالي فتميل عنهم طالعة وغاربة، أو لأن الله أمالها عنهم﴿ وهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ﴾ في متسع من الكهف ينالهم روح النسيم﴿ ذلكَ﴾ أي: إيواؤهم إلى الكهف وحفظهم، أو ميل الشمس عنهم﴿ مِنْ آيات اللّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿ مَنْ يَهْدِ اللّهُ﴾ بلطفه﴿ فَهُو الْمُهْتَدِ﴾ كأهل الكهف، وأثبت نافع وأبوعمرو الياء وصلاً ﴿ ومَنْ يُضْلِلْ﴾ يخذله﴿ فَلَنْ تَجدَ لَهُ ولِيًا مُرْشِداً﴾ من يليه ويرشده ﴿ وتَحْسَبُهُمْ إيقاظاً﴾ لانفتاح عيونهم ـ كما عن الباقر (ع) ـ أو لتقلبهم﴿ وهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام ﴿ ونُقَلِّبُهُمْ﴾ في رقدتهم﴿ ذاتَ الْيَمينِ وذاتَ الشِّمالِ﴾ في كل عام مرتين كي لا تأكلهم الأرض﴿ وكَلْبُهُمْ﴾ وإسمه قطمير، وكان كلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه كلبه ، وقيل: كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فقال: انا أحب أولياء اللّه فناموا حتى أحرسكم﴿ باسِطٌ ذِراعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية ولذا عمل﴿ بِالْوصِيدِ﴾ بفناء الكهف، أو العتبة أو الباب، لم ينم ولم يقم، وقيل: هو مثلهم في النوم والتقلّب﴿ لَو اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ورأيتهم﴿ لَولَّيْتَ﴾ هربت﴿ مِنْهُمْ فِراراً﴾ مصدر لأنه بمعنى التولية، أو علة ﴿ ولَمُلِئْتَ﴾ مليء قلبك، وشدّده نافع وابن كثير﴿ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ وضمّه ابن عامر والكسائي أي: خوفاً لهيبة ألبسهم اللّه أياها، أو لعظم إجرامهم وانفتاح عيونهم، قال ابن عبّاس: غزا معاوية الروم فمرّ بالكهف فقال: لو كشف لنا عنهم فرأيناهم؟ فقلت له: قد منع ذلك من هو خير منك قال: تعالى: (لواطّلعت...) الآية فلم يقبل، فبعث أناساً فدخلوا فأتت ريح فأحرقتهم﴿ وكَذلكَ﴾ كما أنمناهم بقدرتنا﴿ بَعَثْناهُمْ﴾ أيقظناهم﴿ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن مدة لبثهم فيعرفوا صنع اللّه بهم فيزدادوا يقيناً ﴿ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوماً أو بَعْضَ يَومٍ﴾ بناء على غالب ظنهم المستفاد من النوم المعتاد إذ لا ضبط للنائم، ثم ردّوا العلم إلى اللّه﴿ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ

بما لَبِثْتُمْ﴾ قيل: قالوا ذلك لما رأوا من طول أظفارهم وشعورهم، وقيل: دخلوا الكهف غدوة وبعثوا عصره فظنوه يومهم، أو الذي بعده فترددوا فيهما فلمّا رأوا تغير أحوالهم قالوا: هذا، ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى العلم به أخذوا فيما يهمهم وقالوا: ﴿ فَابْعَثُوا أحدكُمْ بِورِقِكُمْ هذِهِ﴾ الورق الفضة، مضروبة كانت أم لا، وسكن الراء أبوعمرو وأبو بكر وحمزة وكسرها غيرهم وتزودهم يفيد أنه لا ينافي التوكل فإن التوكل عبارة عن عدم الإعتماد على الأسباب لا عن إلغائها ﴿ إلى الْمَدِينَةِ﴾ أفسوس، أو طرسوس﴿ فَلْيَنْظُرْ أيها﴾ أيّ أهلها﴿ أزْكى طَعاماً﴾ أحل وأطيب وأطهر، وعن الباقر (ع): أزكى طعاماً التمر. والقمي: يقول أيها أطيب طعاماً ويستفاد منه أن البارز راجع إلى الأطعمة دون المدينة﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في التخفي لئلا يعرف﴿ ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أحداً لا يفعل ما يوجب الشعور﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا﴿ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرّجم ﴿ أو يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ من العود بمعنى: الرجوع أو الصيرورة ﴿ ولَنْ تُفْلِحُوا إذاً أَبَداً﴾ إن عدتم في ملتهم. فإن قيل : المكره على الكفر معذور فكيف صحّ أنه لا يفلح أبداً؟ قيل: لعل التقية فيإظهار الكفر غير جائزة على شريعتهم .

[سورة الكهف الآيات ٢١ – ٢٧]

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

﴿ وكَذٰلِكَ﴾ كما أنمناهم وبعثناهم﴿ أعْثَرْنا أطلعنا عَلَيْهِمْ﴾ أهل المدينة ﴿ لِيَعْلَمُوا﴾ أي: المطّلعون عليهم﴿ أنّ وعْدَ اللّه﴾ بالبعث ﴿ حَقٌّ﴾ فإن من قدر على إنامتهم وإيقاظهم قادر على الموت والبعث﴿ وأنّ السّاعَةَ﴾ القيامة ﴿ لا رَيْبَ فيها﴾ لا شك في إمكانها لأنّها كأيقاظهم من رقدتهم الطويلة بالنسبة إلى قدرته تعالى، وفي النبوي: كما تنامون تستيقظون وكما تموتون تبعثون. وفي آخر: النوم أخ الموت. قيل : لما دخل المبعوث بالورق إلى السوق وأخرج درهما دقيانوسياً اتّهموه بوجدان كنز، فأتوا به الملك وكان نصرانياً عادلاً فقصّ عليه قصتهم، فقال بعض: أخبرنا آباؤنا أن

فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء، فانطلق الملك بالناس فلما دنوا من الكهف إستوقفهم الفتى ليدخل أولاً لئلا يفزعوا، فدخل فدعوا اللّه أن يميتهم فماتوا وطمس على الباب فلم يره الناس﴿ إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم من بعث الأرواح فقط، أو مع الأجساد، أو أمر الفتية حين ماتوا بعد الإطلاع عليهم، فقال بعض: ماتوا، وقال بعض: ناموا كأوّل مرّة، أو في البناء حولهم﴿ فَقالُوا﴾ أي: الكفار، ﴿ ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ حولهم﴿ بُنْياناً﴾ يسترهم من الناس﴿ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض من اللّه تعالى رداً على المتنازعين على عهدهم، أو عهد الرسول (ص)، أو من المتنازعين إذ لم يتحققوا حالهم فردّوه إلى اللّه﴿ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ﴾ على أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ نصلّي فيه، فبنوه في جهة باب الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل المدينة وملكهم ـ كما في حديث القمي ـ أو الخائضون في قصتهم في زمن النبي (ص)﴿ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قيل: هو قول إليهود، أو قول السيّد من نصارى نجران﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهو قول النصارى، أو العاقب منهم﴿ رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ قذفاً بالظن من غير يقين مفعول له، أو مصدر، ويرجع إلى القولين. ولم يذكر بالسين إكتفاء بالمعطوف عليه﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهو قول المؤمنين علموه من النبي (ص) بإيحاء اللّه إليه لردّ القولين الأولين باتباعهما رجماً بالغيب فتعين الثالث، ولزيادة الواو في الجملة الوصفية تأكيداً للصوق الصفة بالموصوف ودلالة على ثبوتها ولأتباعه بقوله: ﴿ قُلْ رَبِّي﴾ وفتح الحرميان وابوعمرو الياء﴿ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ ولا ريب أن النبي (ص) من ذلك القليل. وعن علي (ع): أنهم سبعة أحدهم الراعي وثامنهم كلبهم. وعن الصادق (ع): يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن

نون وسلمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً. ﴿فَلا تُمارِ فِيهِمْ﴾ لا تجادل في شأن الفتية ﴿إلاَّ مِراءً ظاهِراً﴾ غير متعمق فيه وهو أن تتلو عليهم ما أوحي إليك بلا تعسّف ﴿ولا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحداً﴾ لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن شأن الفتية فإنك أعلم بهم منهم بما أوحينا، إليك أو النهي لغيره (ص) فأنه كان واثقا بخبره تعالى. القمي: يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم ﴿ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ لأجل شيء تعزم عليه ﴿إنِّي فاعِلٌ ذلكَ غداً﴾ أي: فيما تستقبل ﴿إلاَّ أنْ﴾ أي: بأن ﴿يَشاءَ اللَّهُ﴾ إلا متلبساً بمشيّته قائلاً: «ان شاء اللّه تعالى»، قيل: هو نهي تأديب له (ص) حين سئل عن قصة أهل الكهف وذي القرنين فقال: أخبركم غداً ولم يستثن، فاحتبس الوحي عليه أياماً حتى شق عليه ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيته مستثنياً بها إذا نسيت الإستثناء ثم تذكرته، وعن الصادق (ع): ما لم ينقطع الكلام. وعنه (ع) في الآية: ذاك في اليمين إذا قلت: واللّه لا أفعل كذا وكذا، فإذا ذكرت إنك لم تستثن فقل: إن شاء اللّه ولعل الخطاب له (ص) والمراد غيره لعصمته إن تحقق أنه مناف للعصمة ﴿وقُلْ عَسى أنْ يَهْدِيَنِ﴾ واثبت ابن كثير الياء مطلقاً ونافع وأبوعمرو وصلاً ﴿رَبِّي لأقْرَبَ مِنْ هذا﴾ من نبأ أهل الكهف ﴿رَشَداً﴾ أي: لما هو أظهر منه دلالة على نبوتي وقد فعل فعلّمه غيوب أحوال الرسل والحوادث النازلة إلى قيام الساعة ﴿ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ نياماً ﴿ثَلاثَ مِائَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾ بدل من (ثلاث مائة) وأضافها حمزة والكسائي على وضع الجمع موضع الواحد ﴿وازْدَادُوا تِسْعاً﴾ تسع سنين وهذا بيان ما أجمل قبل من مدّة نومهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد (ص)إن حاجّك أهل الكتاب في ذلك ﴿اللَّهُ أعْلَمُ بِما لَبِثُوا﴾ فخذوا بما أخبر به، قيل: سأل يهودي علياً (ع): عن ذلك فأخبره بما في القرآن، فقال: في كتبنا ثلاث مائة، فقال (ع): ذلك بسني

الشمس وهذا بسني القمر. ومن هذا الخبر يظهر السرّ في فضل التسع على الثلاثمائة ﴿ لَهُ غَيْبُ السَماوات والأرْضِ﴾ له علم ما غاب فيهما مختصاً به دون غيره﴿ أَبْصِرْ به ﴾ أي: بالله﴿ وإسمعْ﴾ به صيغتا تعجّب بمعنى ما أبصره وما إسمعه أريد بهما المبالغة في إدراكه المبصرات والمسموعات و(الهاء) فاعل و(الباء) زائدة وأصله: (أبصر أي: صار ذا بصر، فنقل إلى صيغة الأمر فبرز الضمير لزيادة الباء، أو مفعول والفاعل ضمير المأمور وهوالسامع. و(الباء) زائدة إن كانت (الهمزة) للتّعدية، ومعدّية إن كانت للصيرورة﴿ ما لَهُمْ ﴾ لأهل السماوات والأرض﴿ مِنْ دُونِه مِنْ ولِيّ﴾ يتولى أمورهم﴿ ولا يُشْرِكُ فِي حُكْمِه ﴾ في قضائه﴿ أحداً﴾ منهم، وقرأ ابن عامر بالباء والجزم نهياً لكل أحد﴿ واتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ﴾ القرآن المشتمل على القصص الغريبة والأمور العجيبة من خبر أهل الكهف وغيرهم ولا تسمع لقولهم: ائت بقرآن غير هذا أو بدّله ﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماته﴾ لا أحد يقدر على تغيير ما أخبر الله به وأمر، أي: لحكم كلماته﴿ ولَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحَداً ﴾ ملجأ تعدل إليه.

[سورة الكهف الآيات ٢٨ -٣٤]

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ

يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها وثبتها﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغداةِ والْعَشِيِّ ﴾ في عامة أوقاتهم، وقرأ ابن عامر بالغدوة وغدوة علم فاللام فيه على تأويل تنكيره ﴿ يُرِيدُونَ وجْهَهُ﴾ رضاه لا غير وهم فقراء المؤمنين﴿ ولا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم من الأغنياء الكفرة الذين دعوك إلى طردهم حتى يؤمنوا، وعدّي بـ(عن) لتضمنه معنى: تنصرف﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياة الدُّنْيا﴾ حال من الكاف أي: مريداً زينة الأشراف طمعاً في إيمانهم﴿ ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ﴾ نسبناه إلى الغفلة، أو وجدناه غافلاً﴿ عَنْ ذِكْرِنا﴾ بدلالة ﴿ واتَّبَعَ هَواهُ ﴾ بالواو دون الفاء

﴿ وكانَ أمْرُهُ فُرُطاً﴾ متقدماً على الحق ومنه الفرط ﴿ وقُلِ﴾ يا محمد (ص) ﴿ الْحَقُّ﴾ الدين الحق حصل ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أو هذا القرآن هو الحق منزلاً من ربكم ﴿ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ عن الصادق (ع): هو وعيد، أقول: يدل على نفي الجبر ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمينَ﴾ الكافرين ﴿ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾ فسطاطها شبّه به النار المحيطة بهم، أو دخانها ولهبها، أوحائط من نار ﴿ وإِنْ يَسْتَغيثُوا﴾ من العطش ﴿ يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كالنحاس المذاب ﴿ يَشْوي الْوجُوهَ﴾ إذا قرب ليشرب، صفة أخرى لـ(ما) ، أو حال من (المهل) ﴿ بِئْسَ الشَّرابُ﴾ هو ﴿ وساءَتْ﴾ النار ﴿ مُرْتَفَقاً﴾ متكأ من المرفق، يقال: ارتفق أي: اتكأ على مرفقه وهو لمقابلة (وحسنت مرتفقا) وإلا فأيّ ارتفاق في النار؟ وقيل: ساءت مجتمعاً من المرافقة، وقيل: منزلاً ومستقراً، والقمي: المهل الذي يبقى في أصل الزيت المغلي ﴿ إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ﴾ وخبر (ان) قوله: ﴿ إِنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ بتقدير عائد، أي: منهم أو وضع الظاهر موضعه، أي: أجرهم لأنهم أحق بوصف من أحسن عملاً، أو الخبر ﴿ أولئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وما بينهما إعتراض وعلى الأول خبر ثان أو إستئناف لبيان الأجر ﴿ تَجْري مِنْ تَحْتِهِمُ الأنْهارُ يُحَلَّونَ فيها مِنْ أَساوِرَ﴾ جمع (أسورة) وهي جمع (سوار)، و(من) للإبتداء ﴿ مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان لـ(أساور) ﴿ ويَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً﴾ وهي أبهى الألوان ﴿ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ هو ما رقّ من الديباج ﴿ وإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه ﴿ مُتَّكِئينَ فيها عَلَى الأرائِكِ﴾ كهيئة الملوك جمع (أريكة) وهي: السرير في الحجلة وهي بيت زيّن للعروس ﴿ نِعْمَ الثَّوابُ﴾ الجنة ﴿ وحَسُنَتْ﴾ الأرائك ﴿ مُرْتَفَقاً﴾ متكئاً، أو منزلاً ومجلساً مجتمعاً ﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾ للكافر والمؤمن ﴿ رَجُلَيْنِ﴾ بدل،

القمي: نزلت في رجل كان له بستانان كبيران عظيمان كثير الثمار كما حكى الله عزّ وجلّ: (وفيهما نخل وزرع وماء)[1] وكان له جار فقير، فافتخر الغني على الفقير. وقيل: هما أخَوان من بني إسرائيل كافر ومؤمن، ورثا من أبيهما مالاً فاشترى الكافر به ضياعاً وعقاراً، وتصدق المؤمن به﴿ جَعَلْنا لأحدهما جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين، والجملة صفة (رجلين)﴿ مِنْ أعْنابٍ﴾ كروم﴿ وحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ﴾ جعلنا النخل مطيفاً بهما، و(الباء) لتعديته إلى مفعول ثان﴿ وجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾ فهما جامعتان للفواكه والأقوات والمنافع المتواصلة﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾ ثمرها. وأفرد الضمير لإفراد (كلتا) لفظاً﴿ ولَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص﴿ مِنْهُ﴾ من﴿ أُكلها شَيْئاً﴾ بل أدّته تماماً﴿ وفَجَّرْنا خِلالَهُما﴾ وسطهما﴿ نَهَراً﴾ يسقيهما بسهولة ويزيدهما نضارة﴿ وكانَ لَهُ﴾ مع جنتيه﴿ ثَمَرٌ﴾ أموال مثمرة نامية. وفتح عاصم الثاء والميم وضمّ أبو بكر الثاء وسكّن الميم وضمهما الباقون، وكذا الآتي جمع (ثمرة) كـ(شجر وبدن وخشب) لـ(شجرة وبدنة وخشبة)﴿ فَقالَ﴾ لصاحبه المؤمن﴿ وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾ يراجعه الكلام من حار أي: رجع ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأَعَزُّ نَفَراً﴾ رهطاً، أو خدماً، أو ولداً.

[سورة الكهف الآيات ٣٥-٤٥]

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا

---

(١) لا توجد آية في القرآن الكريم بهذا اللفظ، وإنما قال تعالى: (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعا) كما سيأتي في تفسير الآية ٣٢ من سورة الكهف.

مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿ ودَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يريه ما فيها ويفاخره بها. وأفرد (الجنّة) لأنهما في حكم الواحدة لتواصلهما﴿ وهُو ظالِمٌ لِنفْسِهِ﴾ بكفره﴿ قالَ ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ﴾ تفنى

﴿ هذه ﴾ الجنة﴿ أَبَداً﴾ اغتراراً بما هو فيه﴿ وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً﴾ كائنة﴿ ولَئِنْ رُدِدْتُ﴾ إلى ربِّي فرضاً كما تزعم﴿ لأَجِدَنَّ خيراً مِنْها﴾ أي: الجنة. وقرأ الحرميّان وابن عامر منهما أي: الجنتين﴿ مُنْقَلَباً﴾ مرجعاً أقسم على ذلك اعتقاداً أنه إنما أعطاه الله ذلك لاستحقاقه له فهو يجده حيث كان وهذا من الغرور﴿ قالَ لَهُ صاحِبُهُ وهُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ﴾ لأنّه مادّة أصله آدم، أو النطفة﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هي مادّتك القريبة﴿ ثُمَّ سَواكَ﴾ عدّلك وكمّلك﴿ رَجُلاً﴾ رتب إنكار كفره بالله على خلقه من تراب الدالّ على أن من قدر على البدء قدر على الإعادة، لأن كفره به إنما كان بإنكار قدرته على الإعادة﴿ لكِنَّا﴾ أصله: لكن أنا، حذفت الهمزة وأدغمت النون في النون، وأثبت ابن عامر الألف مطلقاً، وغيره وقفاً فقط﴿ هُوَ﴾ ضمير الشأن يفسره الجملة بعده التي هي خبره، والتقدير: أنا أقول هو﴿ اللَّهُ رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أحداً﴾ سواه﴿ ولَوْلا﴾ وهلاّ ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ وأعجبت بها ﴿ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر ما شاء الله، أو ما شاء كائن فـ(ما) موصولة، أو أيّ شيء شاء كان فهي شرطية حذف جزاؤها﴿ لا قُوَةَ إلاّ بِاللَّهِ﴾ إعترافاً بأنك إنما عمرتها بإقداره لا بقوتك﴿ إِنْ تَرَنِ﴾ واثبت ابن كثير الياء مطلقاً ونافع وابوعمرو وصلاً﴿ أَنَا﴾ ضمير فصل، أو تأكيد للتاء﴿ أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وولَداً﴾ أي: فقيراً قليل المال والولد﴿ فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ﴾ واثبت ابن كثير الياء مطلقاً ونافع وابوعمرو وصلاً ﴿ خيراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾ عاجلاً أو آجلاً، وهو جواب الشرط﴿ ويُرْسِلَ عَلَيْها﴾ على جنتك﴿ حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾ جمع (حسبانة) وهي: سهم صغير يعني الصواعق، أو مصدر بمعنى الحساب أي: الحكم بتحريمها، أو عذاب حساب ما كسبت ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾ أرضاً ملساء يزلق عنها القدم﴿ أو يُصْبِحَ ماؤُها غَوراً﴾ غائرا

﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ حيلة تردّه بها﴿ وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أهلكت أمواله وجنته، من أحاط به العدو إذا غلبه وأهلكه ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ تحسراً وندماً﴿ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها﴾ في عمارتها﴿ وهِيَ خاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿ عَلى عُرُوشِها﴾ دعائم كرومها سقطت وسقطت عليها الكروم﴿ ويَقُولُ يا﴾ للتنبيه،﴿ لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحداً﴾ ندم على شركه وتاب، وقيل: لم يندم عليه بل تمنى انه لم يشرك لتدوم له جنّته﴿ ولَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ جماعة. وقرأ حمزة والكسائي بالياء﴿ يَنْصُرُونَهُ﴾ يمنعونه من انتقام اللّه﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فإنّه وحده القادر على ذلك﴿ وما كانَ مُنْتَصِراً ﴾ ممتنعاً بقوته﴿ هُنالِكَ﴾ في ذلك المقام، أو يوم القيامة﴿ الوَلايَةُ﴾ بفتح الواو النصرة وكسرها حمزة والكسائي أي: الملك﴿ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وحده لا نصرة، أو لا ملك لغيره. ورفع ابوعمرو والكسائي(الحق) صفة للولاية﴿ هُو خَيْرٌ ثَواباً﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب﴿ وخَيْرٌ عُقْباً﴾ عاقبة للمؤمنين وسكنه عاصم وحمزة ونصبهما على التمييز﴿ واضْرِبْ لَهُمْ﴾ اذكر لقومك﴿ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ صفتها﴿ كَماءٍ﴾ هي كماء أو صير مثلها كماء ﴿ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ فالتف بسببه﴿ نَباتُ الأَرْضِ﴾ أو امتزاج الماء بالنبات فروي ورقّ إذ الإختلاط يكون من الجانبين﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾ كسيراً مفتتاً ﴿ تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾ تطيّره وتذهبه والمشبه به الكيفية المنترعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر راقاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن، فإنقلاب الدنيا كإنقلاب هذا النبات﴿ وكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء﴿ مُقْتَدِراً﴾ قادراً لا يجوز عليه المنع، أو مقتدراً على كل شيء.

[سورة الكهف الآيات ٤٦ - ٥٣]

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا

بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿ الْمالُ والْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ يتفاخر بهما ويتزين بهما في الدنيا لا ينتفع بهما في الآخرة. وإنّما سمّيا (زينة) لأن في المال جمالاً وفي البنين قوة وكلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع بهما في الآخرة﴿ والْباقِياتُ الصَّالِحاتُ﴾ أعمال الخيرات وجملة الطاعات، ويعم ما فسّر به من الصلوات الخمس ومودّة أهل البيت (ع)﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين﴿ ثَواباً﴾ عائدة﴿ وخَيْرٌ أَمَلاً﴾ لينيل فاعلها ما يأمله بها. عن الصادق (ع): ان الباقيات الصالحات هي الصلاة فحافظوا عليها. وفي آخر: هي الصلوات الخمس. وعنه (ع): إن من الباقيات الصالحات القيام لصلاة الليل. وروي: أنها التسبيحات الأربع﴿ ويَومَ﴾ واذكر يوم﴿ نُسَيِّرُ الْجِبالَ﴾ في الجو كالسّحاب، أو نذهب بها فنعدمها. وقرأ ابن كثير وابوعمرو وابن عامر بالتاء مبنياً للمفعول﴿ وتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً﴾ لا يسترها جبل ولا غيره، أو بارزاً ما في بطنها﴿ وحَشَرْناهُمْ﴾ جمعناهم إلى الموقف وجيء بالماضي لتحققه﴿ فَلَمْ نُغادِرْ﴾ نترك﴿ مِنْهُمْ أَحداً﴾ من الأولين والآخرين﴿ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا﴾ مصطفين لا يحجب بعضهم بعضاً. عن الصادق (ع): هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض﴿ قَدْ جِئْتُمُونا ﴾ على إضمار القول﴿ كما خَلَقْناكُمْ أولَ مَرَّةٍ﴾ عراة فقراء ليس معكم شيء من المال والولد، لا تملكون نفعاً ولا ضراً ويقال لهم: ﴿ بلْ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوعِداً﴾ وقتاً لإنجاز الوعد بالبعث والجزاء﴿ ووضِعَ الْكِتابُ﴾ جنسه أي: صحائف الأعمال في الإيمان والشمائل، وهو كناية عن الحساب﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من السيئات﴿ ويَقُولُونَ يا ويْلَتَنا﴾ يا هلكتنا دعاء على

أنفسهم بالويل﴿ ما لِهذَا الْكتابِ﴾ أيّ شيء له، تعجب منه﴿ لا يُغادرُ صَغيرَةً ولا كَبِيرَةً﴾ من سيئاتنا﴿ إلاّ أَحْصاها﴾ عدّها وحصاها﴿ ووجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً﴾ مثبتاً في الصحف﴿ ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أحداً﴾ لا يزيد عقاب مسيء ولا ينقص ثواب محسن﴿ وإذْ قُلْنا لِلْمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْليسَ ﴾ ذكر القصة تكريراً للتشنيع على أهل الكبر بأنه من سنن إبليس ﴿ كانَ مِنَ الْجنِّ﴾ إستئناف جواب قائل ما له لم يسجد؟ أو حال بتقدير: قد. ومرّ القول في إبليس في البقرة﴿ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ ربِّه﴾ خرج عن طاعته بترك السجود﴿ أ فَتَتَّخِذُونَهُ﴾ أ عقيب ما بدا منه تتخذونه، استفهام إنكار وتعجيب﴿ وذُرِّيَّتَهُ﴾ بنيه، أو أتباعه سمّوا (ذرية) مجازاً﴿ أولياءَ مِنْ دُوني﴾ تطيعونهم بدل طاعتي﴿ وهُمْ لَكُمْ عَدُو ﴾ أعداء﴿ بِئْسَ لِلظّالمينَ بَدَلاً﴾ من الله إبليس وذريته﴿ ما أشْهَدْتُهُمْ ﴾ ما أحضرت إبليس وذريته﴿ خَلْقَ السَماوات والأرْضِ ولا خَلْقَ أنْفُسِهِمْ﴾ أي: لم استعن بهم على ذلك﴿ وما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُداً﴾ أعواناً في الخلق فكيف تطيعونهم. و وحّد للفواصل و وضع الظاهر موضع الضمير ذماً لهم، واستبعاداً للإعتضاد بهم﴿ ويَومَ يَقُولُ﴾ أي: الله للمشركين. وقرأ حمزة بالنون﴿ نادُوا شُرَكائِيَ﴾ أضيف على زعمهم توبيخاً ﴿ الَّذينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي ليشفعوا لكم﴿ فَدَعَوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم﴿ وجَعَلْنا بَيْنَهُمْ ﴾ بين الكفار وآلهتهم﴿ مَوبِقاً﴾ مهلكاً يعم جميعهم من (وبق): هلك أو جعلنا تواصلهم الدنيوي هلاكاً في الآخرة﴿ ورَأى الْمُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنُّوا﴾ أيقنوا﴿ أنَّهُمْ مُواقِعُوها ﴾ واقعون فيها﴿ ولَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾ معدلاً.

[سورة الكهف الآيات ٥٤ - ٦١]

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

﴿ ولَقَدْ صرّفْنا﴾ بيّنا ﴿ في هذا القُرْآنِ للنّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: مثلاً من جنس كل مثل يحتاجون إليه﴿ وكانَ الإنسانُ﴾ الكافر﴿ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ خصومة بالباطل. وهو تمييز﴿ وما مَنَعَ النّاسَ أنْ يُؤْمِنُوا﴾ من الإيمان﴿ إذْ جاءَهُمُ الهُدى﴾ الدلالة البيّنة﴿ ويَسْتَغْفِرُوا ربَّهُمْ﴾ ومن استغفاره لذنوبهم﴿ إلاّ أنْ تأتِيَهُمْ سُنّةُ الأولينَ﴾ إلا طلب أن تأتيهم سنتنا فيهم من الإهلاك﴿ أو يأْتِيَهُمُ العَذابُ﴾ بالسيف، أو في الآخرة﴿ قُبلاً﴾ عياناً. وقرأ الكوفيون بضمتين وهو بمعناه، أو جمع (قبيل) أي: أنواعاً حال من العذاب﴿ وما نُرْسلُ المُرْسَلينَ إلاّ مُبَشّرِينَ﴾ للمطيعين﴿ ومُنْذرِينَ﴾ للعصاة﴿ ويُجادِلُ الّذينَ كَفَرُوا بالْباطِلِ﴾ بإنكار إرسال البشر ونحوه﴿ لِيُدْحِضُوا﴾ ليبطلوا ويزيلوا﴿ بِهِ﴾ بجدالهم﴿ الحَقَّ واتّخَذُوا آياتي﴾ أي: القرآن﴿ وما أُنْذِرُوا﴾ من النار﴿ هُزُواً﴾ إستهزاء، أو مهزواً به. وهو مفعول ثان﴿ ومَنْ أظْلَمُ مِمّنْ ذُكِّرَ بآياتِ ربِّهِ﴾ بالقرآن﴿ فأعْرَضَ عَنْها﴾ فلم يتعظ بها﴿ ونَسِيَ ما قَدّمَتْ يَداهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي﴿ إنّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أكِنّةً﴾ أغطية﴿ أنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموا القرآن﴿ وفي آذانِهِمْ وقْراً﴾ صمماً فلا يسمعونه، وهو مَثَل لنبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله. وأسند إليه تعالى إيذاناً بتمكنه منهم كالجبلّة[1] ﴿ وإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إذاً أبَداً﴾ وقد وقع ما أخبر به فماتوا كفاراً﴿ وربُّكَ الغَفُورُ﴾ البليغ المغفرة﴿ ذُو﴾ مالك ﴿ الرّحْمَةِ﴾ ولذلك أمهل أعداء رسوله (ص) كما قال: ﴿ لَو يُؤاخِذُهُمْ بما كَسَبُوا لَعَجّلَ لَهُمُ العَذابَ﴾ في الدنيا﴿ بَلْ لَهُمْ مَوعِدٌ ﴾ وهو يوم القيامة﴿ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئلاً﴾ منجى وملجأ يقال: (وال و وال إليه) لجأ إليه ﴿ وتِلْكَ القُرى﴾ أي: أهلها كعاد وثمود وغيرهم وهو منصوب بما يفسره﴿ أهلكْناهُمْ﴾

---

(١) أي: كأنه حاله طبيعية فيهم وكأنهم مفطورون عليها.

أو هما مبتدأ وخبر﴿ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿ وجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بضم الميم أي: لإهلاكهم. وفتحه أبو بكر أي: لهلاكهم، وكسر حفص اللام﴿ مَوعِداً﴾ وقتاً معلوماً ﴿ وإِذْ﴾ واذكر إذ﴿ قالَ مُوسى﴾ ابن عمران﴿ لِفَتاهُ﴾ عن الباقر (ع): هو يوشع بن نون، سمّي (فتاه) لأنه كان يتبعه ويخدمه﴿ لا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير. حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه، أو لا أزول عمّا أنا عليه من السير﴿ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحري فارس والروم﴿ أو أَمْضِيَ حُقُباً﴾ أسير دهراً طويلاً وعن الباقر (ع): الحقب ثمانون سنة. وعن الصادق (ع): قال رجل لموسى (ع): ما أرى أحداً أعلم بالله منك، قال موسى (ع): ما أرى. فأوحى الله إليه: (بل عبدي الخضر فاسأل السبيل إليه) وكان من شأنه ما قصّ الله. وقيل: خطب موسى (ع) الناس فسئل هل أحد أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه: (بل عبدنا الخضر أعلم منك وهو بمجمع البحرين) فقال موسى (ع): كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مِكتَل[1] فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فاخبرني، فمضيا.﴿ فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما﴾ بين البحرين أي: بموضع إجتماعهما﴿ نَسِيا حُوتَهُما﴾ تركاه، أو ضلّ عنهما فسمّي ضلاله (نسياناً) له منهما. وقيل: نسي موسى تعرف حاله ويوشع أن يحمله أو يذكر لموسى ما رأى من حياته، فإنهما لما أتيا الصخرة ناما واضطرب الحوت المشوي وخرج من المكتل وسقط في البحر﴿ فَاتَّخَذَ﴾ الحوت﴿ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ مسلكاً. مفعول ثان، و(في البحر) حال منه، وأصله: الشق في الأرض لا نفاذ له. قيل: أمسك الله جري الماء عن الحوت فصار كالكوة لا يلتئم.

---

(١) المِكتَل: يُصنَعُ من الخوص.

[سورة الكهف الآيات ٦٢ -٧٤]

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا
﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ
إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ
مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ
عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾
قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ
ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين وانطلقا بقية يومهما وليلتهما، فلما كان من الغد ﴿قالَ﴾ موسى (ع) ﴿لِفَتاهُ آتنا غداءَنا﴾ ما يتغدى به، أو طعام الغداة ﴿لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً﴾ تعباً وشدّة. قيل: لم ينصب حتى جاوز الموعد ﴿قالَ أ رَأيتَ﴾ ما وقع ﴿إِذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ تركته، أو نسيت ذكر خبره ﴿وما أنسانِيهُ إلاّ الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ﴾ بدل اشتمال من الهاء، وضمّها حفص ﴿واتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ مفعول ثان أي: سبيلاً يتعجب منه، وقيل: مصدر أضمر فعله، ختم به كلامه، أو أجابه موسى (ع): تعجباً من ذلك. وقيل: اتخذ موسى (ع): سبيل الحوت عجباً ﴿قالَ﴾ موسى (ع): ﴿ذلِكَ﴾ فقد الحوت ﴿ما كُنّا نَبْغِ﴾ نطلبه لأنه علامة لمن نطلبه وأثبت ابن كثير الياء مطلقاً، ونافع وابوعمرو والكسائي وصلاً ﴿فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه يقصان ﴿قَصَصاً﴾ أي: يتبعان آثارهما إتباعاً فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا﴾ قائماً يصلي على الصخرة، وهو الخضر، وإسمه (بليان بن ملكا بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح) ـ كما عن الصادق (ع)ـ ،ويسمّى (الخضر) لأنه إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله. وعن الصادق (ع): كان الخضر نبياً مرسلاً بعثه الله إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آياته انه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا اهتزت خضراء. ﴿آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾ نبوة، أو ولاية ﴿وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾ عن الصادق (ع): كان عنده علم لم يكتب لموسى في

الألواح وكان موسى يظن أن جميع الأشياء التي يحتاج إليها في تابوته وان جميع العلم كتب له في الألواح﴿ قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ واثبت ابن كثير الياء مطلقاً ونافع وابوعمرو وصلاً﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ بضم الراء وسكون الشين، أي: علماً ذا رشد يرشدني إلى الخير. وقرأ ابوعمرو بفتحتين وهما لغتان وهوعلّة لـ(أتبعك) أو ثاني مفعولي (تعلمني) من: عَلِمَ المتعدي إلى واحد، فتعدى بالتضعيف إلى اثنين، وثاني مفعولي علمت العائد المقدّر. ولا ينافي رسالته تعلمه من غيره ما لم يتعلق بأداء ما بعث به من الدين، وتواضعه باستئذانه أن يتبعه، واستجهال نفسه، وسؤاله أن يرشده يدل على غاية التعظيم، وفضل العلم وأهله والأدب﴿ قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ لأن موسى كان يأخذ بالظاهر، والخضر بما علّمه اللّه من الباطن، ولعل كُلاً منهما لا يعلم علم الآخر. وفتح حفص (الياء) في الثلاث﴿ وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خبراً﴾ ما ظاهره منكر ولم تعلم باطنه. و(خبراً) تمييز، أو مصدر لمعنى (لم تحط به) أي: لم تخبره﴿ قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً﴾ على ما أرى منك وفتح نافع الياء﴿ ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ تأمرني به، عطف على (ستجدني) أو صابراً أي: وغير عاص. وقيد بالمشية للتيمن، أو لتجويزه أن لا يصبر لصعوبة الصبر على خلاف المعتاد فلا خُلف﴿ قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي﴾ وشدّد نافع وابن عامر النون، و حذف ابن ذكوان الياء بخلاف عنه﴿ عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره مني ولم تعلم باطنه واصبر ﴿ حَتَّى أحدثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ أبتدئك بتفسيره﴿ فَانْطَلَقا﴾ يمشيان على الساحل ﴿ حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما﴿ خَرَقَها﴾ الخضر بأن قلع لوحاً منها بفأس﴿ قالَ﴾ موسى (ع): ﴿ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهلها﴾ وقرأ حمزة والكسائي (ليغرق) بفتح الياء مسنداً إلى (أهلها)﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ عظيماً منكراً، من أَمِرَ الشيء

عَظُمَ﴿ قالَ أ لَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ فتذكر موسى ما شرط له فاعتذر ﴿ قالَ لا تُؤاخِذْني بما نَسِيتُ﴾ بنسياني، أو بالذي، أو بشيء نسيته أي: مما تركت من وصيتك بأن لا أنكر عليك. وقيل: ما غفلت﴿ ولا تُرْهِقْني﴾ تكلفني﴿ مِنْ أمْري عُسْراً﴾ مشقة في إتّباعي لك، أي: عاملني فيه باليسر﴿ فَانْطَلَقا﴾ بعد ما خرجا من السفينة﴿ حتّى إذا لَقِيا غُلاماً﴾ يلعب مع الصبيان﴿ فَقَتَلَهُ﴾ أضجعه فذبحه، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضربه برجله، فمات﴿ قالَ أ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ طاهرة من الذنوب. وقرأ الكوفيون وابن عامر (زكيّة) وهو أبلغ، وقيل: الزاكية: التي لم تذنب، والزكية: التي أذنبت ثم تابت. ونبّه بذلك على أن القتل انما يباح حداً أو قصاصاً، وكلاهما منتف: فإن الغلام كان غير بالغ ولم يذنب ما يوجب قتله ولم يقتل نفساً فيقاد بها﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ منكراً. وقرأ نافع وابو بكر وابن ذكوان بضمتين.

[سورة الكهف الآيات ٧٥ - ٨٣]

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ

أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ زاد فيه على ما قبله تأكيداً لتكرر الإنكار منه ولم يؤثر فيه التذكير أول مرّة ﴿قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها﴾ بعد هذه المرّة ﴿فَلا تُصاحِبْنِي﴾ لا تتركني أصحبك، وعن يعقوب: فلا تصحبني ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾ في مفارقتك لي حيث خالفتك ثلاثاً ﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهلَ قَرْيَةٍ﴾ هي ناصرة ـ كما عن الصادق (ع) ـ وقيل: انطاكية أو آيلة ﴿اسْتَطْعَما أهلها﴾ سألاهم الطعام ضيافة. وإنما أتى بالظاهر بدل الضمير لأن جملة (استطعما) صفة القرية وتبقى بلا رابط، وإنما لم يقل: (أتيا قرية) إيذاناً بأن مقصودهما للإستطعام أهلها دونها. وقيل: إنما كرّر الأهل ولم يكتف بإضماره ليصرّح بأن من استطعماه انما كانوا من أهل القرية لا من الغرباء الموجودين فيها فيكون تنصيصاً على ما به يزداد قبح فعلهم، أو المراد بـ(الأهل) الثاني غير الأوّل بأن يكون من استطعماهم غير من

أتياهم أول الأمر، أو بأن يراد من الأهل الثاني التجوز أي: من يليق بأن يسمى أهل القرية من بينهم، والمراد الأشراف منهم فيكون أيضاً مبالغة في الذم﴿ فَأَبَوا أَنْ يُضَيِّفُوهُما﴾ يقال ضافه نزل به وضيّفه أنزله﴿ فَوجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ يقرب أن يسقط استعير الإرادة للمشارفة بميلانه﴿ فَأَقامَهُ﴾ دفعه بيده فقام أو نقضه وبناه﴿ قالَ لَو شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ جعلاً نسدّ به جوعنا حيث لم يضيفونا وخفف ابن كثير وابوعمرو التاء وكسر الخاء واظهر ابن كثير وحفص الذال وأدغمه الباقون﴿ قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ﴾ أي: هذا الإنكار سبب فراقنا وهذا الوقت وقته وأضيف المصدر إلى الظرف إتساعاً﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ تبيان باطن﴿ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ لكون ظاهره منكراً﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ﴾ عشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يتكسّبون فيه بالسفينة﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها﴾ أجعلها معيبة﴿ وكانَ وراءَهُمْ مَلِكٌ﴾ قدامهم أو خلفهم ورجوعهم عليه﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿ غَصْباً ﴾ كذا في قراءتهم (ع) قيل: مقتضى الظاهر أن يتأخر فأردت أن أعيبها عن قصد وكان وراءهم لأن إرادة التعييب مسبب عن خوف الغصب ومسكنة الملاّك فرتّبه على أقوى الجزءين وعقّبه بالآخر على جهة التتمة﴿ وأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبواهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وهو كافر وعن الصادق (ع): انه كان يقرأ فكان كافرا وأبواه مؤمنين وعن أحدهما (ع): فكان ابواه مؤمنين وطبع كافرا﴿ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما﴾ يغشاهما﴿ طُغْياناً وكُفْراً﴾ باتباعهما له في طغيانه وكفره لحبّهما له، وقيل: فخشينا قول الله تعالى أي: فعلمنا أو فكرهنا﴿ فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما﴾ وشدّده نافع وابوعمرو أي: ان يرزقهما بدله ولدا﴿ خيراً مِنْهُ زَكاةً﴾ طهارة وصلاحا﴿ وأَقْرَبَ رُحْماً﴾ رحمة بأبويه وهو تمييز كزكاة وعن الصادق (ع): أبدلهما الله تعالى جارية فولدت سبعين نبياً وضم ابن عامر الحاء﴿ وأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي

﴿الْمَدِينَةِ وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾ من ذهب وفضة. وقيل: من كتب العلم. وقيل: لوح من ذهب كتب فيه كلمات وعظ ـ وهو المروي عن الصادق (ع) ـ كان الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: «بسم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله عجبت لمن يعلم ان الموت حق كيف يفرح؟ عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ عجبت لمن يذكر النار كيف يضحك؟ عجبت لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها؟»﴿وكانَ أَبوهُما صالِحاً﴾ عن الصادق (ع): إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة وان الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة. وفي آخر: إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده...الخبر.﴿فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما﴾ أي: الحلم وإيناس الرشد﴿وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ علة لـ(أراد) أو مصدر له لأن إرادة الخير رحمة ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لمباشرته التعييب، وثانياً إلى الله وإليه لأن الإبدال بقتله الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثا إلى الله وحده لعدم دخله في بلوغ الغلامين﴿وما فَعَلْتُهُ﴾ أي: ما فعلت ما رأيته مني ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ ورأيي، بل بأمر الله﴿ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ أي: تستطع فحذف التاء تخفيفاً﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾ أي: اليهود، أو قريش﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الرومي، قيل: هو نبيّ فتح الله على يديه الأرض وقيل: ملك عادل. وعن علي (ع): كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه بالسيف، فغاب عنهم، ثم رجع إليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع): وقيل: سمّي بذلك لأنه مَلِكَ فارس والروم، أوالمشرق والمغرب، أو انقرض وقته قرنان من الناس، أوكان له قرنان أي: ظفيرتان﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من قصته ﴿ذِكْراً﴾ خبراً.

[سورة الكهف الآيات ٨٤ - ٩٧]

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ

حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا ﴿٩٧﴾

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ في التصرف فيها كيف شاء﴿ وآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه﴿ سَبَباً﴾ طريقاً يوصله إلى مراده﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ فأخذ طريقاً نحو المغرب، وقطع الكوفيون وابن عامر الألف وخففوا التاء في الثلاث﴿ حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي: آخر العمارة من جانب المغرب﴿ وجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة وهي: الطين الأسود. وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي (حامية) أي: حميئة فقلبت الهمزة ياء، أو حارّة فلعلها جمعت الوصفين فلا تتنافى القراءتان، وغروبها في العين وهي البحر المحيط في رأي العين وإلا فهي أعظم ﴿ ووجَدَ عِنْدَها﴾ عند العين﴿ قَوماً﴾ كفاراً﴿ قُلْنا﴾ بوحي - إن كان نبياً - وإلاّ فبإلهام ﴿ يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل بكفرهم﴿ وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾ بالهداية إلى الإيمان وقيل: بالأسر﴿ قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالإصرار على شركه﴿ فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أنا ومن معي بالقتل﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿ فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالنار﴿ عَذاباً نُكْراً﴾ منكراً غير معهود﴿ وأَمَّا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى﴾ فعلته الحسنى، أو الإضافة بيانية ونونه حفص وحمزة والكسائي منصوباً حالاً، أي: فله المثوبة الحسنى مجزياً بها، أو مصدراً لفعله المقدر حالاً أي: يجزي بها جزاءاً ﴿ وسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا﴾ مما نأمر به﴿ يُسْراً﴾ ذا يسر أي: نأمره بما يسهل عليه ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ أخذ طريقاً نحو المشرق﴿ حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ إبتداء العمارة من جانب المشرق﴿ وجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَومٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾ من

لباس ولا بناء لأنهم لم يعلموا صنعة البيوت، أو لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم أسراب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند غروبها﴿ كَذلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كما حكينا، أو على قوم مثل ذلك القبيل الذين عند مغرب الشمس في الحكم﴿ وقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ﴾ من الجند والعدّة والأسباب ﴿خبراً﴾ علماً﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ طريقاً ثالثاً أخذاً من الجنوب إلى الشمال﴿ حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان بمنقطع أرض الترك، سد الإسكندر ما بينهما وضم السين نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبوبكر﴿ وجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَولاً﴾ أي: لا يفهمونه إلاّ بعد بطء لغرابة لغتهم وضم حمزة والكسائي الياء وكسر القاف، أي: لا يُفهِمون أحداً كلامهم﴿ قالُوا﴾ بترجمان﴿ يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ﴾ إسمان أعجميان لقبيلتين من ولد يافث بن نوح لمنع الصرف، وقيل: عربيان من(أجّ) أي: أسرع وأصله الهمز، وبه قرأ عاصم. ومنع صرفه للتعريف والتأنيث﴿ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالقتل والنهب والإتلاف، قيل: كانوا يخرجون الربيع فيأكلون كل أخضر ويحملون كل يابس، وقيل: يأكلون الناس وما دبّ ودرج﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ شيئاً نخرجه لك من مالنا، وقرأ حمزة والكسائي (خراجاً)﴿ عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ حاجزاً فلا يخرجون علينا، وضم نافع وابن عامر وأبوبكر﴿ قالَ ما مَكَّنِّي﴾ وقرأ ابن كثيراً بنونين بلا إدغام﴿ فِيهِ رَبِّي﴾ من المال والملك﴿ خَيْرٌ﴾ مما تجعلونه لي من الخرج ولا حاجة بي إليه﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوةٍ﴾ بما أتقوى به من عمل وآلة﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ حاجزاً حصيناً متراكباً بعضه على بعض﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطَعَه، على قدر الحجارة التي يبنى بها ولا ينافي ردّ الخرج والاقتصار على الإعانة لأن إعطاء الآلة من الإعانة لا الخرج، أو لأن الإيتاء بمعنى: المناولة بشهادة قراءة أبي بكر (ردماً ائتوني) بكسر التنوين ووصل الهمزة أي: جيئوني على حذف

الباء من (زبر)﴿ حَتَّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بين جانبي الجبلين بنضد الزبر وجعل الفحم بينهما وضم ابن كثير وابن عامر والبصريان الحرفين وضم ابوبكر الصّاد وسكن الدال﴿ قالَ انْفُخُوا﴾ بالمنافخ في النار في الحديد، فنفخوا﴿ حَتَّى إِذا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديد ناراً كالنار﴿ قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ نحاساً مذاباً، تنازعه الفعلان فأعمل الثاني وحذف من الأول إذ لو أعمل الأول لأضمر في الثاني، وقرأ حمزة وأبوبكر (ائتوني) بوصل الهمزة فأفرغ النُحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار جبلاً صَلداً[1]﴿ فَمَا اسْطاعُوا﴾ بحذف التاء استثقالاً وادغمها حمزة في الطاء فجمع ساكنين لا على حدة﴿ أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه لإرتفاعه وملاسته﴿ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ خرقاً لصلابته وثخنه. قيل: كان ارتفاعه مائتي ذراع وثخنه خمسين.

[سورة الكهف الآيات ٩٨ - ١١٠]

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

---

(١) صلداً: صلباً.

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

﴿ قالَ ذوالقرنين﴾ هذا أي: السدّ والإقدار عليه﴿ رَحْمَةٌ ﴾ نعمة ﴿ مِنْ رَبِّي﴾ على عباده﴿ فَإِذا جاءَ وعْدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج﴿ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ مدكوكاً مُسوّىً بالأرض مصدر بمعنى مفعول ومدّه الكوفيون غير منون أي: أرضاً مستوية، قيل: يكون ذلك بعد قتل عيسى (ع): الدّجال﴿ وكانَ وعْدُ رَبِّي حقاً ﴾ كائناً البتة[1] ﴿ وترَكْنا بَعْضَهُمْ يَومَئِذٍ ﴾ جعلنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجهم﴿ يَمُوجُ﴾ يختلط﴿ فِي بَعْضٍ ﴾كموج البحر لكثرتهم، أو بعض الخلق الجن والإنس يختلط

---

(١) البته: أي على نحو الجزم والقطع.

بعض مضطربين منهم ويعضده: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ لقيام السّاعة ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ ﴾ أي: الخلائق للجزاء ﴿ جَمْعاً وعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً ﴾ أبرزناها لهم ﴿ الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ عن آياتي التي يعتبر بها ما ذكر ﴿ وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ أي: يعرضون عن استماع ذكري والقرآن بغضاً له فكأنهم صمّوا عنه ﴿ أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي ﴾ الملائكة وعيسى وعزير ﴿ مِنْ دُونِي أولياءَ ﴾ آلهة، مفعول ثان لـ(يتخذوا) وحذف ثاني مفعولي (حسب) للقرينة أي: أفظنّوا إتخاذهم المذكور نافعاً لهم ولا أعاقبهم عليه؟ كلا. وفتح نافع وابوعمرو الياء ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً ﴾ أي: هيأناها لهم كالشيء المهيأ للضيف ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ﴾ تمييز جمع لمطابقة المميز، أو لتنوعه ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ بطل عملهم لكفرهم وعجبهم، رفع خبر محذوف، أو جر بدلاً، أو نصب ذماً ﴿ وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ عملاً لزعمهم أنهم على حق ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ ﴾ بدلائله من القرآن وغيره ﴿ ولِقائِهِ ﴾ بلقاء جزائه ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ ﴾ بطلت بكفرهم ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَومَ الْقِيامَةِ وَزْناً ﴾ أي: لا نجعل لهم قدراً، بل نهينهم ونعاقبهم ﴿ ذلِكَ ﴾ الأمرالمذكور من حبوط أعمالهم وإهانتهم ﴿ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ وذلك مبتدأ والجملة خبره بتقدير عائد، أي: جزاؤهم به، أو جزاؤهم بدله، و(جهنم) خبره ﴿ بِما كَفَرُوا واتَّخَذُوا آياتي ورُسُلِي هُزُواً ﴾ مهزواً بهما ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ ﴾ في علم الله ﴿ جَنَّاتُ الْفِرْدَوسِ ﴾ هو أعلى درجات الجنة. والإضافة بيانية ﴿ نُزُلاً ﴾ منزلاً ﴿ خالِدِينَ فِيها ﴾ لا يَبْغُونَ ﴾ لا يطلبون ﴿ عَنْها حِوَلاً ﴾ محولاً إلى غيرها إذ لا أطيب منها ﴿ قُلْ لَوكانَ الْبَحْرُ ﴾ أي: ماؤها ﴿ مِداداً ﴾ يكتب به وهو إسم ما يمدّ به الشيء ﴿ لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي﴾ فإنها لا تنفد لعدم تناهيها كعلمه. وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿ ولَوجِئْنا بمِثْلِه ﴾ أي: البحر﴿ مَدَداً﴾ زيادة فيه لنفد ولم تنفد هي، ونصب تمييزاً ﴿ قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي﴿ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحد﴾ أي: يوحى (إليّ) وحدانية الإله إذ (ما) الكافّة لم تخرج ما عن المصدرية﴿ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ﴾ يأمل لقاء جزائه بالبعث﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً﴾ خالصاً لله ﴿ ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّه أحداً﴾ بأن يعبده معه، أويرائيه عن الصادق (ع) في الآية قال: الرّجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه اللّه إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه. وعنه (ع): من قرأها عند النوم تيقظ في الساعة التي يريدها.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الكهف وتفسيرها.

سورة مريم

ثمان، أو تسع وتسعون آية، مكية.

[الآيات ١ - ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ

ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

عن الصادق (ع): من قرأ سورة مريم لم يمت حتى يصيب ما يعينه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من أصحاب عيسى (ع)﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كهيعص﴾ أمال أبوعمرو الهاء وابن عامر وحمزة الياء، وأبوبكر والكسائي كليهما لأن ألفات أسماء التهجي ياءات. عن الصادق (ع): معناه أنا الكافي الهادي الولي العالم الصادق الوعد. وعن الباقر (ع): إنه قال في دعائه: يا كهيعص.﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ خبر (كهيعص) إن أوّل بالسّورة، أو القرآن، أو خبر محذوف أي: هذا ذكر رحمة ربك﴿ عَبْدَهُ ﴾ مفعول(رحمة)﴿ زَكَرِيَّا﴾ بالمد والقصر بدل منه أو بيان له﴿ إِذْ﴾ ظرف لـ(رحمة)﴿ نادى رَبَّهُ نداءً خَفِيًّا﴾ سراً لأنه أقرب إلى الإجابة، أو لئلا يُلام على طلب الولد على الكبر﴿ قَالَ رَبِّ﴾ تفسير للنداء﴿ إِنِّي وهَنَ﴾ ضعف﴿ الْعَظْمُ﴾ جنسه﴿ مِنِّي﴾ وخص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه وهو أصلب ما فيه فإذا

وهن فالباقي أوهن﴿ واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، شبّه الشيب في بياضه بالنار وانتشاره في الشعر باشتعالها، فأبرز بصورة الإستعارة﴿ ولَمْ أَكُنْ بِدُعائكَ﴾ بدعائي إياك فيما مضى﴿ رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائباً بل عوّدتني الإجابة فلا تخيبني بدعائك فيما يأتي﴿ وإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ﴾ الذين يلونني في النسب، وهم بنوعمّه﴿ مِنْ ورائي﴾ بعد موتي أن يرثوا مالي فيصرفوه فيما لا ينبغي إذ كانوا أشراراً، وهو متعلق بمقدر حالاً مقدّرة، أو بـ(الموالي) أي: الذين يلون الأمر بعدي وفتح ابن كثير الياء﴿ وكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً﴾ لا تلد﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ولِيًّا﴾ إبناً﴿ يَرِثُنِي﴾ صفته وجزمه أبوعمرو والكسائي جواباً للدعاء﴿ ويَرِثُ ﴾ بالقراءتين﴿ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بن ماثان عم مريم بنت عمران من ولد سليمان، أويعقوب بن إسحاق﴿ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضياً عندك. وهذا ينفي حمل الوراثة على وراثة النبوة لشمولها الرضا فما فوقه فبلغوا طلبه معها فأجاب تعالى دعاءه وقال:﴿ يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ إسمهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم نسمّ أحداً قبله بـ(يحيى). شرفه تعالى بأن تولى تسميته وخصّه بإسم لم يسبق إليه. وقيل: سمياً: مَثَلاً كـ(هل تعلم له سمّياً)﴿ قالَ ﴾ تعجباً من خرق العادة ـ لا من القدرة ـ ﴿ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف﴿ يَكُونُ لِي غُلامٌ وكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يبساً وجفافاً وأصله: عتو،كسرت التاء تخفيفاً، وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم، قيل: كان له تسع وتسعون. سنة ولامرأته ثمان وتسعون وكسر حمزة والكسائي وحفص أوائل (عتياً) و(صلياً) و(جثياً) وكذا (بكياً) للأولين، وضم الباقون كلها﴿ قالَ﴾ الله، أو المَلَك﴿ كَذلِكَ﴾ الأمر كذلك من خلق الغلام منكما﴿ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي (خلقناك)﴿ مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ موجوداً ألهمه الله تعالى السؤال ليجاب بما يدل على كمال قدرته﴿ قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة لوقت الحمل. وفتح نافع

وأبوعمروالياء﴿ قالَ آيتُكَ ألاّ تُكلِّمَ النَّاسَ﴾ لا تقدر على تكليمهم، أي: تحبس لسانك ﴿ إلا﴾ عن ذكر الله وشكر نعمته﴿ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا﴾ سليماً بلا آفة، وقد مرّ في آل عمران ثلاثة أيام فيدلّ على تجرده للشكر ثلاثة أيام بلياليها﴿ فَخَرَجَ عَلى قَومِهِ مِنَ الْمِحْرابِ﴾ من المصلى﴿ فَأوحى﴾ أومى﴿ إليهمْ﴾ وقيل: كتب لهم في الأرض ﴿ أنْ﴾ مفسرة، أو مصدرية﴿ سَبِّحُوا﴾ صلّوا أو نزهوا الله﴿ بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾ طرفي النهار. قيل: كان يخرج إليهم فيأذن لهم بالصلاة معه، فلما اعتقل لسانه خرج على عادته فأذن لهم بغير كلام فعلموا وقوع الحمل بيحيى.

[سورة مريم الآيات ١٢ - ٢٥]

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ

ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

﴿ يا يَحْيى﴾ أي: فوهبنا له وقلنا يا يحيى﴿ خُذِ الْكِتابَ﴾ التوراة﴿ بِقُوة﴾ بجد ﴿ وآتَيْناهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة، أو فهم التوراة﴿ صَبِيًّا﴾ ابن ثلاث سنين﴿ وحَناناً مِنْ لَدُنَّا﴾ ورحمة منا عليه، أو على العباد عطف على (الحكم)﴿ وزَكاةً﴾ عملاً زاكياً، أو زكيناه بالثناء عليه، أو صدقة منا على أبويه أو على الناس﴿ وكانَ تَقِيًّا﴾ مطيعاً لربه لم يهم بخطيئة﴿ وبَرًّا﴾ باراً﴿ بِوالِدَيْهِ ولَمْ يَكُنْ جَبَّاراً﴾ متكبراً﴿ عَصِيًّا﴾ عاصياً لربه﴿ وسَلامٌ عَلَيْهِ﴾ من الله﴿ يَومَ وِلِدَ﴾ من عبث الشيطان به﴿ ويَومَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿ ويَومَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ من هول المطلع والنار عن الرضا (ع): أن أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته، وتلا الآية﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتابِ﴾ القرآن ﴿ مَرْيَمَ﴾ قصة ولادتها عيسى﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ إعتزلت. بدل اشتمال من مريم لإشتمال الوقت على ما فيه﴿ مِنْ أَهلها مَكاناً شَرْقِيًّا﴾ في مكان نحو الشرق من بيت المقدس أومن دارها﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً ﴾ ستراً يسترها لتفلي رأسها، أو تغتسل

﴿ فَأَرْسَلْنا إليها رُوحَنا﴾ جبرئيل فإنه روحاني، وأضيف إليه تعالى تشريفاً﴿ فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا﴾ في صورة شاب تام الخلق لتستأنس بكلامه﴿ قالَتْ إِنِّي﴾ وفتح الحرميان وابوعمرو الياء﴿ أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتقي اللّه وترتدع بالإستعاذة فاتي عائذة به منك، أو فاتعظ بتعويذي، أو فلا تتعرض لي، أو للمبالغة أي: إن كنت تقياً متورعاً فإني أعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك؟ أو أن التّقي إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط اللّه، وفي ذلك تخويف وترهيب له، فالمعنى: إن كنت تقياً فاتعظ واخرج. وعنه (ع): قال: علمت ان التقي ينهاه التقى عن المعصية. ﴿ قالَ﴾ لها جبرئيل: ﴿ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي استعذت به﴿ لِأَهَبَ لَكِ﴾ لأكون سبباً للهبة بالنفخ في الدرع، وقرأ ورش وأبوعمرو بالياء﴿ غُلاماً زَكِيًّا﴾ طاهراً من الأدناس، أو نامياً على الخير، أو نبياً﴿ قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بالحلال﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية، هو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت وكسرت الغين﴿ قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾ أي: نخلقه لنبين به قدرتنا ﴿ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ علامة لهم عليها﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لمن يؤمن به﴿ وَكانَ﴾ خلقه﴿ أَمْراً مَقْضِيًّا﴾ قضى اللّه به في علمه﴿ فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في جيب درعها فأحست بالحمل ﴿ فَانْتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها حياءً منهم. قيل: مدة الحمل ساعة واحدة لقوله فحملته فانتبذت فأجاءها والفاء للتعقيب، وقيل: مدّة الحمل تسع ساعات، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثمانية وعن السجّاد (ع): خرجت من دمشق حتى أتت كربلا فوضعته في موضع قبر الحسين (ع): ثم رجعت من ليلتها. وعن الصادق (ع): لم يولد لستة أشهر إلا عيسى والحسين (ع)﴿ فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ﴾ فألجأها الطلق ووجع الولادة﴿ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ساقها لتستتر به وتعتمد عليه. (واللام) للجنس،

أو العهد إذ لم يكن سواها هناك وكانت نخلة يابسة لا رأس لها، ولعلها أرشدت إليها لتطعم الرطب الموافق للنفساء وترى من الآيات ما تطمئن به﴿ قالَتْ﴾ استحياء من الناس أن يتهموها﴿ يا﴾ للتنبيه ﴿ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا﴾ الأمر﴿ وكُنْتُ نَسْياً﴾ بالكسر، أي: ما من حقه أن ينسى ويترك، وفتحه حمزة وحفص﴿ مَنْسِيًّا﴾ متروكاً لا يذكر ﴿ فَناداها مِنْ تَحْتِها﴾ عيسى، وقيل: جبرئيل. وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بالكسر والجر وفاعل (نادى) ضمير أحدهما﴿ ألاّ﴾ بأن لا، أو أي﴿ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جدولاً تشربين منه وتطهرين من النفاس. قيل: ضرب عيسى برجله، أو جبرئيل فظهر ماء يجري. وقيل: السريّ السيد من السرو وهو عيسى (ع) ﴿ وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ حركيه بجذب ودفع. و(الباء) زائدة، أو افعلي الهزّ به ﴿ تُساقِطْ عَلَيْكِ﴾ تتساقط أدغمت التاء الثانية في السين، وحذفها حمزة وضم حفص التاء من (ساقطت) بمعنى: أسقطت﴿ رُطَباً﴾ تمييز، أو مفعول﴿ جَنِيًّا﴾ طريّاً. وكان الجذع يابساً بلا رأس ولا ثمر والوقت شتاء فأورق وأثمر وتساقط الرطب.

[سورة مريم الآيات ٢٦ - ٣٨]

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ

وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿ فَكُلِي﴾ من الرطب﴿ واشْرَبِي﴾ من السريّ[1]﴿ وقَرِّي عَيْناً﴾ بالولد، تمييز محول عن الفاعل أي: لتقرّ عينك به وتسكن سروراً برؤيته فلا تطمح إلى غيره، جمع لها في الرطب والسري الأكل والشرب والتسلية بما فيهما من المعجزات المنزّهة لها ﴿ فَإِمَّا﴾ (إن) الشرطية أدغمت في (ما) الزائدة﴿ تَرَيِنَّ﴾ أصله: ترائين، حذفت الهمزة ولام الفعل وكسرت ياء الضمير لإلتقاء الساكنين﴿ مِنَ الْبَشَرِ أحداً ﴾ يسألك عن ولدك﴿ فقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوماً﴾ إمساكاً عن تكليم الأناسي بدليل:﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَومَ إِنسِيّاً﴾ بعد إخباري بنذري وقيل: أخبرتهم به بالإشارة وأمرت بذلك

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: (قد جعل ربك تحتك سرياً) وقد قيل في تفسيره: أي نهراً يسري. ولم نعثر على أصله اللغوي.

لكراهة الجدال والإكتفاء بكلام عيسى (ع): الأقوى في نفي التهمة﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال عنها، أو عنه أو عنهما﴿ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾ منكراً عظيماً إذ ولدت من غير زوج﴿ يا أُخْتَ هارُونَ﴾ هو رجل صالح في بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح قيل: لما مات شيعت جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمّى (هارون) شبهوها به تهكماً، أي: يا شبيهته في الصلاح، أو رجل طالح مشهور بالعهر والفساد شبهوها به أو شتموها به، أو هو أخوها لأبيها وكان معروفاً بحسن الطريقة، أو هو هارون النبي أخو موسى (ع) وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة، وقيل: كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة. وعن النبي (ص): إن هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والقمي: ان هارون كان رجلاً فاسقاً زانياً فشبهوها به﴿ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿ وما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ زانية، فكيف أتيت بولد؟﴿ فَأَشارَتْ إِلَيْهِ﴾ أومت إلى عيسى (ع) أن كلموه ليجيبكم﴿ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (كان) بمعنى: صار، أو تامة أو زائدة والظرف صلة (من) و(صبياً) حال من المستكن فيه﴿ قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أنطقه به أولاً رداً على من يزعم ربوبيته﴿ آتانِيَ الْكِتابَ﴾ الإنجيل، وسكن حمزة الياء﴿ وجَعَلَنِي نبياً وجَعَلَنِي مُبارَكاً﴾ نفّاعاً معلماً للخير أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً، أو أخبر بما كتب له، أوجعل المحقق وقوعه كالواقع﴿ أينَ﴾ ما حيث﴿ كُنْتُ وأوصانِي﴾ أمرني﴿ بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ﴾ الصّدقة أو تطهير البدن من الآثام﴿ ما دُمْتُ حَيًّا وبَرًّا﴾ وجعلني باراً﴿ بِوالِدَتِي ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً ﴾ متكبراً﴿ شَقِيًّا﴾ عاصياً لربّي ﴿ والسَّلامُ﴾ من الله﴿ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فسر في قصة يحيى، والتعريف للعهد أو للجنس، وفيه تعريض باللعن على أعدائه وأن العذاب على من كذب وتولى﴿ ذلِكَ﴾ الذي مرّ نعته هو﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما تصفه

النصارى﴿ قَولَ الحَقِّ﴾ خبر محذوف أي: هذا الكلام قول الحق، والإضافة بيانية أو صفة عيسى، أو بدله ومعناه: كلمة الله ونصبه عاصم وابن عامر مصدراً بتقدير: قلت﴿ الَّذي فيه يَمْتَرُونَ﴾ يشكّون فقالت إليهود: ساحر، وقالت النصارى: ابن الله ﴿ ما كانَ للّه أنْ يَتَّخذَ منْ ولَد﴾ زيدت (من) لتأكيد النفي﴿ سُبْحانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿ إذا قَضى أمْراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهو يكون خلق عيسى (ع): من غير أب﴿ وإنَّ اللّهَ رَبِّي وربُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ﴾ فسّر في آل عمران وكسر الكوفيون وابن عامر (إن) وفتحها غيرهم﴿ فَاخْتَلَفَ الأحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ إليهود والنصارى، وفرق النصارى يعقوبية قالت: هو الله، ونسطورية، قالت: هو ابن الله، وملكائية قالت: هو ثالث ثلاثة، وقيل: هذا قول الاسرائيلية، واما الملكائية فقالوا: هوعبد الله ونبيّه وقالت اليهود: هو ابن بغية﴿ فَوَيْلٌ﴾ شدّة عذاب﴿ لِلَّذينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ من حضورهم يوم القيامة وهوله العظيم، أو وقت حضورهم، أو مكانه فيه، أو من شهادة ذلك اليوم بأن تشهد عليهم الأنبياء والملائكة وجوارحهم فيه بالكفر، أو من وقت الشهادة، أو مكانها﴿ إسمعْ بِهِمْ وأبْصِرْ﴾ أي: ما إسمعهم وأبصرهم﴿ يَومَ يَأتونَنا﴾ في الآخرة﴿ لكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ أقيم مقام الضمير﴿ اليَومَ﴾ أي: في الدنيا﴿ فِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ بيّن، والمعنى أن سمعهم وأبصارهم في الآخرة جديران بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في الدنيا صمّاً وعمياً عن الحق.

[سورة مريم الآيات ٣٩ – ٥١]

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي

ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾

﴿ وأَنذِرْهُمْ﴾ خوف كفار مكة﴿ يَومَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة يتحسّر المسيء فيه هلاّ أحسن العمل﴿ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وأدخل قوم الجنة وقوم

النار﴾ ﴿وإذ﴾ بدل من (يوم)﴿ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ وهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ حال متعلقة بـ(انذرهم) تعطي التعليل، أو بقوله (في ضلال مبين) وبينهما إعتراض﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها﴾ من العقلاء وغيرهم بأن نهلكهم فلا يبقى فيها مالك ولا ملك غيرنا ﴿ وإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ يردون للجزاء﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً﴾ مبالغاً في الصّدق، أوكثير التصديق للحق﴿ نبياً﴾ لله﴿ إِذْ قالَ﴾ بدل من (إبراهيم) وما بينهما اعتراض﴿ لأَبِيهِ﴾ آزر وهو عمّه أو جدّه لأمّه سمّي (أباً) مجازاً كما مرّ ﴿ يا أَبَتِ﴾ (التاء) عوض عن ياء الإضافة ولذا لا يجتمعان وفيها استعطاف ولذا كررت﴿ لِمَ تَعْبُدُ﴾ أي: الذي، أومعبوداً﴿ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفيك ﴿ شَيْئاً﴾ من جلب نفع ودفع ضرّ« حاول (ع) هدايته فبيّن ضلاله بأبلغ حجة وأرفق أسلوب إذ لم يصرّح به، بل طلب العلة الداعية له إلى عبادة أخسّ الموجودات وهو الجماد مع ان العقل السليم يأبى عبادة كل ما شاركه في الإمكان والحاجة وإن كان أشرف الممكنات كالأنبياء والملائكة ـ فضلاً عن أخسها كالجماد ـ إذ العبادة غاية التعظيم ولا تحق إلا للواجب الغني المنعم السميع البصير العليم القدير﴿ يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما﴾ أي: شيء﴿ لَمْ يَأْتِكَ﴾ لم يسمه بفرط الجهالة ولا نفسه بكمال العلم بل جعل نفسه كذي معرفة بالدلالة في مفازة دونه ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا﴾ طريقاً مستقيماً﴿ يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ﴾ لا تطعه في عبادة الأصنام فتكون كمن عبده﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ﴾ المولي للنعم كلها ﴿ عَصِيًّا﴾ عاصياً. فالمطيع له عاص والعاصي حريّ بسلب النعمة واستحقاق النقمة كما نبّه عليه قوله: ﴿ يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ﴾ ذكر الخوف ونكر العذاب مجاملة، أو تجويزاً لتوبته، وفتح الحرميّان وأبوعمرو الياء﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا﴾ لا حقاً في اللعن، أو قريباً إلى النار﴿ قالَ أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا

إِبْراهِيمُ﴾ قابل ملاطفاته بالفظاظة، فقدم الخبر على المبتدأ مصدراً بهمزة لإنكار رغبته مع تعجب، وناداه بإسمه ولم يقابل (يا أبت) بـ(يا ابني) وأخّره، ثم هدّده بقوله: ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن التعرض لها﴿ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو الشتم فاحذرني ﴿ واهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ دهراً طويلاً﴿ قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومهاجرة، أي: لا أصيبك بمكروه﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ بأن يوفقك لما يوجب مغفرته وفتح نافع وأبوعمرو الياء﴿ إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾ باراً لطيفاً﴿ وأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أجانبكم﴿ وما تَدْعُونَ﴾ تعبدون﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ وأَدْعُوا رَبِّي﴾ أعبده﴿ عَسى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿ شَقِيًّا﴾ خائباً مثلكم في دعاء الأصنام، وعسى للتواضع﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالهجرة إلى الشام﴿ وهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ ويَعْقُوبَ﴾ عوضاً عمّن فارقهم ﴿ وكُلاً ﴾ منهما، أو منهم﴿ جَعَلْنا نبياً ووهَبْنا لَهُمْ﴾ للثلاثة﴿ مِنْ رَحْمَتِنا﴾ نعم الدين والدنيا﴿ وجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ثناءً حسناً رفيعاً في جميع أهل الأديان، عبّر بـ(لسان) عمّا يوجد به. وعن الزكي (ع): (ووهبنا لهم)يعني: لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (من رحمتنا): رسول الله (وجعلنا لهم لسان صدق) يعني: أمير المؤمنين (ع). ﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً﴾ أخلص عبادته لله، أو نفسه لله وحده. وفتحه الكوفيون على أن الله أخلصه﴿ وكانَ رَسُولاً﴾ من الله إلى الناس﴿ نبياً ﴾ ينبئهم عنه، وهو أعم من الرسول. وأخّر لتأخر الأنباء عن الإرسال وللفاصلة.

[سورة مريم الآيات ٥٢ - ٦٤]

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ
وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ
ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ
عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾
لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾
تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ
رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

﴿ وناديناهُ﴾ بـ(يا موسى إني أنا الله)[١] ﴿ مِنْ جانِبِ الطُّورِ﴾ جبل بالشام ﴿ ألأيمَنِ﴾ الذي يلي يمين موسى، أو الميمون من اليمن ﴿ وقَرّبناهُ﴾ تقريب كرامة ﴿ نَجِيًا﴾ مناجياً. شبهه بمن قرّبه الملك لمناجاته ﴿ ووهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا﴾ من أجل نعمتنا، أو بعضها ﴿ أخاهُ﴾ أي: مؤازرة أخيه إجابة لدعوته: (واجعل لي وزيراً من أهلي)[٢] إذ كان أسنّ من موسى، وهو مفعول أو بدل ﴿ هارُونَ﴾ عطف بيان له ﴿ نبياً﴾ حال تدل على المقصود بالهبة ﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتابِ إسماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوعْدِ﴾ إذا وعد شيئاً وفى به، وقد وعد الصبر على الذبح فوفى، وانتظر من وعده سنة حتى أتاه وهو في مكانه ـ كما عن الصادق (ع) ـ والقمي: وعد وعداً وانتظر صاحبه سنة وهو إسماعيل بن حزقيل: وفي المجمع هو إسماعيل بن ابراهيم، كان إذا وعد بشيء وفي ولم يخلف وكان مع ذلك رسولاً نبياً إلى جرهم وقيل: إن إسماعيل بن إبراهيم مات قبل أبيه وان هذا هو إسماعيل بن حزقيل ، وعن الصادق (ع): لم يكن إسماعيل بن إبراهيم بل كان نبياً من الأنبياء بعثه الله إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه فأتاه ملك فقال: إنّ الله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أسوة بما يصنع من الأنبياء (ع). وفي رواية لي أسوة بالحسين بن علي (ع) ﴿ وكانَ يَأْمُرُ أهلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ﴾ يبدأ بإصلاح من هو اقرب إليه لأنه الأهم، قال تعالى: (وانذر عشيرتك الأقربين)[٣]، (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[٤]، وقيل: أهل أمّته ﴿ وكانَ عِنْدَ

---

(١) ورد هذا النداء في سورة القصص الآية ٣٠.

(٢) سورة طه الآية ٢٩.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٤) سورة التحريم الآية ٦.

ربِّه مَرْضِيًّا﴾ في أفعاله وأقواله، وأصله: بواوين قلبتا ياءين والضمّة كسرة﴿ واذْكُرْ في الْكِتابِ إِدْرِيسَ﴾ قيل: هو سبط شيث، وجدّ أبي نوح وإسمه (أخنوخ) روي: أنه أنزل عليه ثلاثون صحيفة وانه أول من خطّ بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود. والقمي: سمّي (إدريس) لكثرة دراسته الكتب﴿ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نبياً﴾ مرّ معناه﴿ ورَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا﴾ هو شرف النبوة وسمو القدر، وقيل: السماء الرابعة، أو السادسة وقيل: الجنة بعد أن قبض روحه في الرابعة وأحيي، وهو مروي﴿ أولئكَ﴾ المذكورون من زكريا إلى إدريس ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنعم الدينية والدنيوية﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول ﴿ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ بعضها والمراد به: إدريس﴿ وممَّنْ حَمَلْنا﴾ في السفينة﴿ مَعَ نُوحٍ﴾ ومن ذرية من حملنا وهو إبراهيم من ذرية سام﴿ ومِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب﴿ وإِسْرائِيلَ﴾ أي: ومن ذرية إسرائيل وهويعقوب، أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ويدل على أن ولد البنت من الذرية﴿ ومِمَّنْ هَدَيْنا واجْتَبَيْنا﴾ إخترنا للنبوة والكرامة. عن السجّاد (ع): نحن عنينا بها﴿ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آيات الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيًّا﴾ خشية من اللّه وإخباتاً له وخرّوا خبر(أولئك)إن جعل الموصول صفة، واستئناف إن جعل خبره (وسجداً وبكياً) حالان جمع (ساجد) و(باك) وأصل بكي: (بكوى) قلبت الوو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها. ولعل المراد بالآيات: الكتب المنزلة عليهم. وفي النبوي: اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا.﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ جاء من بعدهم عقب سوء. و(الخلف) بالفتح: للصالح وبالسكون لضدّه﴿ أَضاعُوا الصَّلاةَ﴾ بتركها، أو تأخيرها عن وقتها﴿ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ فيما حرّم عليهم﴿ فَسَوفَ يَلْقَونَ غَيًّا﴾ شراً، أو جزاء غيّ كما في يلق

آثاماً، أو غيّاً عن طريق الجنة، أو هو واد في جهنم﴿ إلاّ﴾ لكن﴿ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً فَأولئِكَ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ﴾ وبناه للمفعول ابن كثير وابوعمرو وابوبكرمن أدخل﴿ ولا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقصون﴿ شَيْئاً﴾ من ثوابهم﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ بدل بعض من الجنة﴿ الَّتِي وعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي: غائبين عنها، أو غائبة عنهم ﴿ إِنَّهُ كانَ وعْدُهُ﴾ أي: موعوده﴿ مَأْتِيًّا﴾ بمعنى: آت، أو موعوده الجنة يأتيها أهلها ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً﴾ فضول الكلام﴿ إلاّ ﴾ لكن يسمعون﴿ سَلاماً﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض، أو الإستثناء متّصل أي: إن كان التسليم لغواً فلا يسمعون سواه﴿ ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾ أي: على قدرهما في الدنيا، إذ ليس فيها نهار ولا ليل بل ضوء ونور. وقيل: أراد دوام الرزق، والقمي: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة لان البكرة والعشي لا يكونان في الآخرة﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ونملّك كما يملك الوارث مال مورثه﴿ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته، وفي الدعاء: سبحان من خلق الجنة لمحمد وآل محمد (ص) سبحان من يورثها محمدا وآل محمد (ص) وشيعتهم﴿ وما نَتَنَزَّلُ إلاّ بِأمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبرئيل عن النبي (ص) انه قال لجبرئيل (ع): ما منعك أن تزورنا؟ فنزلت﴿ لَهُ ما بَيْنَ أيدِينا وما خَلْفَنا﴾ من الأماكن والأزمنة الماضية والآتية﴿ وما بَيْنَ ذلِكَ ﴾ من المكان، أو الزمان الذي نحن فيه أي: لا ننتقل من مكان إلى مكان، أو في زمان دون زمان إلا بأمره. وقيل: له ما يستقبل من أمور الآخرة، وما مضى من أمور الدنيا وما بين النفختين أربعون سنة أي: له علم جميع ذلك﴿ وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ناسياً تاركاً لك، أي: إنما تأخر النزول لعدم الأمر به لا لترك الله لك.

[سورة مريم الآيات ٦٥ - ٧٦]

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿ رَبُّ السَماواتِ والأرْضِ وما بَيْنَهُما﴾ خبر محذوف﴿ فَاعْبُدْهُ﴾ خطاب للرسول (ص) مرتب على ما قبله، أي: لما عرفت أنه رب العالمين فاعبده وحده ﴿ واصْطَبِرْ لِعِبادَتِه﴾ اصبر عليها، وعدّي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة ومشاقها تشبيهاً له بالقرآن المحارب﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: ليس له مثل، أو لا شريك له في إسمه، فان الصنم ـ وان سمّي إلهاً ـ لم يسم (اللّه) قط. وعن علي (ع): هل تعلم أحداً إسمه اللّه غير اللّه؟ ﴿ ويَقُولُ الإنْسانُ﴾ أي: جنسه. أسند إليه باعتبار أن القائل منهم، أو المنكر للبعث. قيل: نزلت في أبيّ بن خلف حين أخذ عظماً بالياً ففتّه، وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد أن نموت﴿ أ إذا ما مِتُّ لَسَوفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر، أو من حال الموت، وقدم الظرف مصدراً بهمزة الإنكار، لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وناصبه دلّ عليه (أخرج) لا نفسه لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وتمحضت للتأكيد وجردت على معنى الحال فدخلت على (سوف) وعن ابن ذكوان إذا بهمزة واحدة مكسورة على الخبر﴿ أ ولا يَذْكُرُ الإنْسانُ﴾ أصله يتذكر قلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر (يذكر) من الذكر بمعنى التفكر

عطف على (يقول) و وسطت همزة الإنكار بينه وبين العاطف ﴿أنّا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً﴾ كائناً فيستدل بالإبتداء على الإعادة ﴿فوربّكَ لنحشرنّهم﴾ أي: منكري البعث أقسم بإسمه مضافاً إلى رسوله (ص) تحقيقاً للإعادة وتشريفاً للرسول ﴿والشّياطينَ﴾ عطف، أو مفعول معه أي: نجمع كل كافر مع شيطانه بسلسلة وإذا حشر الجنس بأسره وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشر الكل معهم، وإن عاد الضمير إلى الكفرة فواضح ﴿ثمّ لنُحضرنّهم حولَ جهنّمَ جثيّا﴾ جمع (جاث) وأصله: جثو، أو جثوي فعول من جثى يجثو. أو يجثي القمي قال: على ركبهم، أقول: لما يدهشهم من الهول كقوله: (وترى كل أمة جاثية)[1] ﴿ثمّ لننزِعنّ﴾ لنميّزن ﴿من كُلِّ شيعَة﴾ فرقة ﴿أيهُمْ أشدُّ علَى الرّحمنِ عتيّا﴾ أي: الأعتى فالأعتى، فنلقيهم فيها ﴿ثمّ لنحنُ أعلَمُ بالّذينَ هُمْ أولى بها﴾ أحق بجهنم ﴿صليّا﴾ دخولاً فيقدم أولاهم فأولاهم ﴿وإنْ﴾ وما ﴿منكُمْ﴾ أحد ﴿إلاّ واردُها﴾ واصلها ومشرف عليها. وقيل: داخلها، فلا يبقى بر ولا فاجر إلاّ ويدخلها فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين، و أولئك عنها مبعدون أي: عن عذابها. وعنه (ص): ان اللّه تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي: أن خذي أصحابك وذري أصحابي، فوالذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها. عن الصادق (ع): أما تسمع الرجل يقول: وردنا ماء بني فلان، فهو الورود ولم يدخل. ﴿كانَ علَى ربّكَ حتْماً مقْضيّا﴾ واجباً أوجبه على نفسه وقضى إنه يكون ﴿ثُمّ نُنَجّي﴾ وخففه الكسائي ويعقوب ﴿الّذينَ اتّقَوا﴾ الشرك ﴿ونَذَرُ الظّالمينَ﴾ بالشرك على حالهم ﴿فِيها جثيّا﴾ على الركب ﴿وإذا تُتلى علَيهِمْ آياتُنا بيّنات﴾ ظاهرات

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٨.

الإعجاز، أو الحجج ﴿ قالَ الَّذينَ كَفَرُوا للَّذينَ آمَنُوا أي الْفَريقَيْنِ﴾ أي: نحن أم أنتم ﴿ خَيْرٌ مَقاماً﴾ موضع قيام. وضمّه ابن كثير أي: موضع اقامة ومنزلاً ﴿ وأَحْسَنُ نَديًّا﴾ مجلساً. والمعنى: انهم عجزوا عن معارضة الآيات فعدلوا إلى المفاخرة بحظهم من الدنيا والإستدلال بما نالوه منهم على حسن حالهم عند الله، فردّ عليهم ﴿ وكَمْ﴾ مفعول أي: وكثيراً ﴿ أهلكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أهل عصر، بيان لـ(كم) ﴿ هُمْ أَحْسَنُ﴾ صفة لها ﴿ أثاثاً﴾ تمييز، أي: متاعاً وزينة ﴿ ورِءْياً ﴾ ومنظراً من الرؤية، وشدد الياء بلا همز قالون وابن ذكوان، فكما أهلكنا أولئك بكفرهم نهلك هؤلاء ﴿ قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا﴾ أمر بمعنى الخبر للتأكيد، أي: يمدّه بطول العمر والتمتع إستدراجاً له ﴿ حَتَّى إِذا رَأَوا ما يُوعَدُونَ ﴾ غاية المدّ وتفصيل الموعود ﴿ إِمَّا الْعَذابَ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وإِمَّا السَّاعَةَ﴾ أي: القيامة ودخولهم النار فيها ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوشَرٌّ مَكاناً﴾ أهم أم المؤمنون، جواب إذا مقابل لـ(خير مقاماً) ﴿ وأَضْعَفُ جُنْداً﴾ أعواناً مقابل لـ(احسن ندياً) من حيث أن حسن النديّ باجتماع أعيانهم وأعوانهم ﴿ ويَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوا هُدىً﴾ الواو للإستئناف، أو العطف على الشرطية الواقعة بعد القول كأنه قال: يزيد الضلاّل ضلالاً، بالخذلان ويزيد المهتدين هداية بالتوفيق ﴿ والْباقِياتُ الصَّالِحاتُ﴾ الطاعات الباقي ثوابها من الصلوات الخمس، أو مودّة أهل البيت (ع): أو التسبيحات الأربع، أو الأعم ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة ومنفعة يردّ إليها ممّا متع به الكفرة من النعم الزائلة التي يفتخرون بها والخير هنا لمجرد الزيادة.

[سورة مريم الآيات ٧٧ - ٩٨]

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾

﴿أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا﴾ أي: أخبر بقصة هذا الكافر عقب قصة أولئك، وهو العاص بن وائل وقال لخبّاب بن الأرتّ حين طالبه بدين﴿وقالَ﴾ له: تبعث بعد الموت﴿لأوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث كما تزعم﴿مالاً وولَداً﴾ فأقضيك ثمة. وقرأ حمزة والكسائي(ولداً)جمع (ولد) كـ(أسد) لـ(اسد) أو لغة فيه كـ(حزن) و(حُزن) وكذا فيما بعده﴿أطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أشرف على علم الغيب المتفرد به الله تعالى حتى علم ان يؤتى مالاً وولداً. حذفت همزة الوصل إستغناء بهمزة الإستفهام﴿أم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ أم عهد الله إليه أن يؤتيه ذلك، وقيل: العهد العمل الصالح، أوكلمة الشهادة. عن الباقر (ع): إن العاص بن وائل أحد المستهزئين كان لخباب عليه حق فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: ألستم تزعمون أن في الجنة الذهب والفضة والحرير؟ قال: بلى، فقال: فموعد ما بيني وبينك الجنة فوالله لأوتين فيها خيراً مما أوتيت في الدنيا، فنزلت﴿كَلا﴾ ردع وتنبيه على خطئه فيما قاله﴿سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ﴾ سنظهر له بالعذاب أنا كتبنا قوله إذ الحفظة يكتبونه في الحال﴿ونَمُدُّ لَهُ منَ الْعَذابِ مَدًّا﴾ ونزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره﴿ونَرِثُهُ﴾ بإهلاكه ما﴿ يَقُولُ﴾ من المال الولد﴿ويَأْتينا﴾ يوم القيامة﴿ فَرْداً﴾ لا مال له ولا ولد﴿ واتَّخَذُوا﴾ أي: كفاراً مكة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أصناماً يعبدونهم﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزاً﴾ شفعاء عند الله يتعززون

بهم﴿كَلا﴾ ردع وإنكار لما أمّلوا منها﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم وتكذبهم كقوله تعالى: (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون)[1] أو ستجحد الكفرة انهم عبدوها ويقولون: (والله ربنا ما كنا مشركين)﴿ وَيَكُونُونَ﴾ أي: الآلهة﴿ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ لهم أي: أعداء وأعواناً في عذابهم، أو ضد العز وهو الذل أي: يكونون عليهم ذلاً في مقابلة: (لهم عزاً) ووحّد لأنهم كالشيء الواحد باتفاقهم فيما به مضادتهم ويجوز كون الواو للكفرة أي: تكون أعداء لها بعد أن كانوا يعبدونها﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ خلينا بينهم وبينهم يقال لمن خلى بين الكلب وغيره: أرسله عليه﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تغريهم، أوتحثّهم على المعاصي بالتسويلات ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب هلاكهم﴿ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام، أو الأنفاس ـ كما عن الصادق (ع) ـ ﴿ عَدًّا﴾ وما دخل تحت العد فكأنه قد نفد﴿ يَومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ نجمعهم نصب بالذكر مقدراً أو بـ(لا يملكون) ﴿ إلى الرَّحْمنِ﴾ إلى دار كرامته ولعل العدول من قوله (إلينا) لما في لفظ (الرحمن) المولي للنعم من البشارة﴿ وَفْداً﴾ وافدين. عن علي (ع): ركباناً على نوق رحالها من ذهب.﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ نحثهم على السير إليها واردين أي: عطاشى مشاة كالإبل التي ترد الماء﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ﴾ أي: الناس المعلوم من القسمين﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾ إلا من استظهر بالإيمان والعمل الصالح، أو بكلمة الشهادة، أو إلا من وعده أن يشفع كالأنبياء والمؤمنين. وعن الصادق (ع): هو عهد الميت المروي عن النبي (ص): (اللهم فاطر السَماوات... ﴾ إلخ، ومحله رفع على البدل من الواو، أو نصب على الإستثناء﴿ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً﴾ الضمير لليهود والنصارى ومن زعم إن الملائكة بنات الله. وعن

---

(١) سورة النحل الآية ٨٦

الصادق (ع): هذا حيث قالت قريش: ان للّه ولداً من الملائكة إناثاً.﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ إلتفات للتسجيل عليهم بالجزاء على اللّه﴿ شَيْئاً﴾ على حذف الباء وإيصال الفعل إليه﴿ إِدّاً﴾ منكراً﴿ تَكادُ السَماواتُ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن. وقرأ ابوعمرو وابن عامر وحمزة وأبوبكر بالنون والتفعّل مطاوع فعّل فهو أبلغ من الإنفعال المطاوع فعل﴿ وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الْجِبالُ﴾ تسقط عليهم﴿ هَدّاً﴾ كسراً وهدماً بشدّة صوت مصدر، أو حال﴿ أَنْ دَعَوا لِلرَّحْمنِ ولَداً﴾ منصوب بنزع الخافض علة لـ(تكاد) أو لـ(هدّا) أو مجرور بدل من هاء (منه) أو مرفوع خبر محذوف أي: الموجب لذلك الدعاء وهو بمعنى التسمية فيكون أوّل مفعوليه متروكاً ليعم كل ما دعي ولداً له أو بمعنى النسبة أي: نسبوا إليه ولداً ﴿ وما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ ولَداً﴾ أي: لا يليق به إتخاذ الولد، ولا يتطلب له لاستحالته، لأن الرحمن المولي للنعم كلها لا يجانس غيره من نعمه، أو منعم عليه وهذه من فوائد تكرير هذا الإسم في المقام﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَماواتِ والأَرْضِ﴾ أي: ما منهم﴿ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً﴾ مقراً بالعبودية خاضعاً ذليلاً ومنهم عزير وعيسى (ع): والملائكة﴿ لَقَدْ أَحْصاهُمْ﴾ أحاط بهم علماً وقدرة﴿ وعَدَّهُمْ عَدّاً﴾ بعلمه فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم﴿ وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَومَ الْقِيامَةِ فَرْداً﴾ لا مال له ولا نصير. وعن الصادق (ع): واحداً واحداً﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً﴾ سيحدث لهم في القلوب مودّة. وعن الصادق (ع): إن أمير المؤمنين (ع) كان جالساً بين يدي النبي (ص) فقال له: قل يا علي اللهم اجعل لي في قلوب المؤمنين وداً، فنزلت. وعنه (ع): ولاية أمير المؤمنين (ع) هي الودّ الذي قال اللّه. وعن ابن عباس: إنها في علي (ع) خاصة فما من مؤمن إلا في قلبه محبته. ﴿ فَإِنَّما يَسَّرْناهُ﴾ أي: القرآن﴿ بِلِسانِكَ﴾ بان أنزلناه بلغتك﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والكبائر بالجنة

﴿ وتُنذرَ به قَوماً لُدّاً﴾ جمع(ألدّ) أي: شديد الجدل بالباطل، وهم قريش﴿ وكَمْ﴾ أي: كثيراً﴿ أهلكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل. تسلية له (ص) وتهديد للكفرة﴿ هَلْ تُحِسُّ﴾ تبصر﴿ مِنْهُمْ مِنْ أحَدٍ﴾ (من) مزيدة﴿ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ صوتاً خفياً، فكما أهلكناهم نهلك هؤلاء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة مريم وتفسيرها.

سورة طه

مائة وأربعون، أو خمس وثلاثون، أو أربع وثلاثون آية، مكية.

[الآيات ١ - ١٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا

بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

عن الصادق (ع): لا تدعوا قراءة سورة طه فان الله يحبها ويحب من قرأها، ومن أدمن قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام وأعطي في الآخرة من الأجر حتى يرضى.﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، طه﴾ أمالهما أبو بكر وحمزة والكسائي، وأمال الهاء خاصة ورش وابو عمرو وفتحهما الباقون، وهما من إسماء الحروف، وقيل: معناه: يا رجل. وعن الصادق (ع): أنه إسم من أسماء النبي (ص) ومعناه: يا طالب الحق الهادي له ﴿ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾ لتتعب بالعبادة وقيام الليل على ساق، أو بالحزن على كفر قومك. وقيل: هو ردّ لقول الكفرة: إنك لتشقى بترك ديننا. وعنهما (ع): كان (ص) إذا صلى قام على أصابع رجليه حتى تورم، فأنزل الله طه بلغة طيء يا محمد (ص).﴿ إِلاَّ تَذْكِرَةً﴾ إستثناء منقطع، أي: لكن تذكيراً، أو علة لمحذوف أي: أنزلناه تذكيراً لا بدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا علة للمذكور إذ لا يعلل بعلتين. وقيل: حال من القرآن﴿ لِمَنْ يَخْشى﴾ الله وخص لأنه المنتفع به﴿ تَنْزِيلاً﴾ نصب بتقدير: نزل، أو على المدح أو البدل من تذكرة إن جعل حالاً لا علة إذ الشيء لا يعلل بنفسه﴿ مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ﴾ صلة تنزيلاً أوصفة، وانتقل من التكلم إلى الغيبة تفنناً في الكلام وتفخيماً للمنزل بإسناد إنزاله إلى الواحد المختص بصفات العظمة والتمجيد وإيذاناً بوجوب الإيمان به من حيث أنه كلام الموصوف بهذه الصفات، وبدأ بخلق الأرض لأنها أقرب إلى الحسّ ثم ثنى بقوله: ﴿ والسَماوات الْعُلى﴾ جمع (عليا) مؤنث (أعلى) لأن الحس لا يتجاوزها بعد الأرض﴿ الرَّحْمنُ﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمن﴿ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوى﴾ من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، أو استقام أمره، أو استولى، أو قصده أي: أقبل على خلقه﴿ لَهُ ما فِي السَماواتِ وما فِي الأَرْضِ وما بَيْنَهُما﴾ من المخلوقات ملكاً وتدبيراً﴿ وما تَحْتَ الثَّرى﴾ هو التراب الندي وهو ما جاوز البحر من الأرض فما تحته هو سائر طبقاتها وما فيها من المعادن وغيرها. وعن علي (ع) انه تلا الآية فقال: فكل شيء على الثرى، والثرى على القدرة تحمل كل شيء وعن الصادق (ع): ان الأرض على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة على قرن ثور أملس، والثور على الثرى، وعند ذلك ضلّ علم العلماء[1]. ﴿ وإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَولِ﴾ بذكر اللّه ودعائه فهو غني عن جهرك﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أكننته في نفسك﴿ وأَخْفى ما خطر ببالك ثم انسيته ـ كما عن الصادق (ع) ـ، وقيل: السر ما خطر وأخفى الغيب الذي لا يخطر ببال﴿ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَلَهُ الإِسماءُ الْحُسْنى﴾ عن النبي (ص): ان للّه تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة. و(الحسنى) مؤنث (أحسن) وكونها أحسن الأسماء لدلالتها على أشرف المعاني، ولما بين رسالته (ص) قفّاها برسالة موسى (ع) تثبيتاً له ليتأسى به ويصبر كما صبر، فقال: ﴿ وهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى﴾ أي: لم يأتك إلى الآن وقد أتاك فتنبه له ﴿ إِذْ رَأى ناراً﴾ ظرف لـ(حديث) أو مفعول (اذكر)، قيل: استأذن شعيباً في المسير إلى أمّه بأهله فأضل الطريق في ليلة مظلمة مثلجة وتفرقت ماشيته، فرأى ناراً من بعيد﴿ فَقالَ لأَهلِه امْكُثُوا﴾ الزموا مكانكم. وضم حمزة الهاء﴿ إِنِّي آنَسْتُ ناراً﴾ أبصرتها، وفتح الحرميان وابو عمرو الياء، وياء(اني أنا ربك) و(إنني انا اللّه)﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها

---

(١) لايمكن الإعتماد على مثل هذه الروايات بعد تقدم العلم وإمكانية رؤية الأرض عن بُعد حيث لا قرن ولا ماء ولا غير ذلك وهذا يكشف عن أن هذه الروايات وكثير امثالها نسبت الى الأئمة (ع)وهم منها براء على ان هذه الروايات هي التي يقال لها: (الإسرائيليات) التي تسربت الى التراث الإسلامي.

بِقَبَسٍ﴾ بشعلة اقتبسها بعود ونحوه، وسكن الكوفيون الياء﴿ أو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾ هادياً يهديني الطريق، أو أبواب الدين، فإن همم الأبرار معقودة بها في كل حال وبنى الأمر فيهما على الرجاء لأن حصولهما مترقب فلم يجزم بالوفاء بالوعد، بخلاف الإيناس، فانه لما كان محققاً حققه بإنّ تطييباً لهم، ومعنى على النار إشراف أهلها عليها، أو استعلاؤهم المكان القريب منها﴿ فَلَمَّا﴾ أتاها أي: النار رآها تتقد في شجرة خضراء. وعن الباقر (ع): فأقبل نحوالنار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلمّا ذهب نحو النار يقتبس منها أهوت إليه ففزع وعدا، ورجعت النار إلى الشجرة فرجع الثانية، فأهوت إليه إلى أن فعل ذلك ثلاثاً فعندها﴿ نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ بكسر (ان) بتقدير: القول، أو لأن النداء قول، وفتحها ابن كثير وابو عمرو أي: باني، وكرّر الضمير توكيداً للدلالة، قيل: لما نودي، قال: من المتكلم؟ قال: إني أنا ربك، فوسوس إليه إبليس: لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: عرفت انه كلام اللّه بسماعي له من كل جهة وبكل عضو، وقيل: رأى النار في الشجرة لم تضرّ خضرتها، والخضرة لم تطفئها فعرف انه لا يقدر عليه إلا اللّه﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمر به لأن في الحفاء تواضعاً، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركاً﴿ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر، أو المبارك﴿ طُوىً﴾ عطف بيان لـ(لوادي) لم يصرف بتأويل البقعة ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان، وقيل: هوكثنى مصدر المقدس أي: قدّس مرتين وسئل النبي (ص) عن الوادي المقدس؟ فقال: لأنه قدست فيه الأرواح واصطفيت فيه الملائكة وكلم اللّه عزّ وجلّ موسى تكليماً. وعن الصادق (ع): في (اخلع نعليك) قال: يعني: ارفع خوفيك يعني خوفه من ضياع أهله وقد خلفها تمخض، وخوفه من فرعون. وعن القائم (ع): انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول.

[سورة طه الآيات ١٣ - ٥١]

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ

عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

﴿ وأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ للرسالة، وقرأ حمزة (وانا اخترناك)﴿ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى﴾ إليك مني، ومتعلق اللام: (استمع) أو(اخترتك)﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا﴾ استئناف لبيان (ما يوحى) وابتدأ بالتوحيد ورتب عليه﴿ فَاعْبُدْنِي﴾ ليعلم ان عبادته إنما لزمت الإلهية﴿ وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ لتذكرني فيها، أو لأذكرك بالثناء، أو لأني ذكرتها وأمرت بها، أو لذكري خاصة لا تشوبها بغيره، أو لأوقات ذكري أي: لمواقيت الصلاة، أو لذكر صلواتي لقوله (ص). من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها، وقرأ الآية. وفتح نافع وابو عمرو الياء، والقمي قال: إذا نسيتها ثم ذكرتها فصلّ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ كائنة لا محالة﴿ أَكادُ أُخْفِيها﴾ أريد إخفاءها لتأتي بغتة، أو أكاد أظهرها، من أخفاه أزال خفاءه أي: قرب إظهارها، وعن الصادق (ع): أكاد أخفيها من نفسي. والقمي: هكذا نزلت قيل: كيف يخفيها من نفسه قال: جعلها من غير وقت﴿ لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى﴾ متعلق بـ(آتية)، أو بـ(اخفيها) على الثاني﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها﴾ عن الإيمان بالساعة. أو عن الصلاة﴿ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها واتَّبَعَ هَواهُ﴾ ميل نفسه إلى شهواته فأعرض عن غيرها﴿ فَتَرْدى﴾ فتهلك إن صددت عنها﴿ وما تِلْكَ﴾ سؤال تقرير ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها﴿ بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى (تلك) أوصلتها ﴿ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا﴾ أعتمد﴿ عَلَيْها﴾ إذا مشيت، أو وثبت﴿ وأَهُشُّ﴾ أخبط ورق الشجر﴿ بِها﴾ ليسقط﴿ عَلى غَنَمِي﴾ فترعاه﴿ ولِيَ﴾ وفتح ورش

وحفص الياء﴿ فِيها مَآرِبُ أُخْرى﴾ كحمل الزاد والإداوة[١] في السفر بها، وإلقاء الكساء عليها للإستظلال به، و وصل الرشا[٢] بها إذا قصر، وطرد السّباع بها، وكان فيها من المعجز أن تضيء بالليل كالشمعة، وتطول بطول البئر، وتصير شعبتاها دلواً إذا استقى، ويركزها فينبع الماء، وتحارب عنه العدو، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتورق وتثمر﴿ قالَ أَلْقِها يا مُوسى فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى﴾ قيل: صارت حيّة صفراء دقيقة ثم تورمت وكبرت، فالتعبير عنها بالجان والثعبان نظراً إلى الحالين، وقيل: كانت في شخص الثعبان وسرعة الجان. وعن الصادق (ع): ففزع منها موسى (ع) وعدا فناداه الله﴿ قالَ خُذْها ولا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الأولى﴾ حالتها السابقة. ونصبها بنزع الخافض، أو على الظرف أي: في طريقتها، أو بتقدير: فعلها أي: سنعيدها تسير سيرتها الأولى حيث كنت تنتفع بها فاطمأن بذلك وأدخل يده في فيها وأخذ بلحييها فعادت عصا وإذا يده في موضع مسكها بين شعبتيها، وأري ذلك في ذلك الوقت لئلا يخافها عند عدوه﴿ واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَناحِكَ ﴾ جنبك تحت العضد يقال لكل ناحية جناحان استعارة من جناحي الطائر وهما من الجنوح لأنه يميل بهما إذا طار﴿ تَخْرُجْ بَيْضاءَ﴾ كشعاع الشمس على خلاف لونها من الأدمة[٣] ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ مرض وقبح. وعن الباقر (ع): من غير برص. وعن الصادق (ع): من غير علّة وذلك إن موسى كان شديد السمرة فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا﴿ آية أُخْرى﴾ معجزة ثانية. وهي و(بيضاء) حالان من ضمير (تخرج) أو متداخلان﴿ لِنُرِيَكَ﴾ متعلق

---

(١) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.

(٢) الرشاء هو الحبل، أو حبل الدلو مثلاً، ويقصد أنه يوصل طرف العصا بطرف الحبل ليطول اذا كان قصيراً.

(٣) الأدمة: السمرة.

بمحذوف أي: فعلنا ذلك (لنريك)﴿ مِنْ آياتنَا الْكُبْرى﴾ صفة آياتنا أو مفعول نريك والظرف حال منه﴿ اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ﴾ أدعه إليّ﴿ إِنَّهُ طَغى﴾ تجبر في كفره ﴿ قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسّعه لتحمل أعباء الرسالة ذكر (لي) أولاً إبهاماً للمشروح ثم بيّنه بذكر الصدر تأكيداً وليكون أرسخ، وكذا: ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: سهّله بالتوفيق للقيام بهذا الخطب العظيم، وفتح نافع وابو عمرو ياء (لي) ﴿ واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ جواب (احلل) روي: ان العقدة حصلت من جمرة أدخلها فاه وهو طفل لمّا أمر فرعون بقتله لأنه حمله فأخذ لحيته فنتفها فقالت آسية: انه صبي لا يميز بين الدّرة والجمرة فأحضرتا لديه فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وبكى، فقالت: ألم أقل لك انه لم يعقل؟ فعفا عنه، قيل: انحل بعض عقده لقوله: ولا يكاد يبين وردّ بأن المراد: لا يأتي ببيان وحجّة، وقيل: انحلت كلها لقوله: أوتيت سؤلك يا موسى وردّ بأنه لم يسأل حلّها مطلقاً﴿ واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي﴾ يعاضدني في التبليغ وكان أسنّ منه وأفصح وألين﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري على الدعاء، وقرأ ابن عامر بلفظ الخبر جواباً لـ(اجعل) وكذا﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة وفتح ابن كثير وابو عمرو ياء (أخي)﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً كثيراً،﴿ وَنَذْكُرَكَ﴾ ذكراً كثيراً فان التعاون يتزايد به الخير﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً﴾ بأحوالنا عالماً فإليك فوضنا أمرنا﴿ قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: مسئولك ﴿ يا مُوسى وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا﴿ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى إِذْ ﴾ تفسير (مرّة) ﴿ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ﴾ إلهاماً أو مناماً أو على لسان مَلَك، أو نبي في عصرها لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد﴿ ما يُوحى﴾ أي: ما يجب أن يوحى لعظم شأنه، أو ما لا يعلم إلا بالوحي﴿ أَنِ﴾ بأن، أو أي ﴿ اقْذِفِيهِ﴾ ضعيه﴿ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ﴾ مع التابوت

﴿ فِي الْيَمِّ﴾ البحر أي: النيل﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: بشاطئه. أمر معناه الخبر ﴿ يَأْخُذْهُ﴾ جواب(فليلقه)﴿ عَدُوٌ لِي﴾ في الحال﴿ وعَدُو لَهُ ﴾ في المآل، وهو فرعون. وتكرير (عدو) للمبالغة، قيل: جعلت في التابوت قطناً و وضعته فيه وقيّرته، وألقته في النيل، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء فيه إلى بركة كان فرعون جالساً عليها مع آسية، فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبيّ أصبح الناس وجهاً، فأحبّه حبّاً شديداً كما قال: ﴿ وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ بحيث يحبك من يراك حتى أحبك فرعون، أو أحببتك، ومن أحببته أحبّته القلوب﴿ ولِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ تربى وانا مراعيك وحافظك، عطف على مقدر مثل ليتعطف عليك، وفتح نافع وابو عمرو الياء ﴿ إِذْ﴾ ظرف لـ(ألقيت) أو لـ(تصنع)﴿ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴾ مريم لتعرف خبرك، فرأتهم يطلبون لك مرضعة تقبل ثديها بعد أن احضروا مراضع فلم تقبل جميعها﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ فقالوا: نعم، فجاءت بأمّه، فقَبِل ثديها﴿ فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ﴾ بوعدنا: (إنا رادوه إليك)﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها﴾ برؤيتك﴿ ولا تَحْزَنَ﴾ بفراقك﴿ وقَتَلْتَ نَفْساً﴾ هو القبطي الذي استعانه عليه الإسرائيلي كما يأتي إن شاء اللّه تعالى في القصص، فاغتممت خوفاً من اقتصاص فرعون﴿ فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ بالأمن منه ﴿ وفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ اختبرناك اختباراً، أو اختبارات متعددة على انه جمع فتن فخلصناك من محنة بعد محنة، ولد عام قتل الأطفال، والقي في اليم، وهمّ فرعون بقتله، وقتل قبطياً، وهاجر راجلاً خائفاً بلا زاد، وآجر نفسه.﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً﴿ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عند شعيب بعد هجرتك إليها، وهي على ثمان مراحل من مصر﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى﴾ على وقت قدرته لإرسالك، أو وقت يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة﴿ واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ اخترتك لرسالتي وإقامة حجتي، وسكن الكوفيون وابن عامر ياءه وياء (ذكري) فيسقطان للساكنين﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وأَخُوكَ

بآياتي﴾ التسع، أو التي في العصا واليد فان فيهما آيات﴿ ولا تَنيا﴾ تفترا، أو تقصرا ﴿ في ذِكْرِي﴾ بتسبيح ونحوه أو في تبليغ رسالتي﴿ اذْهَبا إلى فِرْعَونَ﴾ أمر لهما والأول لموسى فلا تكرار، قيل: أوحي إلى هارون أن يتلقاه فتلقاه ﴿ إِنَّهُ طَغى﴾ بكفره﴿ فَقُولا لَهُ قَولاً لَيِّناً﴾ نحو: هل لك إلى ان تزكى. بصورة العرض لئلا يزداد عتواً، أو لحقّ تربيته لك، أو عداه شباباً بلا هرم وملكاً لا ينزع حتى يموت. وعن الكاظم (ع): أي: ليناً وقولا له: يا أبا مصعب.﴿ لَعَلَّهُ يَتَذكَّرُ﴾ يتعظ﴿ أو يَخْشى﴾ العقاب فيرجع أي: إدعواه على رجائكما إجابته لا على يأس منها ليجتهدا في دعائه. وفائدته مع علمه تعالى بانه لا يجيب إلزامه الحجة﴿ قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا﴾ أي: يعجل عقوبتنا قبل إظهار الحجة، من فرط: تقدم ﴿ أو أَنْ يَطْغى﴾ يتكبر علينا، أو يزداد كفراً ﴿ قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما﴾ بالحفظ والنصرة﴿ إسمعُ﴾ قوله ﴿ وأرى﴾ فعله، فأدفع شرّه عنكما﴿ فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أطلقهم﴿ ولا تُعَذِّبْهُمْ﴾ باستعمالهم بالأعمال الشاقة وقتل ولدانهم ﴿ قَدْ جِئْناكَ بِآية مِنْ رَبِّكَ﴾ بحجة تصدق دعوانا والمراد جنسها فلا ينافي تعددها ﴿ والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى﴾ أي: السلامة من العذاب الأليم﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ﴾ بما جئنا به﴿ وتَوَلّى﴾ أعرض عنه، فأتياه وقالا له ما أمرا به﴿ قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى﴾ خصّه بالنداء لأنه الأصل، وهارون وزيره ولتربيته له ﴿ قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات﴿ خَلْقَهُ﴾ صورته التي هوعليها المطابقة لكماله الممكن له، أو اعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه، على تقديم المفعول الثاني﴿ ثُمَّ هَدى﴾ دل على جلب النفع ودفع الضر إختياراً، أو طبعاً، وسئل الصادق (ع) عن الآية؟ فقال: ليس شيء من خلق الله إلا وهو يعرف من شكله الذكر

من الأنثى، سئل ما معنى ثم هدى؟ قال: هداه للنكاح والسفاح من شكله﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ ما حال الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود من السعادة والشقاوة، بهت بالحجة فصرف الكلام عنها.

[سورة طه الآيات ٥٢ - ٦٤]

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ

هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

﴿ قالَ﴾ موسى (ع): ﴿ عِلْمُها﴾ أي: علم حالهم مثبت﴿ عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ﴿ لا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يخطئ شيئاً﴿ ولا يَنْسى﴾ لا يذهل عن شيء﴿ الَّذِي جَعَلَ﴾ صفة (ربي) أو خبر محذوف أو منصوب على المدح﴿ لَكُمُ الأرْضَ مهاداً﴾ فراشاً، وقرأ الكوفيون (مَهْداً) مصدر سمي به كالفرش﴿ وسَلَكَ﴾ جعل﴿ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾ طرقاً تسلكون بها﴿ وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ مطراً ﴿ فَأخْرَجْنا بِهِ﴾ التفت إلى التكلم على الحكاية لقول الله تعالى، إيذاناً باختصاصه بانقياد الأشياء المختلفة لأمره، ولهذا نظائر كثيرة في آيات أخر﴿ أزْواجاً﴾ أصنافاً﴿ مِنْ نَباتٍ﴾ صفة (أزواجاً) وكذا﴿ شَتَّى﴾ جمع (شتيت) كـ(مرضى) لـ(مريض) من شت: تفرق أي: متفرقات في الألوان والطعوم والمنافع﴿ كُلُوا وارْعَوا أنْعامَكُمْ﴾ حال من ضمير (أخرجنا) بتقدير: قائلين. والأمر للإباحة والتذكير بالنعمة، والمعنى: مبيحين لكم الأكل منها ورعي أنعامكم فيها﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ المذكور ﴿ لآياتٍ﴾ لعبراً﴿ لأُولِي النُّهى﴾ لذوي العقول جمع (نهية) سمي بها العقل لنهيه عن القبيح وعن الصادق (ع): نحن والله أولو النهى. وعن النبي (ص): هم أولو الأخلاق الحسنة والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون.﴿ مِنْها﴾ أي: من الأرض﴿ خَلَقْناكُمْ﴾ فان التراب أصل خلقة أوّل آبائكم، وأوّل مواد

أبدانكم﴿ وفِيها نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء﴿ ومِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة وردّ الأرواح إليها، وعن الصادق (ع): ان النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عزّ وجلّ ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها فماثها[1] في النطفة فلا يزال قلبه يحن إليها حتى يدفن فيها. ﴿ ولَقَدْ أَرَيْناهُ﴾ بصر فرعون﴿ آياتنا كُلَّها﴾ التسع﴿ فَكَذَّبَ﴾ بها عناداً﴿ وأَبى﴾ قبولها﴿ قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا﴾ مصر وتستولي عليها﴿ بِسِحْرِكَ يا مُوسى﴾ نسبه إلى السحر تلبيساً على قومه﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ يقابله﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ وعداً﴿ لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أَنْتَ مَكاناً﴾ نصب بما دلّ عليه المصدر لا به لو صفه، أو بابداله من موعداً ان جعل مكان الوعد، فالهاء في نخلفه للوعد المعلوم من الموعد ﴿ سُوىً﴾ وسطاً تستوي مسافته إليك وإلينا وضمّه ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ ان جعل مصدراً فالتقدير: وعدكم وعد يوم الزينة وان جعل إسم مكان فالتقدير: مكان وعدكم مكان يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون، وإنما عيّنه ليعلموا الحق على الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الأقطار﴿ وأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ عطف على (يوم) أو الزينة أي: يجمع أهل مصر ضحى فينظرون في أمرنا﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ إنصرف﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أسباب كيده من السحرة وآلاتهم﴿ ثُمَّ أَتى﴾ الموعد﴿ قالَ لَهُمْ مُوسى﴾ واعظاً لهم وكانوا اثنين وسبعين مع كل واحد حبل وعصى أو أربعمائة، أو أكثر﴿ ويْلَكُمْ﴾ نصب على انه مصدر لا فعل له، أو على النداء﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بإشراك أحد معه ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ﴾ فيستأصلكم به. وضمّه حفص وحمزة والكسائي من (أسحت)

---

(١) أي: خلطها وأذابها فيها.

لغتان﴿ وَقَدْ خابَ﴾ خسر﴿ مَنِ افْتَرى﴾ على الله كذباً كفرعون﴿ فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: السحرة في أمر موسى حين قال: ويلكم، الآية، فقالوا: ما هذا بكلام ساحر ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوى﴾ الكلام بينهم بأن موسى إن غلبنا اتبعناه، أو الضمير لفرعون وقومه ويفسّر النجوى﴿ قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ﴾ هذان إسم (إنّ) على لغة من يجعل المثنى كالمقصور في تقدير الإعراب، وقيل: إسمها ضمير شأن محذوف وردّ بأن اللام لا تدخل خبر مبتدأ، وكذا جعل انّ بمعنى: نعم ولو قدر نعم هذان لهما ساحران، فحذف المبتدأ ينافي التأكيد وقرأ ابوعمرو (هذين) وهو واضح وابن كثير وحفص ان هذان على المخففة، واللام فارقة أو النافية واللام بمعنى: إلا﴿ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى﴾ بدينكم الأفضل بإظهار دينهما، وقيل: الطريقة أشراف القوم أي: بأشرافكم بصرف وجوههم إليهما، و(المثلى) مؤنث (الأمثل) أي: الأفضل والأشبه بالحق﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أحكموه واجعلوه مجمعا عليه، وقرأ ابوعمرو فاجمعوا من جمع﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ مصطفين ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى﴾ فاز من غلب.

[سورة طه الآيات ٦٥ - ٧٦]

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ

سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

﴿ قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وإِمَّا أَنْ نَكُونَ أولَ مَنْ أَلقى﴾ راعوا الأدب، أي: إختر إلقاءك أو إلقاءنا، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا﴿ قالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ مقابلة لأدبهم وعدم احتفال بكيدهم، وجوداً بما مالوا إليه من البدء كما يفهمه ذكر أول في شقهم وليبرزوا ما معهم فيأتي الحق فيبطله﴿ فَإِذا حِبالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إليه مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى﴾ (إذا) للمفاجأة وأصلها الوقت وتستدعي متعلقاً ناصباً وهو فعل المفاجأة وجملة ابتدائية تضاف إليها، والمعنى: فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم، قيل: لطخوها بالزئبق فلمّا حميت الشمس تحرك فحركها فخيل إليه انها تسعى، وقرأ ابن ذكوان (تخيل) بالتاء على اسناده إلى ضمير الحبال والعصي وبدليّة (انها تسعى) منه بدل اشتمال﴿ فَأَوجَسَ﴾ فأضمر﴿ فِي نَفْسه خِيفَةً مُوسى﴾ من أن يشك الناس فلا يتبعوه، أو للطبع البشري﴿ قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلى﴾ تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكداً بالإستئناف والفصل ولفظ العلو ومعناه: الغلبة وصيغة التفضيل، وفي النبوي ان موسى (ع): لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم اني أسألك بحق محمد (ص) وآل محمد (ص) لما آمنتني قال اللّه: لا تخف إنك أنت الأعلى.﴿ وأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ﴾ أبهم تصغيراً للعصا وتهوينا لأمر السحرة، أي: ألق العويد الذي معك، أو تعظيماً لها أي: لا تستعظم ما معهم فان معك ما هو أعظم منه﴿ تَلْقَفْ﴾ تتلقف، حذف أحدى التاءين ورفعه ابن ذكوان حالاً، أو استئنافاً وخففه حفص جازماً أي: تبتلع﴿ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا﴾ ان الذي افتعلوه ﴿ كَيْدُ ساحِرٍ﴾ أفرد لقصد الجنس ونكر لتنكير الكيد، وقرأ حمزة والكسائي (سحر) أي: ذي سحر، أو سمّي به الساحر مبالغة، أو الإضافة بيانية﴿ ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي: جنسه﴿ حَيْثُ أَتى﴾ أين كان، فألقاها فتلقفت فتحققوا انه ليس سحراً﴿ فَأُلْقِيَ

السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ لله تعالى، ألقاهم تحقق الحق لهم﴿ قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ ومُوسى﴾ أخر للفاصلة قيل: رأوا في سجودهم منازلهم في الجنة﴿ قالَ فرعون آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: لموسى وقرأه قنبل وحفص على الخبر﴿ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ في ذلك﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ رئيسكم، أو أستاذكم﴿ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فتواطأتم على ما فعلتم﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ حال، أي: مختلفات الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى. و(من) إبتدائية أي: إبتداء القطع من الجهتين المتخالفتين﴿ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ شبّه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف﴿ ولَتَعْلَمُنَّ أينا﴾ يعني نفسه، أو موسى، أو رب موسى﴿ أَشَدُّ عَذاباً﴾ وأبْقى وأدوم﴿ قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك﴿ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ﴾ المعجزات الظاهرة﴿ والَّذي فَطَرَنا﴾ عطف على (ما)، أو قسم﴿ فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ﴾ أي: صانعه، أو حاكم به﴿ إِنَّما تَقْضِي﴾ تصنع أو تحكم بسلطانك﴿ هذهِ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾ أي: فيها ونصير إلى النعيم الباقي في الآخرة﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا﴾ من الشرك والمعاصي﴿ وما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أي: تعلّمه وعمله في معارضة المعجزة روي: أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه﴿ واللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثواباً للمطيع﴿ وأَبْقى﴾ عقاباً للعاصي﴿ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، ابتداء كلام من الله، أو من كلام السحرة﴿ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً﴾ كافراً﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريح﴿ ولا يَحْيى﴾ حياة ممتعة﴿ ومَنْ يَأْتِه مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ﴾ الفرائض، قيل: والنوافل﴿ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى﴾ جمع (عليا) مؤنث (أعلى)﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من (الدرجات)﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من دنس الذنوب.

[سورة طه الآيات ٧٧ - ٨٧]

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ
يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم
مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا
تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ
﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ
أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ
يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا

مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

﴿ ولَقَدْ أوحَيْنا إلى مُوسى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بالآيات إلى الله ولا يجيبون﴿ أنْ أسْرِ بعبادِي﴾ بقراءتي القطع والوصل أي: سر بهم ليلاً من مصر ﴿ فَاضْرِبْ﴾ اجعل، أو بيّن ﴿ لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك﴿ طريقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ يابساً مصدر وصف به كاليبس ونحوهما العدم والعدم﴿ لا تَخافُ دَرَكاً﴾ حال أي: آمنا أن يدرككم فرعون، وجزمه حمزة جواباً للأمر﴿ ولا تَخْشى﴾ غرقاً، إستئناف في قراءة تخف، أو عطف عليه، وألفه للإطلاق كالسبيلا﴿ فَأتْبَعَهُمْ فِرْعَونُ بِجُنُوده﴾ أي: الحق بهم جنوده، أو تبعهم ومعه جنوده﴿ فَغَشِيَهُمْ﴾ أي: علاهم﴿ مِنَ الْيَمِّ﴾ من البحر﴿ ما غَشِيَهُمْ﴾ أي: جاز بليغ، أي: غشيهم ما سمعته ولا يعلم كنهه الا الله ﴿ وأَضَلَّ فِرْعَونُ قَومَهُ﴾ عن الحق﴿ وما هَدى﴾ ردّ لقوله: (وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد)[1]﴿ يا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من فرعون والغرق، أو للمعاصرين بما أنعم على آبائهم﴿ قَدْ أنجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوكُمْ﴾ فرعون﴿ وواعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ﴾ ليؤتى موسى التوراة بياناً لما تحتاجون إليه﴿ ونَزّلنا عَلَيْكُمُ﴾ في التيه﴿ الْمَنَّ والسَّلْوى﴾ الترنجبين والطير السمانى، بتخفيف الميم والقصر ﴿ كُلُوا﴾ بتقدير القول﴿ مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ لذائذه، وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم﴿ ولا تَطْغَوا فيهِ﴾ بترك شكره وتعدي حدود الله فيه ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ بكسر الحاء أي: يجب﴿ ومَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ بكسر

---

(١) حكى الله تعالى عنه ذلك في سورة غافر الآية٢٩.

اللام، أي: يجب، وضمهما الكسائي من حلّ يحل: نزل﴿ فَقَدْ هَوى﴾ هلك وسقط في النار، وسئل الباقر (ع) ما ذلك الغضب؟ فقال: هو العقاب. ثم قال: إنه من زعم إن اللّه زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، ان اللّه تعالى لا يستفزه شيء ولا يغيّره﴿ وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ من الكفر﴿ وآمَنَ﴾ باللّه ورسله﴿ وعَمِلَ صالحاً﴾ ادّى الفرائض﴿ ثُمَّ اهْتَدى﴾ استمر على ما ذكر في النبوي، يعني إلى ولاية علي (ع) وعن الباقر (ع): ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فو اللّه لو أن رجلاً عبد اللّه عمره ما بين الركن والمقام، ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه اللّه في النار على وجهه ﴿ وما أَعْجَلَكَ عَنْ قَومِكَ يا مُوسى﴾ سؤال عن سبب عجلته عنهم إلى ميعاد أخذ التوراة فيه إنكاراً لها، فقدم جواب الإنكار لأهميّته﴿ قالَ هُمْ أولاءِ عَلى أثَري﴾ ما تقدمتهم إلا يسيراً وهم يدركونني عن قريب﴿ وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى﴾ طلباً لزيادة رضاك﴿ قالَ﴾ تعالى﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَومَكَ﴾ إمتحناهم بتشديد التكليف لما أخرج لهم العجل، فألزمناهم النظر ليعلموا إنه ليس بإله﴿ مِنْ بَعْدِكَ﴾ بعد انطلاقك منهم، وهم الذين خلّفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف وما سلم من عبادة العجل منهم إلا إثنا عشر ألفاً﴿ وأضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ بالدعاء إلى عبادة العجل فعبدوه، والسامري منسوب إلى السامرة قبيلة من بني إسرائيل، وقيل: كان عِلجاً[1] من كرمان[2] إسمه موسى بن ظفر، وكان منافقاً﴿ فَرَجَعَ مُوسى إلى قَومِهِ﴾ بعد الأربعين وأخذ التوراة﴿ غَضْبانَ﴾ عليهم﴿ أسِفاً﴾ حزيناً لضلالهم﴿ قالَ يا قَومِ أ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وعْداً حَسَناً﴾ أي: صدقاً ان يعطيكم التوراة﴿ أ فَطالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ﴾ زمان

---

(١) العِلج: هو الرجل الجاف الشديد في طباعه.

(٢) إحدى المدن الإيرانية المعروفة.

مفارقتي إياكم﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يجب﴿ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل﴿ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ وعدكم أي: بالإقامة على ديني وباللحاق بي﴿ قَالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا﴾ بالكسر وفتحه نافع وعاصم، وضمّه حمزة والكسائي لغات في مصدر ملك أي: بأن ملكنا رأينا إذ لو ملكناه ولم يغلبنا كيد السامري لما أخلفناه ﴿ ولكنّا حُمِّلْنا﴾ وفتحه مخففاً ابوعمرو وأبوبكر وحمزة والكسائي﴿ أوزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَومِ﴾ أحمالاً من حلي القبط التي إستعرناها منهم، أو ألقاها البحر على الساحل بعد إغراقهم﴿ فَقَذَفْناها﴾ ألقيناها في النار بأمر السامري، قال: هي حرام فألقوها ﴿ فَكَذلِكَ﴾ كما ألقينا﴿ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه منها.

[سورة طه الآيات ٨٨-٩٨]

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ

بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً﴾ صاغه من الحلي المذابة﴿ جَسَداً﴾ بدل منه أي: لحماً ودماً، أو جسماً بلا روح ﴿ لَهُ خُوارٌ﴾ صوت العجل﴿ فَقالُوا﴾ أي: السامري ومن تبعه﴿ هذا إِلهُكُمْ وإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ﴾ أي: فتركه موسى هنا وذهب يطلبه، أو ترك السامري الإيمان﴿ أَ فَلا يَرَوْنَ﴾ يعلمون﴿ (ان) مخففة الثقيلة وإسمها محذوف أي: انه﴿ لا يَرْجِعُ إليهِمْ قَوْلاً﴾ لا يرد عليهم جواباً﴿ ولا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا ولا نَفْعاً﴾ لا يقدر على ضرّهم ونفعهم﴿ ولَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل عود موسى ﴿ يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ﴾ امتحنكم الله، أو أضلكم السامري﴿ بِهِ وإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ﴾ لا غيره﴿ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته﴿ وأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ بلزومها﴿ قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى﴾ القمي: فهمّوا بهارون فهرب منهم وبقوا في ذلك حتى تمّ ميقات موسى (ع) أربعين ليلة، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيها التوراة وما يحتاج إليه من أحكام السير والقصص، فأوحى الله تعالى إلى موسى (ع): إنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامري، وعبدوا العجل وله خوار، فقال: يا رب العجل من السامري

فالخوار ممّن؟ فقال: مني يا موسى، إني لما رأيتهم قد ولّوا عنّي إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة، فرجع موسى إلى قومه، كما حكى الله﴿ قالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل﴿ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ أن تلحقني، أو تتبعني في قتالهم بمن أطاعك إذ لوكنت فيهم لقاتلتهم و(لا) زائدة﴿ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامتك فيهم أو ترك مجاهدتهم ويراد بعصيان الأمر ترك الأولى لعصمة الأنبياء﴿ قالَ يَا بْنَ أُمَّ﴾ بالكسر والفتح ـ كما مرّ في الأعراف ـ وذكر الأم ترقيقاً وكانا لأب واحد﴿ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ أخذ بلحيته وذؤابته[١] يجرّه فِعْلَ الغضبان بنفسه. وفتح نافع وأبوعمرو الياء﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ لو فارقت، أو قاتلت بعضهم ببعض﴿ و لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت أخلفني في قومي وأصلح، فإن الإصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة بينهم إلى أن ترجع إليهم، فتدارك الأمر برأيك. سئل الصادق (ع): لم أخذ برأسه يجرّه إليه وبلحيته ولم يكن له في اتخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟ فقال: إنما فعل ذلك لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب.﴿ قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ ﴾ ثم أقبل عليه وقال له منكراً: ما شأنك الذي حملك على ما صنعت؟﴿ قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ علمت ما لم يعلموا، وفطنت لما لم يفطنوا إليه وهوان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه. وقرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ القمي: يعني من تحت رَمَكَة[٢] جبرئيل في البحر﴿ فَنَبَذْتُها﴾ أي: أمسكتها فنبذتها في جوف العجل، وقد مضت القصة في البقرة

---

(١) الذؤابة: شعر مقدم الرأس.

(٢) الرمكة: الفرس التي تتخذ للنسل.

والأعراف﴿ وكَذلكَ سَولَتْ﴾ زينت﴿ لِي نَفْسِي﴾ وحدثتني أن آخذ القبضة وألقيها فيه القمي: فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر﴿ قالَ فَاذْهَبْ فَإنَّ لكَ في الْحَياة﴾ ما دمت حياً عقوبة على ما فعلت ﴿ أنْ تَقُولَ﴾ لمن لقيته﴿ لا مِساسَ﴾ أي: لا تمسّني، وكان إذا مسّه أحد حمّ هو ومن مسّه فصار يهيم في البريّة وحيداً يتحامى الناس ويتحامونه﴿ وإنَّ لكَ مَوعِداً﴾ لعذابك﴿ لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ لن يخلفك الله إياه في الآخرة. وكسر اللام ابن كثير وأبوعمرو، أي: لن تخلف الوعد إياه وستأتيه، فحذف المفعول الأول، أو المعنى لن تجده خلفاً﴿ وانْظُرْ إلى إلهكَ الَّذي ظَلْتَ عَلَيْه عاكِفاً﴾ ظللت على عبادته مقيماً فحذفت اللام الأولى المكسورة تخفيفاً﴿ لَنحرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، وعن علي (ع): لنحرقنه أي: لنبردنه بالمبرد﴿ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفاً﴾ نذريه في البحر ففعل به ما ذكر تنبيهاً على غباوة عبدته﴿ إنّما إلهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة ﴿ اللّهُ الَّذي لا إلهَ إلاّ هُو وسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء.

[سورة طه الآيات ٩٩ - ١١٣]

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا

يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

﴿ كَذلكَ﴾ كما قصصنا عليك يا محمد (ص) قصة موسى (ع) ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنباءِ﴾ أخبار ما﴿ قَدْ سَبَقَ﴾ مضى من الأمور والأمم تبصرة لك وتكثيراً لمعجزاتك وعظة لأمتك﴿ وقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً﴾ أعطيناك من عندنا قرآناً فيه ذكر ما يحتاج إليه في الدين والدنيا﴿ مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن الذكر فلم يؤمن به ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَومَ الْقِيامَةِ وِزْراً﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم أي: عقوبته﴿ خالدينَ فِيه﴾ في الوزر، والجمع لمعنى: من﴿ وساءَ لَهُمْ يَومَ الْقِيامَةِ حِمْلاً﴾ تمييز يفسر الضمير المبهم في ساء، والمخصوص بالذم محذوف، أي: ساء حملاً وزرهم، واللام للبيان

﴿ يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدل من (يوم القيامة) وقرأ ابوعمرو بالنون إسناداً إلى الأمر، والصور: القرن، أو جمع صورة ويؤيده قراءة الصور ﴿ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمينَ﴾ المشركين ﴿ يَومَئِذٍ زُرْقاً﴾ عيونهم والزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب، أو عمياً إذ الأعمى تزرق عينه. والقمي: تكون أعينهم مزرقّة لا يقدرون أن يطرفوها ﴿ يَتخافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول ﴿ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ عَشْراً﴾ ليال في الدنيا استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها ودوام عذابهم، أو في القبور ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بما يَقُولُونَ﴾ وهومدّة لبثهم ﴿ إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلهم ﴿ طَرِيقَةً﴾ القمي: أعلمهم وأصلحهم ﴿ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ يوماً﴾ وهو بالقياس إلى طول لبثهم في النار أقرب من العشر ﴿ ويَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ﴾ ما حالها في القيامة ﴿ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾ يجعلها كالرمل ثم يطيّرها بالرياح. سئل النبي (ص) كيف تكون الجبال مع عظمها يوم القيامة؟ فقال: إن اللّه يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿ فَيَذَرُها﴾ فيدع أماكنها، أو الأرض المعلومة من الجبال ﴿ قاعاً﴾ أملس خالياً ﴿ صَفْصَفاً﴾ مستوياً كأنّ أجزاءها على صف واحد. القمي: القاع لا تراب فيه والصفصف الذي لا نبات له ﴿ لا تَرى فِيها عِوجاً﴾ إنخفاضاً ﴿ ولا أَمْتاً﴾ ارتفاعاً القمي: الأمت: الارتفاع، والعوج: الحزون والذكوات[1] ﴿ يَومَئِذٍ﴾ يوم إذ نسفت الجبال ﴿ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ﴾ داعي اللّه إلى المحشر وهو إسرافيل بالنفخ، أو بقوله: هلمّوا إلى العرض على الرحمن. ﴿ لا عِوجَ لَهُ﴾ لا يعوج له أحد ولا يميل عنه ﴿ وخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ﴾ أسكنت لعظمته ﴿ فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْساً﴾ صوتاً خفياً وهو صوت وطء الاقدام ﴿ يَومَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إلاّ﴾ شفاعة ﴿ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ﴾

---

(١) الحزون: جمع (حَزْن) وهو ما غلظ من الأرض. وأما الذكوات: هي الأراضي المرتفعة ـ على ماذكر اللغويون ـ.

أو لا تنفع أحداً إلا من أذن أن يشفع له ﴿ ورَضِيَ لَهُ قَولاً﴾ في الشفاعة لمكانه عند الله، أو رضي لأجله قول الشافع في حقّه﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيدِيهِمْ﴾ ما كان في حياتهم ﴿ وما خَلْفَهُمْ﴾ بعد مماتهم القمي: ما بين أيديهم ما مضى من أخبار الأنبياء وما خلفهم من أخبار القائم (ع)﴿ ولا يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ لا يحيط علمهم بمعلوماته، أو بذاته﴿ وعَنَتِ الوجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ﴾ خضعت له خضوع العاني أي: الأسير في يد من قهره﴿ وقَدْ خابَ خسر مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ أي: شركاً﴿ ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ بعض الطاعات﴿ وهُو مُؤْمِنٌ ﴾ بما يجب الإيمان به إذ لا تصح طاعة غيره ﴿ فَلا يَخافُ﴾ وقرأ ابن كثير (فلا يخف) على النهي﴿ ظُلْماً ﴾ بزيادة في سيئاته ﴿ ولا هَضْماً﴾ بنقص من حسناته﴿ وكَذلِكَ﴾ عطف على(كذلك نقص) أي: وكما أنزلنا ما ذكر﴿ أنزَلْناهُ﴾ أي: القرآن﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾ كلّه﴿ وصَرَّفْنا﴾ كرّرنا﴿ فيه مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي﴿ أو يُحْدِثُ﴾ القرآن﴿ لَهُمْ ذِكْراً﴾ عظة بعقوبات الأمم الماضية فيتعظون.

[سورة طه الآيات ١١٤ - ١٢٥]

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا

وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

﴿ فتعالى اللّهُ﴾ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين﴿ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ النافذ أمره ونهيه بالإستحقاق، أو الذي يحق له الملك، أو الثبات﴿ ولا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضى إِلَيْكَ وحْيُهُ﴾ القمي: كان رسول الله (ص) إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول الآية أي: قبل تمامها حرصاً عليه. أقول: فالمعنى: لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرئيل من إبلاغه، وقيل: لا تعجل في تبليغ ما كان مجملاً قبل أن يأتيك بيانه﴿ وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ إلى ما علّمتني، أو قرآناً فانه كلما نزل عليه شيء منه زاد به علمه، ومن فضائل العلم ان النبي (ص) لم يؤمر بطلب الزيادة إلا فيه. وعن النبي (ص) قال: إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بارك الله لي

في طلوع شمسه﴿ ولَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ﴾ أمرناه بالكف عن الأكل من الشجرة﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل زمانك يا محمد (ص)﴿ فَنَسِيَ﴾ ترك الأولى وهو ما أمر به من الكف ﴿ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ثباتاً وتصلّباً فيما أمر به بحيث يؤيس الشيطان من التسويل، أو عزماً في العود إلى الذنب، وقيل: عزماً على الذنب لأنه لم يتعمّده على جعل نسي بمعنى: سهى. والقمي: فيما نهاه عن أكل الشجرة. وعن الباقر (ع): إن الله عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشجرة فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها. وعنه (ع): إن الله لما قال لآدم وزوجته: لا تقرباها، فقالا: نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا فوكلهما الله إلى أنفسهما وإلى ذكرهما. وعن الصادق (ع): سمي الإنسان (إنساناً) لأنه ينسى، ثم تلا الآية واذكر﴿ إذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أبى﴾ فسّر في البقرة﴿ فَقُلْنا يا آدَمُ إنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى﴾ تتعب بالكد في كسب المعاش. وخصّ إسناد الشقاء إليه لأن الإكتساب وظيفة الرجل ولرعاية الفاصلة، ثم بيّن ذلك الشقاء بذكر ماله في الجنة من كفاية المؤن لأصول المتاعب من الشبع والرّي والكنّ[١] بقوله: ﴿ إنَّ لَكَ ألاّ تَجُوعَ فِيها ولا تَعْرى وأنَّكَ﴾ بالفتح عطف على إسم (أنّ) وجاز مع امتناع (أنّك) قائم للفصل بالخبر ولأنه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه، وكسرها أبو بكر ونافع عطفاً على الجملة﴿ لا تَظْمَؤُا فِيها ولا تَضْحى﴾ لا تعطش ولا يصيبك حر الشمس إذ لا شمس في الجنة﴿ فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطانُ﴾ أنهى إليه وسوسته بأن﴿ قالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً﴿ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾ لا يزول ولا يضعف﴿ فَأكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوآتُهُما

---

(١) الكنّ: هو كل ما يردُّ الحر والبرد من الأبنية ونحوها.

وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ ورَقِ الْجَنَّة﴾ فسّر في الأعراف﴿ وعَصى آدَمُ ربَّهُ﴾ خالف أمره وإن كان ندباً أو إرشاداً﴿ فَغَوى﴾ خاب من ثوابه، أو ما رجاه من الخلد﴿ ثُمّ اجْتَباهُ ربُّهُ﴾ اختاره للرسالة﴿ فَتابَ عَلَيْه﴾ قبل توبته﴿ وهَدى﴾ إلى حفظ أسباب العصمة﴿ قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً﴾ خطاب لآدم وحواء، أو له ولإ بليس، ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما، مخاطبتهم كما مرّ في البقرة﴿ بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عَدُو﴾ الشيطان عدو للإنسان وبالعكس، أو بعض الذرية عدو لبعض للتظالم في أمر المعاش ﴿ فَإمّا﴾ (إن) الشرطية أدغمت في (ما) الزائدة﴿ يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾ شريعة وبيان ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُداي فَلا يَضِلُّ﴾ في الدنيا﴿ ولا يَشْقى﴾ في الآخرة﴿ ومَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن وسائر كتب الله﴿ فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ مصدر وصف به ولذا استوى فيه المذكر والمؤنث أي: ضيّقه لحرصه على جميع أعراض الدنيا وإزديادها، وخوّفه من انتقاصها فلم يزل نكد العيش وقيل: هو عذاب القبر وقيل: الضريع والزقوم في جهنم. وعن الصادق (ع): هي ـ والله ـ للنصّاب في الرجعة يأكلون العذرة. ﴿ ونَحْشُرُهُ يَومَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾ القلب، أو البصر، وعنه (ع): أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية علي (ع) وروي: أعمى عن طريق الخير. وروي: عن طريق الجنّة.﴿ قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ في الدنيا وعند البعث. قيل: يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره. وفتح الحرميان الياء.

[سورة طه الآيات ١٢٦- ١٣٥]

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ

﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿ قالَ كَذلكَ﴾ مثل ذلك فعلت، ثم بيّنه بقوله: ﴿ أَتَتْكَ آياتُنا﴾ دلائلها﴿ فَنَسيتَها﴾ تركتها وأعرضت عنها﴿ وكَذلكَ﴾ وكما تركتها﴿ الْيَومَ تُنسى﴾ تترك في العذاب

أو العمى﴿ وكَذلكَ﴾ الجزاء﴿ نَجزِي مَنْ أسْرَفَ﴾ أشرك﴿ ولَمْ يُؤْمِنْ بآياتِ ربِّه ولعَذابُ الآخرَة أشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر﴿ وأبْقى﴾ وأدوم﴿ أ فَلَمْ يَهْد لَهُمْ﴾ يبيّن الله، أو الرّسول لقريش﴿كَمْ أهلكْنا قبْلَهُمْ منَ القُرُون﴾ أي: إهلاكنا كثيراً من الأمم الماضية المكذبة للرسل كعاد وثمود﴿ يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير(لهم) ﴿ في مَساكنِهِمْ﴾ ويرون آثار هلاكهم فيعتبروا﴿ إنّ في ذلكَ لآيات﴾ لعبراً﴿ لأولي النُّهى﴾ لذوي العقول﴿ ولَولا كَلمَةٌ سَبَقَتْ منْ ربِّكَ﴾ بتأخير عذابهم إلى الآخرة ﴿ لَكانَ﴾ الأخذ العاجل﴿ لزاماً﴾ لازماً لهم. مصدر وصف به﴿ وأجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على (كلمة)أي: لولا العدة بتأخير عذابهم وأجل مضروب له وهو الآخرة أو يوم بدر للزمهم الأخذ العاجل، أو على مستكن (كان) أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمّى لازمين لهم﴿ فَاصْبرْ عَلى ما يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك﴿ وسَبِّحْ بحَمْد ربِّكَ﴾ صلّ متلبساً بحمده﴿ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر﴿ وقَبلَ غُرُوبِها﴾ صلاة العصر، أو الظهرين﴿ ومِنْ آناء اللَّيْلِ﴾ ساعاته﴿ فَسَبِّحْ﴾ صلّ العشاءين وقدّم الظرف عليه إهتماماً بالصلاة فيه لأنها أشق والبال فيه أجمع﴿ وأطْرافَ النَّهارِ﴾ صلاة الظهر لأن أوّل وقتها نهاية النصف الأوّل وبداية النصف الثاني، وجمع لأمن اللبس، أو تكريراً لصلاتي الصبح والعصر إعتناء بهما نحو: والصلاة الوسطى. ويمكن حمل الأمر على الرجحان المطلق فيعم الفرائض والنوافل النهارية والليلية، وقيل: التسبيح التنزيه والمراد: الحث على ملازمته في كل الأوقات﴿ لَعَلَّكَ تَرْضى﴾ بما يعطيك ربك في الدارين. وبناه الكسائي للمجهول﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظرن﴿ إلى ما مَتَّعْنا بهِ﴾ رغبة فيه﴿ أزْواجاً منْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار﴿ زَهْرَةَ الحَياة الدُّنيا﴾ زينتها وبهجتها ونصبت على الذم، أو البدل من محل به، أو من (أزواجا) بتقدير: ذوي زهرة.

وفتح يعقوب الهاء لغة فيها﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم، أو لنعذبهم به﴿ ورِزْقُ رَبِّكَ﴾ ما وعدك به في الآخرة، أو ما رزقك من العلم والنبوة﴿ خَيْرٌ﴾ مما متعتهم به في الدنيا ﴿ وأبْقى﴾ وأدوم. وعن الصادق (ع): إياك وأن تطمح نفسك إلى من فوقك وكفى بما قال الله لرسوله: فلا تعجبك أموالهم... إلخ. وقال: ولا تمدّن عينيك... إلخ. ﴿ وأمُرْ أهلكَ﴾ أهل بيتك﴿ بِالصَّلاةِ﴾ عن الباقر (ع): أمر الله نبيه أن يخص أهل بيته وأهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم فأمرهم مع الناس عامّة، ثم أمرهم خاصة، وعن الرضا (ع): كان النبي (ص) يجيء إلى باب علي وفاطمة (ع) بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله. وزيد في رواية: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.﴿ واصْطَبِرْ عَلَيْها﴾ حافظ عليها ﴿ لا نَسْئَلُكَ﴾ لا نكلفك﴿ رِزْقاً﴾ لنفسك ولا لأهلك﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكَ والعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿ لِلتَّقْوى﴾ لأهلها﴿ وقالُوا لَولا﴾ هلاّ﴿ يَأْتِينا﴾ محمد﴿ بِآيةٍ مِنْ رَبِّه﴾ مقترحة لعدم اعتدادهم بما أتى به من الآيات، فردّ عليهم بقوله: ﴿ أوَلَمْ يَأْتِهِم﴾ بالياء لنافع وابي عمرو وحفص وبالتاء(من فوق) للباقين﴿ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الأولى﴾ بيان ما في سائر الكتب المنزلة أي: القرآن لتضمنه أصول ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي به أمّي لم يقرأها ولم يسمعها من أحد، فهو معجز يشهد بنبوته وبصحة تلك الكتب المحتاجة إلى مصدق لها لعدم إعجازها. وقيل: أراد به بيان ما فيها من أنباء الأمم المكذبة وإهلاكهم باقتراح الآيات﴿ ولَوأنّا أهلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِه﴾ قبل محمد(ص) أو القرآن المراد به: البينة السابقة﴿ لَقالُوا﴾ يوم القيامة ﴿ رَبَّنا لَولا﴾ هلاّ﴿ أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾ المرسل بها﴿ مِنْ قَبْلِ أنْ نَذِلَّ﴾ في المحشر، أو في الدنيا بالقتل والأسر﴿ ونَخْزى﴾ في جهنم﴿ قُلْ كُلٌّ مِنّا﴾ ومنكم

﴿ مُتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر عاقبة الأمر ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ تهديد ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ ﴾ الدين المستقيم ﴿ ومَنِ اهْتَدى ﴾ لطريق الحق أ نحن أم أنتم؟ وكلتا (من) استفهامية معلقة للفعل مرفوعة بالإبتداء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة طه وتفسيرها.

سورة الأنبياء

مائة واثنتا عشرة آية مكية.

[الآيات ١- ١٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا

نُوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾

عن الصادق (ع): من قرأ سورة الأنبياء حبّاً لها كان كمن رافق النبيين أجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً في أعين الناس حياة الدنيا.﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ الكفار، لوصفهم المتعقب، واللام صلة (اقترب) أو تأكيد الإضافة في قوله:﴿ حِسابُهُمْ﴾ القمي: قربت القيامة والساعة والحساب أقول: لأن كل ما هوآت قريب. أو لأن من أشراط الساعة بعثته (ص) لقوله (ص): بعثت أنا والساعة كهاتين. أو عند الله كقوله: (يرونه بعيداً ونراه قريباً)[1]﴿ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ من دنوها أو من الحساب﴿ مُعْرِضُونَ﴾ عن التفكر فيها، أو فيه، أو عن الإيمان بهما﴿ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة، أو القرآن، و(من) مزيدة، أو تبعيضية ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة (ذكر) أو صلة (يأتيهم)﴿ مُحْدَثٍ﴾ تنزيله شيئاً فشيئاً، ويفيد حدوث القرآن﴿ إلاّ اسْتَمَعُوهُ وهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزءون به حال من(الواو) وكذا ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة عن تدبّره، أو حال من واو (يلعبون)﴿ وأَسَرُّوا النَّجْوى﴾ بالغوا في إخفائها، أو أخفوا التناجي فلم يفطن له﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو (أسرّوا) أو ذم مرفوع، أو منصوب بتقدير: هم، أو أعني﴿ هَلْ هذا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾

---

(١) سورة المعارج الآيات (٦-٧).

بدل من (النجوى) أو مفعول لـ(قالوا) مضمراً، أي: هو ليس بملك فليس برسول فما يأتي به سحر﴿ أَ فَتَأْتونَ السِّحْرَ﴾ أ فتحضرونه وتقبلونه﴿ وأَنْتُمْ تُبصِرُونَ﴾ ترون أنه بشر، أو تعلمون إنه سحر﴿ قُلْ﴾ وقرأ حفص وحمزة والكسائي (قال) بالإخبار عن الرسول (ص)﴿ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَولَ﴾ كائناً﴿ فِي السَّماءِ والأَرْضِ ﴾ فيعلم ما أسرّوه ﴿ وهُو السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم﴿ الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم﴿ بَلْ﴾ للإنتقال من حكاية تشاورهم في أمر الرسول (ص) إلى حكاية ما قالوا في القرآن﴿ قالُوا﴾ في القرآن﴿ أَضْغاثُ أَحْلامٍ﴾ أخلاط أحلام رآها في المنام﴿ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوشاعِرٌ﴾ كلاهما للإضراب عن كون القرآن أباطيل خيّلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفترى مفتعلاً إختلقه من تلقاء نفسه ثم إلى إنه كلام شعري يخيّل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغّبه فيها وهذا قول المتحيّر العاجز، ثم قالوا: ﴿ فَلْيَأْتنا بِآية﴾ ظاهرة، يستدركها الخاص والعام ﴿ كَما أُرْسِلَ﴾ بها ﴿ الأَولُونَ﴾ من الأنبياء، كالناقة والعصا واليد البيضاء وإبراء الأكمه[1] وإحياء الموتى﴿ ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها﴿ أهلكْناها﴾ بتكذيب الآيات المقترحة عند مجيئها﴿ أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون لو أتيتهم بها وإذا لم يؤمنوا استحقوا الأهلاك كمن قبلهم فلم نجبهم إبقاء عليهم﴿ وما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إلاَّ رِجالاً﴾ لا ملائكة. جواب لقولهم: (هل هذا إلا بشر مثلكم)﴿ يوحى إليهم﴾ وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء﴿ فَسْئَلُوا أهل الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب لوثوقكم بهم، أو أهل العلم، أو أهل القرآن. وفي الأخبار المستفيضة عنهم (ع): نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون. والذكر: الرسول (ص).﴿ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه ﴿ وما جَعَلْناهُمْ﴾ أي: الرسل﴿ جَسَداً﴾ أجساداً على إرادة الجنس﴿ لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وما

---

(١) الأكمه هو مطلق الأعمى، أو خصوص الأعمى الذي لا يبصر في الليل.

كانُوا خالدينَ﴾ أي: باقين، وهذا ردّ لقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي الأسواق)[1] أي: وما جعلنا الأنبياء قبلك أجسادا لا يأكلون الطعام ولا يموتون حتى يكون أكلك وشربك وموتك علة ترك الإيمان بك﴿ ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي: في الوعد بأن العاقبة الحميدة تكون لهم﴿ فَأَنْجَيْناهُمْ وَمَنْ نَشاءُ﴾ ممن آمن بهم ﴿ وأهلكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين بهم﴿ لَقَدْ أَنزلْنا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش﴿كتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صيتكم وشرفكم أن تمسكتم به، أو للعرب لأنه أنزل بلغتها أو للمؤمنين كافة لأن فيه شرفاً لهم أو المعنى فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم، وعن الرضا (ع): الطاعة للإمام بعد الإمام بعد النبي (ص) أي: الذي فيه عزكم طاعة الإمام﴿ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون.

[سورة الأنبياء الآيات ١١-٢٤]

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ

---

(١) حكى الله تعالى عنهم ذلك في سورة الفرقان الآية ٧.

نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ وكَمْ قَصَمْنا﴾ أهلكنا﴿ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها﴿ كانَتْ ظالِمَةً﴾ كافرة﴿ وأنْشأنا بَعْدَها قَوماً آخَرِينَ﴾ مكانهم﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأسَنا﴾ أدرك أهل القرية عذابنا بحواسّهم ﴿ إذا هُمْ مِنْها﴾ من القرية﴿ يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة إستهزاءً: ﴿لا تَرْكُضُوا﴾ لا تهربوا﴿ وارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿ فيهِ ومَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ عن أعمالكم، أو يسألكم الناس شيئاً من دنياكم﴿ قالُوا﴾ ندماً حين عاينوا العذاب: ﴿ يا ويْلَنا﴾ هلاكنا ﴿ إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا، أو اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب﴿ فَما زالَتْ تِلْكَ﴾ الدعوى، أي: قولهم: يا ويلنا ﴿ دَعْواهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها﴿ حَتّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً﴾ كالزرع المحصود

﴿ خامدينَ﴾ موتى لا يتحركون كما تخمد النار أي: أهلكناهم بالعذاب، أو بقتل بخت نصّر لهم﴿ وما خَلَقْنَا السَّماءَ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما لاعِبينَ﴾ عابثين بل خلقناهما مشحونة بضروب البدائع لغرض صحيح وهو أن تكون تبصرة للنظّار، وتذكرة لذوي الإعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أمر العباد في المعاش والمعاد﴿ لَو أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾ ما يلهى به ويلعب﴿ لاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة، أو لأتخذنا من الملائكة والحور - لا من الإنس - ردّ على إليهود والنصارى في نسبة الولد والزوجة إليه تعالى، أو من عندنا خفية فلا يعرفونه فيكون رداً على كل من نسب إليه ولداً ولو من الملائكة ﴿ إِنْ كُنَّا فاعِلينَ﴾ ذلك لكنا لم نفعله ولم نرده، وجوابه علم من جواب (لو)وقيل: (ان) نافية﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ﴾ الذي من جملته اللهو﴿ فَيَدْمَغُهُ﴾ فيعلوه واستعير لذلك القذف وهو الرمي بنحو الحجر والدفع وهو إصابة الدماغ بالشجّة تصويراً لإذهاب الباطل بالحق للمبالغة﴿ فَإِذا هُو زاهِقٌ﴾ مضمحل، والزهوق: خروج الروح وهو ترشيح للإستعارة﴿ ولَكُمُ﴾ أيها الكفار﴿ الْوَيْلُ﴾ الهلاك﴿ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ اللّه به مما يستحيل عليه﴿ ولَهُ مَنْ فِي السَماواتِ والأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً﴿ ومَنْ عِنْدَهُ﴾ أي: الملائكة المقرّبون منه بالشرف لا بالمساحة. وهو عطف على (من في السَماوات) أفرد تعظيماً، أو مبتدأ خبره: ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يترفعون ﴿ عَنْ عِبادَتِه ولا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيون منها﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ﴾ ينزهونه دائماً﴿ لا يَفْتُرُونَ﴾ عن التسبيح فهو لهم كالنفس لنا لا يشغلهم عنه شاغل﴿ أَمِ﴾ بل﴿ اتَّخَذُوا﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ﴿ آلِهَةً﴾ كائنة ﴿ مِنَ الأَرْضِ﴾ الحجر، أو غيره، أو (من) ابتدائية تتعلق بـ(اتخذوا)﴿ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يحيون الموتى إذ من لوازم الإلهية القدرة على كل ممكن وأورد الضمير المخصص للإنسان بهم مبالغة في التهكم، يقال: انشره ونشره

﴿لَو كانَ فِيهِما﴾ أي: السموات والأرض﴿ آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ﴾ غير الله وصف بـ(إلا) حين تعذر الإستثناء لعدم دخول ما بعدها فيما قبلها، ولإفادته لزوم الفساد لوجود آلهة دونه ومفهومه عدم لزومه لوجودها معه وهو خلاف المراد﴿ لَفَسَدَتا﴾ لما استقامتا لوقوع التمانع بينهم إما عند تخالفهم في المراد فظاهر، وأما عند توافقهم فيه فلأن تأثير كل منهم فيه يمنع تأثير الآخر فيه مرّة اخرى لإستحالته﴿ فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ الحاوي لأجزاء العالم﴿ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الشريك والصاحبة والولد﴿ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأن كل ما يفعله حكمة وصواب، ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب؟ ﴿ وهُمْ﴾ أي: الآلهة والعباد﴿ يُسْئَلُونَ﴾ عن أفعالهم﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِه آلِهَةً﴾ كرر إستفظاعاً لكفرهم وزيادة في توبيخهم ليرتب عليه﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على ذلك عقلاً، أو نقلاً إذ لا صحة لدعوى بلا حجة مع أن البرهان العقلي قد أبطله من استلزامه للفساد وكذا النقلي المدلول عليه بقوله: ﴿ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ عظة أمتي وهو القرآن، وفتح حفص الياء﴿ وذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم وهو سائر كتب الله ليس فيها ان مع الله إلهاً وإنما فيها ما ينفيه من الأمر بتوحيده والنهي عن الإشراك، وصحّ اثبات التوحيد بالنقل لعدم توقف البعثة عليه﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: توحيد الله لتركهم النظر﴿ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ عن الحق لعدم تمييزهم بينه وبين الباطل.

[سورة الأنبياء الآيات ٢٥ - ٣٥]

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ وما أرْسَلْنا منْ قَبْلكَ منْ رَسُول إلاّ نُوحي إليه﴾ وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء﴿ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ فوحّدوني﴿ وقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير بن الله، والمسيح بن الله﴿ سُبْحانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك﴿ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لديه، وبون[1] بين العبد والولد﴿ لا يَسْبِقُونَهُ

(١) مسافة طويلة. والمقصود هنا الفرق الكبير.

بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون إلا ما يقوله﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فهم التابعون لأمره في أقوالهم وأفعالهم﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ﴾ ما قدموا من أعمالهم وما أخّروا منها ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضى﴾ الله ان يشفع فيه. وعن الرضا (ع): إلا لمن ارتضى الله دينه. ونحوه آخر وزاد فيه: والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات. ﴿ وهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ من مهابته خائفون﴿ ومَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة أو من الخلائق﴿ إِنِّي إِلهٌ﴾ تحق لي العبادة﴿ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله﴿ فَذلِكَ﴾ القائل ﴿ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يعني ان حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد. وقيل: عنى: إبليس لأنه الذي دعا الناس إلى عبادته﴿ كَذلِكَ﴾ الجزاء﴿ نَجْزِي الظَّالمينَ﴾ المشركين﴿ أَ ولَمْ﴾ وترك ابن كثير الواو﴿ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعلموا﴿ أَنَّ السَّماوات والأرْضَ كانَتا رَتْقاً﴾ ذواتي رتق، أو مرتوقتين على وضع المصدر موضع المفعول ﴿ فَفَتَقْناهُما﴾ جعلناهما ذواتي فتق أي: كانتا شيئاً واحداً ملترقتين، ففصلنا بينهما بالهواء ومُيزتا، أو كانت السَماوات واحدة ففتقناها سبعاً وكذا الأرض، أو كانت السماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقا: لا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات، وعليه دلّت الأخبار المستفيضة فيكون المراد: سماء الدنيا. وجمعت باعتبار الآفاق، أو السَماوات بأسرها على أن لها مدخلاً في الأمطار وتمكن الكفرة من العلم بذلك بالنظر، أو الإستعلام بمنزلة علمهم فلذا صحّ الإستفهام التقريري﴿ وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ كقوله: (والله خلق كل دابة من ماء)[1] لأنه من أعظم موادّه لفرط احتياجه إليه، أو بسبب الماء الذي ننزله من السّماء. وعن الباقر (ع): نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً إلى غيره.﴿ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ﴾ وقد لزمتهم الحجة﴿ وجَعَلْنا فِي الأَرْضِ

---

(١) سورة النور الآية ٤٥

رَواسِيَ﴾ جبالاً ثوابت﴿ أَنْ تَمِيدَ﴾ كراهة أن تتحرك﴿ بِهِمْ وجَعَلْنا فِيها﴾ في الأرض، أو الرواسي﴿ فِجاجاً﴾ طرقاً واسعة﴿ سُبُلاً﴾ بدل، أو فجاجاً وصف له قدم فصار حالاً تفيد أنها خلقها واسعة﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار، أو إلى وحدانية الله بالاعتبار﴿ وجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً﴾ للأرض في النظر﴿ مَحْفُوظاً﴾ عن السقوط بقدرته، أو من الشياطين بالشهب﴿ وهُمْ عَنْ آياتها﴾ أوضاعها وأحوالها الدالّة على وجود مبدعها ووحدته وقدرته وحكمته﴿ مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها، ثم بيّن بعض آياتها بقوله: ﴿ وهُوالَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهارَ والشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ومن النجوم﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وجَمَعَ جَمْع العقلاء تشبيهاً لها بهم في امتثال أمر خالقها وانقيادها وإطاعتها، أو لأنها ذوات أنفس عاقلة ـ كما زعم بعض ـ ﴿ وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: البقاء في الدنيا. نزلت حين قالوا: إن محمداً سيموت.﴿ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ﴾ والفاء في الشرط متعلقة بما قبله والهمزة لإنكار جملة الجزاء، أي: فهم أيضاً يموتون فلا يشمتوا بموته﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوتِ﴾تقرير للإنكار﴿ ونَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم﴿ بِالشَّرِّ والْخَيْرِ﴾ بالفقر والغنى والصحة والمرض والضرّاء والسرّاء والشدّة والرخاء﴿ فِتْنَةً﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه﴿ وإِلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ فنثيبكم إن صبرتم وشكرتم، ونعاقبكم إن جزعتم وكفرتم.

[سورة الأنبياء الآيات ٣٦ – ٤٤]

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ وإذا رَآكَ الَّذينَ كَفَرُوا إنْ ما يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُواً﴾ مهزوء به يقولون: ﴿ أ هذا الَّذي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ويعيبها﴿ وهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ﴾ بتوحيد المولي للنعم كلها، أو بكتابه المنزل﴿ هُمْ ﴾ كرّر تأكيداً، أو لبعد الخبر بحيلولة صلته﴿ كافِرُونَ﴾ جاحدون فهم أحق بالهزء بهم﴿ خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ القمي: لما أجرى اللّه في آدم الروح من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال اللّه: خلق الإنسان من

عجل. وعن الصادق (ع): نحوه، وقيل: نزلت في استعجالهم العذاب أي: لفرط عجلته في أموره كأنه خلق منه، وقيل: أراد خلق آدم في عجل دفعة لا كغيره خلق من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.﴿ سَأُرِيكُمْ آياتي﴾ الدالة على التوحيد والنبوة من القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ حلول العذاب بكم وقد أراهم القتل ببدر ﴿ ويَقُولُونَ﴾ للنبي وللمؤمنين﴿ مَتى هذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا به من العذاب ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ فيه﴿ لَوْيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم﴿ ولا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم من كل جانب﴿ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون منها فيه، وهو الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: (متى هذا الوعد) وجواب (لو) محذوف أي: لما استعجلوا ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة، أو النار﴿ بَغْتَةً﴾ فجأة. مصدر، أو حال﴿ فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيرهم، أو تغلبهم﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها﴾ عنهم﴿ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد إمهالهم في الدنيا﴿ ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له (ص)﴿ فَحاقَ﴾ حلّ ﴿ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ من العذاب، أو جزاء استهزائهم فكذا يحيق بمن استهزأ بك﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ يحفظكم﴿ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ﴾ من بأسه ونبّه بلفظ (الرحمن) على أنه لا كالئ[1] إلا رحمته الواسعة﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: القرآن أو المواعظ﴿ مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه فضلاً عن أن يخافوا بأسه فهم لا يصلحون للسؤال عن الكالئ﴿ أَمْ﴾ بمعنى: (بل)، وهمزة الإنكار أي: بل﴿ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ من العذاب﴿ مِنْ دُونِنا﴾ من غيرنا﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة. إستئناف لبيان عجزهم﴿ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فكيف ينصرونهم ﴿ ولا هُمْ مِنَّا

---

(١) حافظ حارس.

﴿يُصْحَبُونَ﴾ بالنصر، أو من عذابنا يجارون فكيف يجيرون؟ وقيل: ضمير(هم) للكفرة ﴿بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وآباءَهُمْ﴾ في الدنيا بنعيمها فلم نعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فغرّهم طوله وأسباب الدنيا ﴿أ فَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نقصد أرض الشرك، أو الأعم منها ﴿نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾ بفتحها على الرسول (ص) أو بتخريبها وموت أهلها، أو بموت العلماء، أو الفقهاء، والأخير مروي ﴿أ فَهُمُ الْغالِبُونَ﴾ أي: ليسوا غالبين بل نحن الغالبون.

[سورة الأنبياء الآيات ٤٥ - ٥٧]

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾

﴿ قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ﴾ من عذاب الله﴿ بِالْوحْيِ﴾ بما أوحي اليّ﴿ ولا يَسْمَعُ﴾ وقرأ ابن عامر بتاء الخطاب من: الإسماع﴿ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ﴾ أي: انهم لتصامهم وعدم التفاتهم إلى الإنذار كالصّم﴿ ولَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أقل أثر﴿ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا ويْلَنا﴾ هلاكنا﴿ إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ﴾ بتكذيب محمد﴿ ونَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ﴾ ذوات القسط التي لا جور فيها، أو نضع العدل في المجازاة بالحق لكل أحد على قدر استحقاقه والقسط العدل، أفرد لأنه مصدر وصف به للمبالغة﴿ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ لأهله، أو فيه﴿ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ من حقها، أو من الظلم ﴿ وإِنْ كانَ العمل مِثْقالَ﴾ ورفعه نافع على أن (كان) تامة أي: زنة﴿ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها﴾ أحضرناها. وأنث ضمير (مثقال) لإضافته إلى الحبّة﴿ وكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾ عالمين، أو محصين﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسى وهارُونَ الْفُرْقانَ﴾ التوراة الفارقة بين الحق والباطل ﴿ وضِياءً﴾ يستضاء بها﴿ وذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾ عظة لهم بها، أو ذكر ما يحتاجون إليه ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ صفة لـ(المتقين)﴿ بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل، أو المفعول أي: حال غيابهم عن الناس، أو في أسرارهم من غير رياء﴿ وهُمْ مِنَ أهوال السَّاعَةِ

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون، وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض﴿ وهذا ذِكْرٌ﴾ أي: القرآن﴿ مُبارَكٌ﴾ ثابت نافع دائم نفعه إلى القيامة، أوكثير الفوائد من المواعظ والزواجر والأمثال، أنزلناه على محمد (ص)﴿ أ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ إستفهام توبيخ أي: فلم تجحدونه مع كونه معجزاً؟﴿ ولَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: الحجج التي توصله إلى الرشد من معرفة اللّه، أو إهتدائه صغيراً لوجوه الصلاح، وإضافته تفيد أن لهذا الرشد شأناً ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ موسى وهارون، أو قبل بلوغه﴿ وكُنَّا بِهِ عالِمِينَ﴾ أي: أنه أهلٌ لما آتيناه ﴿ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وقَوْمِهِ﴾ ظرف لـ(آتينا) أو مفعول (اذكر) مقدراً﴿ ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾ الصور الممثلة التي لا تضر ولا تنفع. تحقير لها وتوبيخ لهم﴿ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مقيمون. وعدّي باللام لتضمنه معنى العبادة. وقيل: اللام للإختصاص، أي: فاعلون العكوف لها﴿ قالُوا وجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم﴿ قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر لعدم استناد الجميع إلى حجة﴿ قالُوا أ جِئْتَنا بِالْحَقِّ﴾ بالحد فيما تقوله﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ فيه. قالوه إستبعاداً لتضليلهم فيما ألفوه﴿ قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ والْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن، اضرب عمّا قالوا بإثبات دعواه بالحجة وهن للسماوات والأرض، أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزامهم الحجة﴿ وأَنَا عَلى ذلِكُمْ﴾ الذي ذكرته﴿ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ المحققين له﴿ وتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ لأدبرنّ﴾ في كسرها، والتاء بدل الواو المبدلة عن الباء وتفيد تعجباً، كأنّه تعجب من كيده لها لصعوبته﴿ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا إلى عيدكم﴿ مُدْبِرِينَ﴾ عنها قاله سراً فسمعه رجل فأفشاه.

[سورة الأنبياء الآيات ٥٨ - ٧٢]

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿ فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى عيدهم﴿ جُذاذاً﴾ قطاعاً وكسره الكسائي لغة فيه ﴿ إلاّ كَبِيراً لَهُمْ﴾ لم يكسره، وعلّق الفأس في عنقه﴿ لَعَلَّهُمْ إليه يَرْجِعُونَ﴾ إلى ابراهيم رجاء ذلك لتفرده بسبّ آلهتهم فيبكتهم بقوله: بل فعله كبيرهم، أو إلى الكبير فيسألونه عن الكاسر كما يرجع إلى الرب في الشكل فيعلمون جهلهم﴿ قالُوا﴾ بعد رجوعهم﴿ مَنْ فَعَلَ هذا بآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالمينَ﴾ بجرأته عليها، أو بتعريض نفسه للقتل﴿ قالُوا﴾ أي: بعضهم﴿ سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم صفة لـ(فتى) ليصح تعلّق السمع به، أو مفعول ثان لـ(سمع)﴿ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ﴾ رفع بـ(يقال) أو خبر محذوف أو منادى﴿ قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ﴾ أي: مرئياً مشهوداً﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بقوله أو فعله، أو يحضرون عقابه﴿ قالُوا﴾ بعد إحضاره﴿ أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُون﴾ أسند الفعل إليه لتسبيبه له لأن غيظه لزيادة تعظيمهم له، أو للتقرير لنفسه مع تبكيت بطريق التعريض كما لو عملت عملاً وقال لك من لا يحسنه: أ أنت عملته؟ فتقول: بل عملته أنت، أو حكاية لما يلزمهم، كأنه قال: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإنّ من حقّ الإله أن يقدر على ذلك، أو على تعليقه بالشرط، وتقديره: فعله كبيرهم ان نطقوا فاسألوهم. وعن الصادق (ع): انما قال ابراهيم: إن كانوا ينطقون فكبيرهم فعل وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً فما نطقوا وما كذب ابراهيم. وعنه (ع): إنما قال بل فعله كبيرهم إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون، ثم قال: والله ما فعلوه وما كذب.﴿ فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى عقولهم﴿ فَقالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض﴿ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾ بعبادة ما لا ينطق أو بسؤال ابراهيم (ع)﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ﴾ انقلبوا إلى الجدال بعد استقامتهم بالتفكّر فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالهم.

وهو اعتراف بما هو حجة عليهم فأنكر عليهم عبادتهم لها﴿ قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله﴿ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً﴾ إن عبدتموه﴿ ولا يَضُرُّكُمْ﴾ ان تركتموه ﴿ أُفٍّ﴾ بالكسر مع تنوين وبدونه وبالفتح ـ كما مرّ في الإسراء ـ وهو صوت المتضجّر بمعنى نتناً وقبحاً﴿ لَكُمْ ولِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ قبح فعلكم﴿ قالُوا﴾ حين الزمهم الحجة﴿ حَرِّقُوهُ﴾ إذ لا عقوبة أفظع من النار﴿ وانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بتحريقه﴿ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ ناصريها، قيل: القائل: نمرود. وقيل: رجل من أكراد فارس خسف به الأرض، فجمعوا له الحطب الكثير واضرموا فيه النار وجعلوه في المنجنيق مغلولاً ورموه فيها فقال له جبرئيل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال:فاسأل ربك فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وكان ابن ست عشرة سنة﴿ قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾ ذات برد وسلامة أي: ابردي برداً لا يضرّه فلم تحرق إلا وثاقه وزال حرّها وبقي نورها فجلس في روضة ومعه جبرئيل ﴿ وأَرادُوا بِهِ كَيْداً﴾ وهو تحريقه﴿ فَجَعَلْناهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ فيما أرادوا به لإنقلابه عليهم﴿ ونَجَّيْناهُ ولُوطاً﴾ من الهلكة وهو ابن أخي ابراهيم (ع)﴿ إِلى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ﴾ بالخصب والسعة والمنافع الدينية وهي: الشام فإن أكثر الأنبياء بعثوا فيها فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة بينهما مسيرة يوم﴿ ووَهَبْنا لَهُ﴾ لإبراهيم حين سأل ولداً ﴿ إِسْحاقَ ويَعْقُوبَ نافِلَةً﴾ عطيّة حال منهما، أو زيادة على ما سأل وهي ولد الولد فتختص بيعقوب﴿ وكُلاًّ ﴾ من الثلاثة﴿ جَعَلْنا صالِحِينَ﴾ للنبوة، أو وفقناهم للصلاح، أوحكمنا بصلاحهم.

[سورة الأنبياء الآيات ٧٣ - ٨١]

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

﴿ وجَعَلْناهُمْ أئِمَّةً﴾ يقتدى بهم﴿ يَهْدُونَ﴾ الناس إلى الحق﴿ بِأمْرِنا﴾ لهم بذلك ﴿ وأوحَيْنا إليهمْ فِعْلَ الْخيراتِ﴾ أي: أن تفعل الخيرات﴿ وإقامَ الصَّلاةِ ﴾ وان تقام. وحذف تاء (إقامة) تخفيفاً﴿ وإيتاءَ الزَّكاةِ﴾ وان تؤتى. وعطف الخاص على العام للأفضلية﴿ وكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾ مخلصين في العبادة ﴿ ولُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً﴾ فصلاً بين الناس، أو حكمة، أو نبوة﴿ وعِلْماً﴾ بما يحتاج إلى العلم به﴿ ونَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم﴿ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها﴿ الْخَبائِثَ﴾ من اللواط وغيره﴿ إنَّهُمْ كانُوا قَومَ سَوءٍ فاسِقِينَ ﴾ حال من قوم، أو خبر ثان﴿ وأدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا﴾ في أهلها، أو الجنة﴿ إنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً، تعليل لما قبله﴿ ونُوحاً﴾ واذكر نوحاً﴿ إذْ نادى﴾ بدل منه وكذا في الآتي ذكرهم أي: دعا ربه على قومه بالنقمة﴿ مِنْ قَبلُ﴾ قبل من ذكرنا﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ﴾ دعاءه﴿ فَنَجَّيْناهُ وأهلَهُ﴾ من معه في الفلك﴿ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الغرق وأذى قومه﴿ ونَصَرْناهُ﴾ منعناه وجعلناه منتصراً أي: منتقماً﴿ مِنَ الْقَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ الدالة على صدقه﴿ إنَّهُمْ كانُوا قَومَ سَوءٍ فَأغْرَقْناهُمْ أجْمَعِينَ﴾ بالطوفان﴿ وداود وسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ﴾ الزرع والكرم﴿ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَومِ﴾ رعته ليلاً﴿ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ﴾ لحكم الحاكمين والخصوم عالمين حكم داود بالغنم لأهل الحرث وقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة إلا وفق أن ينتفع أهل الحرث بدرّها ونسلها وصوفها، ويقوم أهلها على الحرث حتى يعود كما كان ثم يترادان وحكمهما بوحي من الله والثاني ناسخ للأول لا بالإجتهاد لعدم جوازه على الأنبياء ويعضده﴿ فَفَهَّمْناها﴾ أي: الحكومة﴿ سُلَيْمانَ﴾ وعن النبي (ص) أنه قال في حائط أفسدته ناقة البرا: على أهل الماشية حفظها ليلاً، وعلى أهل الحرث حفظه نهاراً﴿ وكُلاً﴾ منهما﴿ آتَيْنا حُكْماً﴾ حكمة، أو نبوة﴿ وعِلْماً﴾ بأمور الدين ﴿ وسَخَّرْنا مَعَ داود الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ﴾ ينزّهن الله معه بانطاقه إياها، أو بلسان حالها،

كما فسّر بيسرن معه سمّاه تسبيحاً لأنه آية تدعو إليه، أو استئناف ومع متعلق به أوبـ(سخّرنا)﴿ والطَّيْرَ﴾ عطف على (الجبال) أو مفعول معه﴿ وكُنَّا فاعِلينَ﴾ لمثل ذلك وان استفرهتموه﴿ وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ أي: الدرع لأنها تلبس وكانت صفائح فحلقها وسرّدها﴿ لَكُمْ﴾ صفة (لبوس)، أو متعلق بـ(علم)﴿ ليحصنكم﴾ أي: داود، أو اللبوس. وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء والضمير للصنعة، أو اللبوس بتأويل الدرع وابو بكر بالنون والضمير لله﴿ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم بالسلاح﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ﴾ استفهام أريد به الأمر مبالغة﴿ ولِسُلَيْمانَ﴾ وسخرنا له﴿ الرِّيحَ عاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب في عملها، طيبة في نفسها، كما قال: رخاء، أو يختلف حالها حسب إرادته ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِه﴾ حال مرادفة، أو مداخلة﴿ إلى الأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ وهي الشام﴿ وكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ﴾ فلا نفعل إلا ما تقتضيه الحكمة.

[سورة الأنبياء الآيات ٨٢ – ٩٠]

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا

ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿ ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحر فيخرجون جواهره، و(من) موصوفة عطف على (الريح) أو مبتدأ خبره ما قبله﴿ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ﴾ سوى الغوص من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)[1]﴿ وكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ﴾ عن أن يزيغوا عن أمره، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم﴿ وأيوبَ ﴾ هو من ولد عيص بن إسحاق ﴿ إِذْ نادى رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد أولاده وأمواله وتناثر لحمه وإلقائه على كناسة خارج القرية لا يقربه أحد سوى زوجته «رحمة بنت افراتيم بن يوسف (ع) » كانت تأتيه بالقوت سبع سنين، أو ثماني عشرة فصبر﴿ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ الجهد والشدة. وسكن حمزة الياء﴿ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعد

(١) سورة سبأ الآية ١٣.

ذكر نفسه بما يوجبها، وإكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ﴾ نداءه﴿ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ بإذهاب مرضه﴿ وآتَيْناهُ أهلَهُ ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن ولد له ضعف ما هلك، أو أحياهم وولد له مثلهم﴿ رَحْمَةً﴾ مفعول له. كائنة ﴿ مِنْ عِنْدِنا﴾ عليه﴿ وذِكْرى لِلْعابِدِينَ﴾ ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب. وسئل الصادق (ع): كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيي له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ. وعنه (ع): ابتلي أيوب سبع سنين بلا ذنب. وعنه (ع): إنما كانت بلية أيوب التي ابتلي بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه فأدّى شكرها... الخبر. ﴿ وإسماعِيلَ وإِدْرِيسَ وذَا الْكِفْلِ﴾ هو يوشع بن نون ـ كما عن علي (ع) ـ وقيل: هو إلياس وقيل: هو رجل صالح وليس بنبي. وعن الباقر (ع): انه نبي مرسل إسمه عدويا بن إدارين سمي به لأنه تكفّل بصيام نهاره وقيام ليله وأن يقضي بالحق ولا يغضب فوفى به. أو لأنه ذو حظ عند الله، أو له ضعف ثواب أنبياء زمانه﴿كُلٌّ﴾ كل هؤلاء المذكورين﴿ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على بلاء الله وطاعته وعن معصيته ﴿ وأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا﴾ من النبوة ونعم الآخرة﴿ إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ عملاً ﴿ وذَا النُّونِ﴾ أي: صاحب الحوت يونس بن متى﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً﴾ لقومه أي: غضبان عليهم لما كابد منهم وهاجر قبل أن يؤذن له فترك الأولى وهو الصبر حتى يؤذن له ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة، أو لن نعمل فيه قدرتنا. وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير إنتظار لأمرنا، أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسمّي (ظناً) للمبالغة. وبناه يعقوب للمفعول بالياء﴿ فَنادى فِي الظُّلُماتِ﴾ ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت، أو الظلمة المتكاثفة﴿ أَنْ﴾ بأنه ﴿ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ﴾ عمّا

لا يليق بك﴿ إِنِّي كُنْتُ﴾ في ذهابي بلا إذن﴿ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بترك الأولى ﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ ونَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ ببطن الحوت بأن قذفه إلى الساحل بعد ثلاثة أيام أو اكثر﴿ وكَذلِكَ﴾ كما نجيناه﴿ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من غمّهم إذا دعونا مخلصين. وشدد ابن عامر وابو بكر الجيم بنون واحدة على أن أصله: ننجي من(التنجية) فحذفت الثانية، وقيل: هو ماض مجهول أسند إلى ضمير مصدره وسكن آخره، وردّ بمنع جوازه. وعن الرضا (ع) ما ملخصه: ظن بمعنى استيقن أي: استيقن أن لن نضيّق عليه رزقه فنادى في الظلمات أي: ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، أن لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين: بتركي مثل هذه العبادة، التي فرغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له. وعن الباقر (ع): فظن أن لن نقدر عليه أي: أن لا يعاقب بما صنع. وعن النبي (ص) ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ﴿ وزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً﴾ وحيداً بلا ولد يرثني﴿ وأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به﴿ فَاسْتَجَبْنا لَهُ ووَهَبْنا لَهُ يَحْيى وأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ﴾ بجعلها ولوداً بعد عقمها أو بتحسين خلقها. والقمي: كانت لا تحيض فحاضت﴿ إِنَّهُمْ﴾ أي: زكريا وأهله، أو من ذكر من الأنبياء ﴿ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخيراتِ ويَدْعُونَنا رَغَباً ورَهَباً﴾ راغبين في ثوابنا وراهبين من عقابنا﴿ وكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾ خاضعين، أو ثابتي الخوف وبهذه الخصال استحقوا ما منحناهم. وعن الصادق (ع): إن الرغبة أن تستقبل ببطن كفيك إلى السماء والرهبة أن تجعل ظهر كفيك إلى السماء.

[سورة الأنبياء الآيات ٩١ - ١٠١]

وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿ والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾ من حلال وحرام والقمي: مريم لم ينظر إليها شيء ﴿ فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا﴾ من جهة روحنا جبرئيل حيث نفخ في جيبها فحملت بعيسى (ع) كما مرّ﴿ وجَعَلْناها وابْنَها آية لِلْعالَمِينَ﴾ فان من تأمل حالها تحقق كمال قدرة الصانع﴿ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ ملتكم وهي ملة الإسلام والتوحيد﴿ أُمَّةً واحدةً﴾ غير مختلفة فيما بين الأنبياء﴿ وأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله غيري﴿ فَاعْبُدُونِ﴾ لا غير﴿ وتَقَطَّعُوا﴾ التفت من الخطاب إلى الغيبة تقبيحاً لفعلهم إلى غيرهم﴿ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم قِطَعاً مفرّقة فتفرقوا﴿ كُلٌّ﴾ كل الفرق المتحزبة﴿ إِلَيْنا راجِعُونَ﴾ فنجازيهم ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وهُوَمُؤْمِنٌ ﴾ بالله ورسله﴿ فَلا كُفْرانَ﴾ فلا تضييع ﴿ لِسَعْيِهِ﴾ استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه﴿ وإِنَّا لَهُ﴾ لسعيه ﴿كاتِبُونَ﴾ مثبتون له في صحيفة عمله نجازيه به﴿ وحَرامٌ﴾ ممتنع. وكسر ابو بكر وحمزة والكسائي الحاء وسكنوا الراء﴿ عَلى قَرْيَةٍ أَهلَكْناها﴾ قدرنا إهلاك أهلها﴿ أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ مبتدأ خبره (حرام) أو فاعل له سادّ مسدّ خبره أي: ممتنع عليهم عدم رجوعهم للجزاء، أو رجوعهم إلى الدنيا على زيادة (لا) أو تعليل و(حرام) خبر محذوف أي: ما ذكر قبل حرام على قرية وجدناها هالكة بالكفر لأنهم لا يرجعون عنه. وقيل: حرام واجب وحكم عليهم عدم رجوعهم إلى الدنيا﴿ حَتَّى﴾ متعلق بـ(حرام) أو بـ(لا يرجعون)، أي: يبقى الامتناع، أو عدم الرجوع إلى قريب الساعة ﴿ إذا فُتِحَتْ﴾ وشدّده ابن عامر ويعقوب﴿ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ﴾ أي: سدّهما. وتأنيث الفعل لأنهما قبيلتان، وقد مرّ تفسيره في الكهف﴿ وهُمْ﴾ أي: يأجوج ومأجوج، أو الخلق﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز من الأرض﴿ يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون﴿ واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: القيامة﴿ فَإِذا هِيَ﴾ الفاء جواب الشرط و(إذا) الفجائية تنوبها فإذا اجتمعتا تأكد ربط الجزاء بالشرط والضمير للقصّة وخبره جملة: ﴿ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو مبهم

يفسره: إبصار، وخبره (شاخصة) أي: لا تطرف لهول المطلع﴿ يا ويْلَنا﴾ أي: قائلين: يا هلاكنا﴿ قَدْ كُنّا في غَفْلَةٍ مِنْ﴾ هذا الأمر﴿ بَلْ كُنّا ظالِمينَ لأنفسنا﴾ بعبادة الأوثان وترك النظر﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان والشياطين فإنهم عبدوهم بطاعتهم لهم﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ محصوبها وهو ما يحصب فيها أي: يرمى يعني وقودها﴿ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾ داخلون﴿ لَوْ كانَ هؤُلاءِ﴾ المعبودون﴿ آلِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿ ما وَرَدُوها﴾ إذ دخولها ينافي الألوهية﴿ وكُلٌّ﴾ من العبدة والمعبودين﴿ فيها خالِدُونَ﴾ دائمون﴿ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ﴾ تنفّس بشدة ونسب إلى الكل تغليباً لغير الجماد ﴿ وهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ما يسرّهم﴾ أو شيئاً لشدة العذاب، روي أنه لما نزلت الآيات قال ابن الزبعرى: قد عبد عزير وعيسى والملائكة فهم في النار، فقال النبي (ص): إنما عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك وفي رواية إلا من استثنى اللّه ونزل﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الْحُسْنى﴾ الخصلة الحسنى وهي العدة بالجنة، أو السعادة، أو التوفيق للطاعة ومنهم المذكورون﴿ أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾ فمنع أنهم عبدوا حقيقة ولئن سلّم فالآية تخصصهم وقد يجاب أيضاً بأن ما تعبدون لا يتناول العقلاء كما روي في الجواب: ان قومك يفرقون بين (ما) و(من).

[سورة الأنبياء الآيات ١٠٢ -١١٢]

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ

لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها﴾ حال من ضمير (مبعدون)﴿ وهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من الملاذ﴿ خالِدُونَ﴾ أبداً﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة، أو الإنصراف إلى النار، أو إطباقها على أهلها﴿ وتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ تستقبلهم بالتهنئة قائلين: ﴿ هذا يَوْمُكُمُ ﴾ وقت ثوابكم﴿ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا ﴿ يَومَ ﴾ مقدر بـ(اذكر) أو ظرف (لايحزنهم)، أو(تتلقاهم)﴿ نَطْوِي السَّماءَ﴾ طياً ﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ الطومار[1]﴿ للكتاب﴾ لأجل الكتابة، أو لما كتب فيه، ويعضده

(١) الطومار ويقال له: (الطامور) ايضاً : هو الصحيفة أو الورقة الكبيرة.

قراءة حمزة والكسائي وحفص﴿ لِلْكُتُبِ﴾ جمعاً أي: للمعاني المكتوبة فيه، وقيل: السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا ماتوا﴿ كَما بَدَأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾ الكاف صفة مصدر محذوف و(ما) مصدريّة و(أوّل) مفعول (بدأنا) أو فعل يفسره: نعيده، أي: نعيد ما خلقناه أولاً إعادة مثل بدئنا له في كونهما إيجاداً عن العدم، أي: قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الإبداء. وقيل: (ما) موصولة والكاف مفعول فعل يفسره: نعيده، أي: نعيد مثل الذي بدأناه و(أوّل خلق) ظرف (بدأنا) أو حال من العائد المقدر﴿ وَعْداً﴾ وعدنا وعداً وهو يؤكد ما قبله﴿ عَلَيْنا﴾ إنجازه﴿ إِنَّا كُنَّا فاعِلينَ﴾ ما وعدنا﴿ ولَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ﴾ جنس للكتاب أي: الكتب المنزلة﴿ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي: أمّ الكتاب وهو اللوح، وقيل: الزبور كتاب داود والذكر التوراة. والقمي قال: الكتب كلها﴿ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: القائم وأصحابه. وسئل الصادق (ع): عن هذه الآية ما الزبور وما الذكر؟ قال: الذكر عند الله والزبور الذي انزل على داود، وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم. وعن الباقر (ع) في قوله: «عبادي الصالحون» قال: هم أصحاب المهدي (عج) في آخر الزمان. وسكن حمزة الياء﴿ إِنَّ فِي﴾ هذا المذكور﴿ لَبَلاغاً﴾ لكفاية، أو لوصلة إلى البغية﴿ لِقَومٍ عابِدِينَ﴾ لله بإخلاص﴿ وما أَرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ﴾ للملائكة والثقلين للأبرار في الدارين وللفجّار في الدنيا لأمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الإستئصال﴿ قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحد﴾ أي: ما يوحى إليّ في شأن الإله إلا انه مقصور على الوحدانيّة لا يتصف بضدها﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون للموحى إليّ من وحدانية الله فتخلصوا له العبادة وهو أبلغ من فأسلموا﴿ فَإِنْ تَوَلَّوا﴾ عن ذلك﴿ فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب أو بما كلفتم﴿ عَلى سَواءٍ﴾ مستوين أنتم في الإيذان، أو أنا وأنتم

في علمه، أو إيذاناً على سواء﴿ وإِنْ﴾ وما﴿ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من نصر المسلمين ما لم يعلمنيه الله﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَولِ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ ويَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ﴾ تسرّونه أنتم وغيركم فيجازيكم به﴿ وإِنْ﴾ وما﴿ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: تأخير ما توعدون، أو إبهام وقته، أو نعيم الدنيا﴿ فِتْنَةٌ﴾ امتحان لكم ليظهر صنيعكم﴿ ومَتاعٌ إلى حِينٍ﴾ وتمتع إلى انقضاء آجالكم﴿ قل﴾ وقرأ حفص: (قال) ﴿ رَبِّ احْكُمْ﴾ بيني وبين مكذبي﴿ بِالْحَقِّ﴾ بما يظهر به الحق من تعذيبهم والنصر عليهم فعذبوا ببدر ونصر عليهم﴿ وربُّنَا الرَّحْمنُ﴾ ذوالرحمة البالغة ﴿ الْمُسْتَعانُ﴾ المسؤول المعونة﴿ عَلى ما تَصِفُونَ﴾ من شرككم وكذبكم على الله تعالى بنسبة الولد إليه وعلى رسوله بأنه ساحر وعلى القرآن بأنه سحر.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الأنبياء وتفسيرها.

سورة الحجّ

نيف وسبعون آية، مكّية.

(إلاّ آيات) أو مدنية (إلاّ آيات)

[الآيات ١ – ٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥

عن الصادق (ع): من قرأ سورة الحج في كل ثلاثة أيام لم تخرج سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام، وإن مات في سفره دخل الجنّة، قيل: فإن كان مخالفاً؟ قال: يخفف عنه بعض ما هو فيه.﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أيهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمْ﴾ بفعل الطاعات وترك المعاصي﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله المجازي أي: تحريكها الأشياء، أو إلى ظرفه أي: تحريك الأشياء فيها. وقيل: هي زلزلة تتقدم الساعة فأضيفت إليها لأنها من أشراطها﴿ شَيْءٌ عَظيمٌ﴾ فظيع، علل بذلك أمرهم بالتقوى حثاً عليها فإنها خير زاد إلى المعاد﴿ يَومَ تَرَونَها﴾ أي: الزلزلة ﴿ تَذْهَلُ﴾تغفل بدهشة﴿ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل. والمرضع أعم وهي: ما من شأنها الإرضاع﴿ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (ما) مصدرية، أو موصولة والمراد: تصوير هولها بأنه بحيث لو ألقمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه ونسيته لدهشتها﴿ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾ جنينها﴿ وتَرَى النَّاسَ سُكارى﴾ من شدة الفزع. وأفرد بعد جمعه: لأن الزلزلة يراها الكل والسكر إنما يراه كل واحد من غيره. وقرأ حمزة والكسائي سكرى فيهما، كأن السكر علّة فجمع جمل أهل العلل كـ(مرضى) ونحوه ﴿ وما هُمْ بِسُكارى﴾ من الشراب﴿ ولكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأفزعهم بحيث أزال عقولهم. القمي قال: يعني ذاهبة عقولهم من الحزن والفزع متحيرين.﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في شأنه﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل بالجهل المحض، قيل: نزلت في النضر

بن الحارث وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت. وهي تعمّه وأضرابه﴿ ويَتّبِعُ﴾ في جداله، أو عامة أحواله﴿ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾ متجرّد للفساد، وأصله: الغوي. والقمي: المريد الخبيث﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على الشيطان في علم الله﴿ أَنَّهُ﴾ أي: الشأن﴿ مَنْ تَوَلاّهُ﴾ تبعه﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ خبر، أو جواب لـ(من)﴿ ويَهْدِيهِ إلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ بدعائه إلى ما يوجبه﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ﴾ أي: فنظركم في بدء خلقكم يزيل ريبكم فإنا خلقنا أصلكم آدم وما يتكون منه المني﴿ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا نسل آدم (ع)﴿ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني من نطف سال﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم جامد﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ لحمة قدر ما يمضغ﴿ مُخَلَّقَةٍ وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ تامّة الخلق وغير تامّة، أو مصورة بالتخطيط وغير مصورة﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بتقليبكم قدرتنا فإن من قدر عليه أولاً قدر على إعادتكم ثانياً. وحذف المبين إيذاناً بأنه مما لا يحيط به الوصف﴿ ونُقِرُّ﴾ عطف على (خلقناكم) أو مستأنف﴿ فِي الأَرْحامِ ما نَشاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو وقت وضعه ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ حال و وحّد إرادة للجنس، أو كل واحد منكم﴿ ثُمَّ﴾ نربيكم شيئاً فشيئاً﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم جمع (شدّة) كـ(أنعم) لـ(نعمة) وهو من ثلاثين سنة إلى أربعين، أو الحلم﴿ ومِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ عند بلوغ الأشد، أو قبله ﴿ ومِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أرداه وهو الهرم والخرف﴿ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ ليصير كالطفل في النسيان وسوء الفهم وتعاقب هذه الأحوال عليه يدل أيضاً على أن من قدر عليها قدر على البعث﴿ وتَرَى الأَرْضَ هامِدَةً ﴾ دارسة يابسة من: (همد الثوب: بلي)﴿ فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات﴿ ورَبَتْ﴾

انتفخت﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ بعض كل صنف﴿ بَهِيجٖ﴾ حسن نظر وهذا أيضاً من دلائل البعث.

[سورة الحج الآيات ٦- ١٥]

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

﴿ ذلكَ﴾ المذكور من أحوال الإنسان والأرض﴿ بِأَنَّ اللَّهَ هُوالْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت المحق للأشياء﴿ وأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوتى﴾ بقدرته، وإلاّ لما أحيى موتى النطف والأرض﴿ وأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لإستواء نسبة قدرته الذاتية إلى كل ممكن وهذا كالبيان لما قبله إذ إحياء الموتى ممكن فتناله القدرة الشاملة﴿ وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هذان شيئان غائبان لخلق الإنسان وما يتعيش به فإنه إنماخلق وكلّف لجزاء الآخرة ولا يصل إليه إلاّ ببعثه في الساعة وما سبق من حقيته تعالى، وإحيائه الموتى، وعموم قدرته، فأسباب فاعليته لذلك. وعن الصادق (ع): إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم. ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كرّر تأكيداً، أو الأول في الإتباع وهذا في المتبوعين﴿ ولا هُدىً ﴾ ولا دلالة عقلية معه ﴿ ولا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ ذي نور أي: ولا حجة سمعيّة من جهة الوحي﴿ ثانِيَ عِطْفِهِ﴾ متكبر، أو معرضاً عن الحق. وثني العطف كناية عن التكبر والإعراض عن الشيء ﴿ لِيُضِلَّ﴾ الناس﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه علّة للجدال. وفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو و ورش على أن ضلاله كالغرض لجداله الذي خرج به من الهدى إلى الضّلال ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ﴾ بوقعة بدر﴿ ونُذِيقُهُ يَومَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ النار المحرقة ﴿ ذلِكَ﴾ أي: يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والعذاب﴿ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ﴾ أي:

قدمته من الكفر وعبّر عنه بهما لأنهما آلة لأكثر الأفعال﴿ وأنَّ﴾ عطف على (ما) ﴿ اللَّهَ لَيسَ بظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فيأخذ بغير جرم والمبالغة لكثرة العبيد﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ﴾ طرف من الدين مضطرباً فيه كالقائم على طرف جبل، أو على شك أو بلسانه دون قلبه فإن الدين حرفان: القلب واللسان﴿ فَإِنْ أصابَهُ خَيْرٌ﴾ نعمة ورخاء﴿ اطْمَأنَّ بِهِ وإِنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وبلاء﴿ انْقَلَبَ عَلى وجْهِهِ﴾ عاد إلى كفره الذي توجه منه، قيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صحّ جسمه ونتجت فرسه وولد له غلام وكثر ماله قال: ما أصبت بديني هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شراً وانقلب﴿ خَسِرَ الدُّنْيا﴾ بفراقه ﴿ والْآخِرَةَ﴾ بنفاقه ﴿ ذلِكَ هُو الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾ بفساد عاجله وآجله. وقيل: خسر في الدنيا الغنيمة والعزّ وفي الآخرة الثواب والجنة. وسئل الباقر (ع) عن الآية؟ قال: هم قوم وحّدوا اللّه وخلعوا عبادة من يعبد من دون اللّه فخرجوا من الشرك ولم يعرفوا أن محمداً(ص) رسول اللّه فهم يعبدون اللّه على شك في محمد (ص) وما جاء به فأتوا رسول اللّه، وقالوا: ننظر فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنه صادق وأنه رسول اللّه وإن كان غير ذلك نظرنا، قال اللّه تعالى: فإن أصابه خير اطمأن به يعني عافية في الدنيا وإن أصابته فتنة يعني: بلاء في نفسه انقلب على شكه إلى الشرك.﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وما لا يَنْفَعُهُ﴾ قال (ع): ينقلب مشركاً يدعو غير اللّه ويعبد غيره فمنهم من يعرف فيدخل الإيمان قلبه فيؤمن ويصدق ويزول عنه منزلته من الشك إلى الإيمان ومنهم من ثبت على شكه ومنهم من ينقلب إلى الشرك﴿ ذلِكَ﴾ الدعاء ﴿ هُو الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الرشد﴿ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ ﴾ بكونه معبوداً من إيجابه عذاب الدارين﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الذي زعمه من الشفاعة واللاّم معلّقة ليدعوا لتضمنه معنى الزعم وهو قول باعتقاد، أو داخلة على جملة محكيّة لأن يدعوا بمعنى

يقول أي: يقول ذلك بصراخ حين يرى استضراره به، أو مستأنفة ويدعو تكرير للأول وهو في الكل مبتدأ خبره﴿ لَبِئْسَ الْمَولى﴾ الناصر﴿ ولَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ الصاحب ﴿ إنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ إنَّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ ﴾ من نفع المؤمن المطيع، وضرر المنافق العاصي لا يعجزه شيء ﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ﴾ الهاء لمحمد (ص) إذ كان أعداؤهم يغيظهم نصر الله له ويتوقعون خلافه، أو(لمن) ويراد بالنصر الرزق﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿ إلى السَّماءِ﴾ سماء بيته يشدّه فيه وفي عنقه﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ وكسر اللام أبو عمرو وابن عامر و ورش وسكنها الباقون، أي: ليختنق (من (قطع): اختنق) إذ الاختناق قطع النفس بسد مجراه، والمعنى: ليجهد في دفع غيظه، أو جزعه بأن يفعل فعل المغتاظ، أو الجازع بنفسه. وقيل: فليمدد حبلاً إلى السماء المظلة ثم ليقطع المسافة إليها فيجهد في دفع نصره، أو نيل رزقه﴿ فَلْيَنْظُرْ﴾ فليتفكر﴿ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ صنعه ذلك ما ﴿ يَغِيظُ﴾ غيظه.

[سورة الحج الآيات ١٦ - ٣٠]

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ

وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ
مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم
مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ
أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى
ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً
ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿ وكَذلكَ﴾ الإنزال لما سبق﴿ أنزلْناهُ﴾ أي: القرآن﴿ آيات بيِّنات﴾ ظاهرات ﴿ وأنَّ﴾ ولأن ﴿ اللَّهَ يَهْدي﴾ يوفق به، أو يثبت على الهدى﴿ مَنْ يُريدُ﴾ توفيقه، أو تثبيته أنزله كذلك مبينا﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا والَّذينَ هادُوا والصَّابئينَ والنَّصارى والْمَجُوسَ والَّذينَ أشْرَكُوا إنَّ اللَّهَ يَفْصلُ بيْنَهُمْ يومَ الْقِيامَةِ﴾ يميّز بينهم في أحوالهم ومحالهم فيكرم المؤمنين ويدخلهم الجنة، ويهين غيرهم ويدخلهم النار وكرّرت (إن) في الخبر زيادة تأكيد﴿ إنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾ مطّلع عليم به﴿ ألَمْ تَرَ﴾ تعلم﴿ أنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَماوات ومَنْ في الأرْضِ﴾ ينقادون لقدرته وتدبيره﴿ والشَّمْسُ والْقَمَرُ والنُّجُومُ والْجبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ﴾ إن عمّت (من) غير العقلاء فإفراد هذه بالذكر لظهورها﴿ وكثيراً مِنَ النَّاسِ﴾ عطف عليه أن سوغ استعمال المشترك في معنييه إذ المراد بسجودهم: وضع الجبهة لا المعنى المذكور لشموله لكل الناس، أو فاعل لمقدر أي: ويسجد له بوضع الجبهة كثير، أو مبتدأ

حذف خبره بقرينة خبر قسيمه وهو: ﴿ وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ﴾ بإبائه أن يسجد طاعة. وقيل: (وكثير) تكرير للسابق مبالغة في كثرة من حقّ عليه العذاب﴿ ومَنْ يُهِنِ اللّهُ﴾ يشقه بالعقاب﴿ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ مسعد بالثواب﴿ إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾ من إهانة وإكرام﴿ هذانِ﴾ الجمعان من المؤمنين والكفارأهل الملل الخمس﴿ خَصْمانِ ﴾ كل منهما خصم للآخر﴿ اخْتَصَمُوا﴾ جُمِعَ نظراً إلى المعنى﴿ فِي رَبِّهِمْ﴾ في دينه. قيل: نزلت في ستة تبارزوا ببدر علي وحمزة وعبيدة من المسلمين، وعتبة وشيبة والوليد من المشركين. وقيل: في المسلمين وإليهود حين قال كل منهما: نحن أحق بالله. وعن الحسين (ع): نحن وبنو أمية نحن قلنا: صدق الله ورسوله. وقالت بنو أمية: كذب الله ورسوله فنحن الخصمان يوم القيامة. ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا فصل خصومتهم المعني بقوله: إن الله يفصل بينهم﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ قدرت على مقاديرهم ﴿ ثِيابٌ مِنْ نارٍ﴾ نيران تشملهم كالثياب﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء المغليّ. قيل: لونقطت منه نقطة على الجبال لأذابتها. ﴿ يُصْهَرُ﴾ يذاب﴿ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الأحشاء﴿ والْجُلُودُ﴾ فباطنهم كظاهرهم في التأثر به﴿ ولَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها، والمقمعة: ما يقمع به أي: يُردَع﴿ كُلَّما أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها﴾ من النار من غمّ يأخذ بأنفاسهم فقاربوا الخروج ﴿ أُعِيدُوا فيها ﴾ قيل: يضربهم لهبها فيرفعهم إلى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها﴿ وذُوقُوا﴾ وقيل: لهم ذوقوا ﴿ عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ النار المحرقة﴿ إِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ﴾ قد سبق حال أحد الخصمين وهذا حال الأخرى أي: المؤمنين﴿ يُحَلَّونَ﴾ فِيها من (حليت المرأة) إذا لبست الحلي﴿ مِنْ أساوِرَ﴾ جمع (أسورة) جمع (سوار) بالكسر والضم﴿ مِنْ ذَهَبٍ﴾ بيان له﴿ ولُؤْلُؤاً﴾ بالجر عطف على (أساور) لا على ذهب لأنه لم يعهد السوار منه إلا أن يراد المرصّعة به،

اللهم إلا أن يكون في الجنة غير المعهود فيعطف على (ذهب) و بالنصب عطفاً على محل الجار والمجرور، ويحلون لؤلؤاً﴿ ولِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ﴾ هو كلمة التوحيد، أو قول: الحمد للّه، أو القرآن﴿ وهُدُوا إلى صِراطِ الحَمِيدِ﴾ دين المحمود وهو اللّه، أو طريق المحل المحمود وهو الجنة﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ويَصُدُّونَ﴾ عطف على الماضي لقصد الاستمرار، أو حال من واو كفروا، وخبر (إنّ) مقدّر أي: معذبون بدليل عجز الآية﴿ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ عن طاعته ﴿ والمَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً﴾ بالرفع خبر مبتدأ﴿ العاكِفُ فِيهِ﴾ المقيم﴿ والبادِ﴾ الطاري والجملة ثاني مفعولي جعلناه وللناس حال من الهاء، أو هو المفعول أي: جعلناه متعبداً أو مستقراً لهم، والجملة حال، أو بدل من (جعلناه) ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال، والعاكف فاعله. والمراد: استواؤهما في العبادة في المسجد ليس لأحدهما منع الآخر. وقيل: في السكنى ويراد بالمسجد: مكة أي: لا يمنع أحد غيره سكنى دورها، وللساكن أولويّة السبق ولا يملك إلا ما يعمله فيها، وأثبت ابن كثير الياء مطلقاً و ورش وأبوعمرو وصلاً عن الصادق (ع): كانت دور مكة ليس على شيء منها باب وكان أول من علق على بابه المصراعين معاوية، وليس ينبغي لأحد أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنازلها.﴿ ومَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان، والباء فيهما للملابسة، والإلحاد عدول عن القصد وترك مفعول يرد ليعم، أي: من يرد فيه أمراً ما ملابساً للعدول عن القصد والظلم﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ ألِيمٍ﴾ جواب (من) عن الصادق (ع) في الآية: من عبد فيه غير اللّه عزّ وجلّ، أو تولّى فيه غير أولياء اللّه فهو ملحد بظلم وعلى اللّه أن يذيقه من عذاب أليم. وعنه (ع): فيها كل ظلم إلحاد وضرب الخادم من غير ذنب من ذلك الإلحاد. وسئل عن أدنى

الإلحاد؟ فقال: إن الكبر أدناه. ﴿وإِذْ بَوأْنا لإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ﴾ أي: واذكر إذ بيّناه له ليبنيه قيل: رفع البيت، أو الطمس زمن الطوفان، فبعث اللّه ريحاً فكنست مكانه فبناه. قيل: (اللاّم) زائدة و(مكان) ظرف أي: أنزلناه فيه (أنْ) مفسرة لـ(بوأنا) لتضمنه معنى: تعبّدنا، أو بتقدير: وأمرناه أن لا ﴿ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان. وفتح نافع وحفص وهشام ياء (بيتي) ﴿لِلطّائِفِينَ﴾ حوله ﴿والْقائِمِينَ﴾ المقيمين عنده، أو القائمين في الصلاة ﴿ والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلّين جمع (راكع) و(ساجد) عن الصادق (ع): في الآية ينبغي للعبد أن لا يدخل مكة إلا وهو طاهر قد غسل عرقه والأذى وتطهر. وعنه (ع): إن للّه تعالى حول الكعبة عشرين ومائة رحمة منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين ﴿ وأَذِّنْ فِي النّاسِ﴾ ناد فيهم ﴿ بِالْحَجِّ﴾ بأن تدعوهم إليه ﴿ يَأْتُوكَ رِجالاً﴾ مشاة جمع (راجل) وعن الصادق (ع): قرأ (رجّالاً) بالتشديد والضم ﴿ وعَلى كُلِّ ضامِرٍ﴾ أي: وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر وهزله ﴿ يَأْتِينَ﴾ صفة لـ(ضامر)أو محمولة على معناه وقريء (يأتون) صفة الرجال والركبان، أو استئناف ونسبها في المجمع إلى الصادق (ع) ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ بعيد الأطراف. عن الصادق (ع): لما أمر إبراهيم وإسماعيل (ع) ببناء البيت وتم بناؤه قعد إبراهيم على ركن ثم نادى: هلم الحج. فلو نادى: هلموا إلى الحج، لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكن نادى: هلم الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي اللّه. فمن لبّى عشراً حج عشراً، ومن لبّى خمساً حج خمساً، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحدة حج واحدة، ومن لم يلبِّ لم يحج. ﴿ لِيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا ﴿ مَنافِعَ لَهُمْ﴾ التنكير للتعظيم، أو التكثير. عن الصادق (ع): منافع الدنيا ومنافع الآخرة، وعنه (ع): منافع الآخرة هي العفو والمغفرة ﴿ ويَذْكُرُوا إسم اللّهِ فِي أيامٍ مَعْلُوماتٍ ﴾ عن علي (ع): هي أيام العشرة، وعنه (ع): هي أيام التشريق وفي آخر

المعلومات العشر والمعدودات أيام التشريق، وعن الباقر (ع): أن الأيام المعلومات يوم النحر والثلاثة بعد أيام التشريق والأيام المعدودات عشر ذي الحجة ﴿ عَلَى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنعامِ﴾ أي: على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم هدايا أو ضحايا، وقيل: كنى بالذكر عن الذبح إذ لا ينفك ذبح المسلمين عنه إيذاناً بأنه الغرض مما يتقرب به إلى الله وقال الصادق (ع): هوالتكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة أولها ظهر العيد.﴿ فَكُلُوا مِنْها﴾ وجوباً في الواجبة، وندباً في المندوبة، وكذا ﴿ وأَطْعِمُوا الْبائسَ﴾ من به بؤس أي: ضرّ﴿ الْفَقِيرَ﴾ المحتاج. وعن الصادق (ع): هو الزمن الذي لا يستطيع أن يخرج لزمانته. وعنه (ع): البائس الفقير﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ليزيلوا شعثهم بقص الشارب والظفر وحلق الشعر والغسل إذا أحلّوا. وكسر اللاّم ورش وقنبل وأبو عمرو وابن عامر﴿ ولْيُوفُوا وشدّده أبو بكر﴿ نُذُورَهُمْ﴾ ما نذروا من البرّ في حجهم. وعن الصادق (ع): التفث: هو الحلق وما في جلد الإنسان. وعن الرضا (ع): التفث: تقليم الأظفار وطرح الوسخ وطرح الإحرام عنه. وعن الباقر (ع): التفث: حقوق الرجل من الطيب فإذا قضى نسكه حلّ له الطيب. وعن الصادق (ع) في باطن الآية: ليقضوا تفثهم: لقاء الإمام وليوفوا نذورهم: تلك المناسك. قال الصدوق: معنى التفث: كل ما ورد به الأخبار.﴿ ولْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الزيارة، أو النساء، أو الوداع، أو ما يعمّها. وكسر ابن ذكوان اللاّمين. وعن الصادق (ع): هو طواف النساء ﴿ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ عن الباقر (ع): هو بيت حرّ عتيق من الناس لم يملكه أحد. وعن الصادق (ع): لأنه أعتق من الغرق وقيل: القديم لأنه أول بيت وضع، أو الكريم، أو المعتق من تسلّط الجبابرة فمن قصده بهدم هلك﴿ ذلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك المذكور﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ﴾ وهي ما لا يحل هتكه من جميع التكاليف، أو ما

يتعلق بالحج. وتعظيمها: رعايتها وحفظها﴿ فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها﴿ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وابآ﴿ وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأنعامُ﴾ كلها أكلاً﴿ إلاّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية ونحوها، فلا تحرموا منها ما أحلّ الله كالبحيرة[1]﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثانِ﴾ (من) بيانية عن الصّادق(ع): هو الشطرنج﴿ واجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ الغناء وسائر أنواع القمار وسائر الأقوال الملهية. وعن النبي (ص) عدلت شهادة الزور بالشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية.

[سورة الحج الآيات ٣١ - ٣٨]

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

---

(١) ذكرنا سابقاً ان معنى البحيرة هي الناقة قبل الإسلام كانت إذا ولدت خمسة أبطن يشقون أذنها ولا ينتفعون بها بذبح أو نحوه، ولا يمنعونها من الماء والمرعى وقد أبطل الإسلام هذه العادة وأمثالها.

يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

﴿ حُنَفاءَ للّه﴾ موحّدين﴿ غَيرَ مُشْرِكينَ بِه﴾ تأكيد لـ(حنفاء) وهما حالان من الواو ﴿ ومَنْ يُشْرِكْ باللّه فَكأنّما خرَّ منَ السَّماء﴾ أي: فقد أهلك نفسه هلاك من سقط منها﴿ فَتخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ تأخذه بسرعة فترفعه قطعاً في حواصلها. وشدّده نافع﴿ أوتَهْوي بِه الرِّيحُ﴾ تسقطه﴿ في مَكانٍ سَحيقٍ﴾ بعيد. و(أو)للإباحة في التشبيهين﴿ ذلكَ﴾ أي: الأمر ذلك﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ شعائِرَ اللّه﴾ دينه أومناسك الحج، أو الهدايا ويعضده ظاهر ما بعده. وتعظيمها: استحسانها والمغالاة بأثمانها﴿ فَإنّها مِنْ تَقْوى القُلوب﴾ أي: فإنّ تعظيمها ناشئ من تقوى قلوبهم. عن الصادق (ع): إنما يكون الجزاء مضاعفاً فيما دون البدنة فإذا بلغ البدنة فلا تضاعف لأنه أعظم ما يكون. قال تعالى، وتلا الآية. ﴿ لكُمْ فِيها مَنافِعُ إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت نحرها. عن الصادق (ع): إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنف عليها وإن كان لها لبن حلبها حلباً لا ينهكها﴿ ثُمَّ مَحِلُّها﴾ مكان محل نحرها إلى﴿ البَيْتِ العَتِيقِ﴾ أي: ما يقرب منه، وقيل: هو الحرم

كله وعندنا أنه في الحج منى وفي العمرة المفردة مكة بالجزورة. ومَن فسّرها بالدين قال: لكم فيها منافع الثواب مذخوراً إلى القيامة. ويؤول البيت العتيق: بالمعمور، أو الجنة. ومن فسّرها بالمناسك قال: لكم فيها منافع التجارات إلى وقت عودكم وأنها تنتهي إلى البيت بالتحلّل بالطواف به. ﴿ وِلكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿ جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾ قرباناً، أو متعبداً وكسره حمزة والكسائي أي: مكان نسك ﴿ لِيَذْكُرُوا إسم اللّهِ﴾ دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علّل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنعامِ﴾ عند ذبحها ﴿ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحد فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أخلصوا التقرب والذكر ولا تشوبوه بالإشراك ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتينَ﴾ القمي قال: العابدين ﴿ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها ﴿ والصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ﴾ من المصائب ﴿ والْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ في أوقاتها ﴿ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في وجوه الخير ﴿ والْبُدْنَ﴾ الإبل جمع (بدنة) نصب بفعل يفسّره: ﴿ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ﴾ أعلام دينه لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية ﴿ فَاذْكُرُوا إسم اللّهِ عَلَيْها صَوافَّ﴾ قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. القمي قال: تنحر قائمة. وعن الصادق (ع): ذلك حين تصف للنحر تربط يديها ما بين الخف إلى الركبة. وقرئ صوافن بالنون ونسبه في المجمع إلى الباقر (ع) من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل أحدى يديها فتقوم على ثلاث ﴿ فَإِذا وجَبَتْ جُنُوبُها﴾ عن الصادق (ع): إذا وقعت على الأرض ﴿ فَكُلُوا مِنْها وأَطْعِمُوا الْقانِعَ﴾ الذي يقنع بما أعطي، أو بما عنده ولا يسأل ﴿ والْمُعْتَرَّ﴾ الذي يعترض لك أن تطعمه، أو القانع الذي يسأل والمعتر: الذي يتعرّض ولا يسأل. وعن

الصادق (ع): القانع الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح[١] ولا يلوي شدقه[٢] غضباً. والمعتر: المارّ بك لتطعمه. وعنهم (ع): ينبغي أن يطعم ثلثه، ويعطي القانع والمعتر ثلثه، ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي.﴿ كَذلِكَ﴾ التسخير أي: هكذا ﴿ سَخَّرْناها لَكُمْ﴾ ـ مع ضخمها وقوتها ـ تقودونها وتحبسونها ثم تنحرونها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعَمَنا عليكم ﴿ لَنْ يَنالَ اللَّهَ﴾ لن يصعد إليه ﴿ لُحُومُها ولا دِماؤُها ولكِنْ يَنالُهُ﴾ يصعد إليه ﴿ التَّقْوى مِنْكُمْ﴾ الموجبة لإخلاص العمل لله وقبوله منه روي أن الجاهلية كانوا إذا نحروا لطخوا البيت بالدم، فلما حجّ المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت. وسئل الصادق (ع): ما علّة الأضحية؟ قال: إنه يغفر لصاحبها عند أول قطرة تقطر من دمها إلى الأرض، وليعلم الله عزّ وجلّ من يتقيه بالغيب، ثم تلا الآية. ﴿ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ﴾ كرّر ليعلل بقوله: ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ﴾ أرشدكم لأعلام دينه ومناسك حجّه، ولتضمّن (تكبّروا) معنى: تشكروا تعلقت به على:﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الموحّدين، أو المخلصين فيما يأتونه ويذرونه﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ﴾ بصيغة المغالبة للمبالغة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع﴿ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾كيد المشركين﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوانٍ﴾ لله بإشراكه﴿ كَفُورٍ﴾ جحود لنعمه، أي: لا يرضى عنهم.

---

(١) أي: لا تظهر على وجهه ملامح الغضب والسخط. إذ أن الكُلُوح: هو العبوس في وجه الآخرين.

(٢) أي: لم يتكلم إعتراضاً على قلة ما أعطي.

[سورة الحج الآيات ٣٩ - ٤٦]

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿ أُذِنَ﴾ وبناه عامر وحمزة والكسائي للفاعل أي: الله﴿ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ﴾ المشركين. وحذف المأذون فيه لدلالته عليه، وفتح الباء نافع وابن عامر وحفص، أي: الذين يقاتلهم المشركون﴿ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم﴿ ظُلِمُوا﴾ وهم المؤمنون،كان المشركون يؤذونهم بضرب وغيره فيتظلمون إلى النبي (ص) فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر، فأنزلت، وهي أول آية في القتال ﴿ وإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ عدة لهم بالنصر﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ مدح مرفوع، أو منصوب ﴿ مِنْ دِيارِهِمْ﴾ مكة﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: بغير موجب لخروجهم سوى التوحيد الموجب للإقرار لا للإخراج. قال الباقر (ع): نزلت في المهاجرين، وجرت في آل محمد (ص) أخرجوا وأخيفوا.﴿ ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع دفاع الله ﴿ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل البعض من (الناس)﴿ بِبَعْضٍ﴾ بنصر المسلمين على الكفار ﴿ لَهُدِّمَتْ﴾ وخففه ابن كثير ونافع﴿ صَوامِعُ﴾ للرهبان﴿ وبِيَعٌ ﴾كنائس للنصارى ﴿ وصَلَواتٌ﴾ كنائس لليهود سميت بها لأنها يصلى فيها. وقيل: هي بالعبريّة (صلوتا) فعرّبت﴿ ومَساجِدُ﴾ للمسلمين﴿ يُذْكَرُ فِيهَا إسم اللَّهِ كَثِيراً﴾ صفة للأربع بالنظر إلى ما قبل إنحراف من انحرف، أو للمساجد خصّت بها تشريفاً وقيل: الكل أسماء للمساجد. ﴿ ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ بنصر دينه﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يمانعه شيء ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ وصف لـ(الذين) أخرجوا، أو بدل من(من ينصره). عن الباقر (ع): نحن هم.﴿ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوابه صلة (الذين)﴿ ولِلَّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ لا يملكها في الآخرة سواه. عن الباقر (ع): فهذه لآل محمد (ص) والمهدي (عج) وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدين ويميت الله به وبأصحابه البدع

والباطل كما أمات الشقاة الحق حتى لا يرى أين الظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴿ وإنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَومُ نُوحٍ وعادٌ وثَمُودُ وقَومُ إبْراهِيمَ وقَومُ لُوطٍ وأَصْحابُ مَدْيَنَ﴾ تسلية له (ص) عن تكذيب قومه له بتكذيب تلك الأمم لرسلهم﴿ وكُذِّبَ مُوسى﴾ كذبه القبط إلاّ قومه بنو إسرائيل ولذا غيّر فيه النظم ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ﴾ فأمهلتهم وأخّرت عقوبتهم﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب﴿ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالإنتقام منهم بتكذيبهم. وأثبت ورش الياء حيث وقع ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أهلكْناها﴾ وقرأ أبو عمرو أهلكتها﴿ وهِيَ ظالِمَةٌ ﴾ أي: أهلها بالكفر. حال ﴿ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها، أو خالية مع بقاء سقوفها. عطف على (أهلكناها) لا على الحال﴿ وبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ عطف على (قرية) أي: بئر متروكة بموت أهلها﴿ وقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ مجصّص، أو مرفوع هلك أهله فخلا. وعنهم (ع): كم عالم لا يرجع إليه ولا ينتفع بعلمه. وعن الصادق والكاظم (ع): البئر المعطّلة: الإمام الصامت، والقصر المشيد: الإمام الناطق. ﴿ أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ ليتعرّفوا حال المكذبين قبلهم فيعتبروا﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾ ما أصاب أولئك بتكذيبهم﴿ أوآذانٌ يَسْمَعُونَ﴾ بها أخبار إهلاكهم سماع تدبّر﴿ فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ﴾ الهاء للقصة، أو مبهم يفسره: الأبصار، وفاعل (تعمى): ضميره﴿ ولكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: لا عمى لأبصارهم وإنما العمى لقلوبهم عن الإعتبار وقيّد بالصدور تأكيداً ورفعاً للتجوز. عن السجاد (ع): إن للعبد أربع أعين عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين التي في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته، وإذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

[سورة الحج الآيات ٤٧ - ٥٥]

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

﴿ ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾ المتوعد به. القمي: وذلك أن رسول الله (ص) أخبرهم ان العذاب أتاهم فقالوا: فأين العذاب؟ فاستعجلوه.﴿ ولَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وعْدَهُ﴾ بإنزاله. وقد أنجزه يوم بدر﴿ وإِنَّ يَوماً ﴾ من أيام عذابهم﴿ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا وقيل: المراد: بيان طول أناته باستقصاره المدّة الطويلة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة﴿ وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وهِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها﴾ بالعذاب﴿ وإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ إلى حكمي مرجع الجميع، والمراد: أهلها، وعطف السابق بالفاء لأنه بدل من (فكيف كان نكير) وهذا بالواو لسوقه لبيان وقوع العذاب بهم وان أمهلوا كالجملتين قبله﴿ قُلْ يا أيهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لما أنذركم به﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ نعيم في الجنة فانه أفضل رزق﴿ والَّذِينَ سَعَوا فِي آياتِنا﴾ القرآن بالإبطال﴿ مُعاجِزِينَ﴾ مسابقين لنا طالبين أن يفوتونا، أو يتم كيدهم، وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين مشدّداً حيث كان، أي: مثبطين من يتبع الرسول (ص) أو ناسبهم إلى العجز﴿ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾ النار الموقدة﴿ وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نَبِيٍّ﴾ عنهما (ع) زيادة ولا محدّث بفتح الدال في القراءة فسرّوا (ع) (الرسول): بالذي يظهر له الملك فيكلمه. والنبي: الذي يرى في منامه. وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد. والمحدّث: الذي يسمع الصوت ولا يرى الصّورة.﴿ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى﴾ بقلبه أمنيّة﴿ أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ وسوس إليه فيها بالباطل يدعوه إليه﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ﴾ يبطله ويزيله بعصمته وهدايته إلى ما هو الحق﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ﴾ يثبت دلائله الدّاعية إلى مخالفة الشيطان﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء﴿ حَكِيمٌ﴾ في تدبيره، أو المعنى: إذا تمنّى أي: قرأ ما يبلغه قومه حرّفوه وزادوا فيه ونقصوا كما فعله إليهود. وأسند إلى الشيطان لأنه بتسويله فيزيل الله تحريفهم بإقامة حجّته. وهذا

تسلية له (ص) حين افترى عليه المشركون ونسبوا إلى قراءته ما لم يكن فيها من مدح آلهتهم. وعن علي (ع): ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم والإنتقال عنهم إلى دار الإقامة إلا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه، ذمّه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ اللّه ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ولا يصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين ويحكم اللّه آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان ومتابعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض اللّه أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: بل هم أضلّ سبيلاً ﴿ لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ شك ونفاق ﴿ والْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ المشركين ﴿ وإِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ المذكورين وضع موضع الضمير إيذاناً بظلمهم ﴿ لَفِي شِقاقٍ ﴾ خلاف ﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق، أو عن الرسول وتبعته ﴿ ولِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ بتوحيد اللّه وحكمته ﴿ أَنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ الْحَقُّ ﴾ الذي لا يأتيه الباطل منزلاً ﴿ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ يثبتوا على إيمانهم ويزدادوا إيماناً ﴿ فَتُخْبِتَ ﴾ تخشع وتطمئن ﴿ لَهُ قُلُوبُهُمْ وإِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ طريق مستوٍ، أي: يثبتهم على الدين، أو يهديهم إلى طريق الجنة ﴿ ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ شك مِنْهُ ﴾ من القرآن ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ أو يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ يوم بدر، سمّي به لأنه لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو لأنه لا مثل له ويراد بالساعة: أشراطها[1]، أو الموت.

---

(١) علاماتها.

[سورة الحج الآيات ٥٦ - ٦٤]

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة﴿ لِلَّهِ﴾ وحده﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بيّنه بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتنا فَأولئكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ لهم لشدّته﴿ والَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته من مكة إلى المدينة، أو من أوطانهم إلى الجهاد﴿ ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد. وشدّده ابن عامر﴿ أوماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ نعيم الجنة وسوى بين من مات ومن قتل بالوعد لاستوائهما في النيّة﴿ وإِنَّ اللَّهَ لَهُوخَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لإنتهاء كل رزق إليه﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً﴾ وفتحه نافع وهو مصدر، أو إسم مكان ﴿ يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنة﴿ وإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم﴿ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقوبة ﴿ ذلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك﴿ ومَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ﴾ جازى من ظلمه بمثل ما ظلمه، وسمى الإبتداء بالظلم عقوبة ـ وهي الجزاء ـ للإزدواج﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ عاوده الظالم بالظلم﴿ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ على الباغي﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ﴾ للمبغي عليه إذا انتصر وترك الأولى المندوب إليه وهو العفو﴿ ذلِكَ﴾ النصر﴿ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ ويُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بسبب أنه القادر الذي من قدرته إدخال كل من الليل والنهار في الآخر بالزيادة والنقصان﴿ وأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال﴿ بَصِيرٌ﴾ بالأفعال ﴿ ذلِكَ﴾ الوصف بالقدرة والعلم﴿ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ بسبب أنه﴿ هُو الْحَقُّ﴾ الثابت الإلهية المستلزمة للقدرة والعلم﴿ وأَنَّ ما يَدْعُونَ﴾ يعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بتاء الخطاب للمشركين﴿ مِنْ دُونِه هُو الْباطِلُ﴾ الزائل المعدوم الآلهية﴿ وأَنَّ اللَّهَ هُو الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء﴿ الْكَبِيرُ ﴾ عن أن يعدله شيء﴿ أَ لَمْ تَرَ﴾ استفهام تقرير ﴿ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ﴾ مطراً﴿ فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ بالنبات، وهذا من قدرته الكاملة ونعمته الشاملة، عطف بصيغة المضارع على أنزل إيذاناً ببقاء أثر المطر

مدّة طويلة ولم ينصب جواباً لإيهامه نفي الإخضرار كقولك: ألم تر إني زرتك فتكرمني والمراد: إثباته﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ في أفعاله﴿ خَبِيرٌ﴾ بتدبير خلقه﴿ لَهُ ما فِي السَّماوات وما فِي الأرْضِ﴾ خلقاً وملكاً﴿ وإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ في ذاته﴿ الْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

[سورة الحج الآيات ٦٥ -٧٢]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ

تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿ أ لَمْ تَرَ أنّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الأرْضِ﴾ جعلها مذلّلة لكم معدة لمنافعكم ﴿ والْفُلْكَ﴾ عطف على (ما)﴿ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأمْرِهِ﴾ حال منها﴿ ويُمْسِكُ السّماءَ أنْ﴾ من، أن أوكراهة ﴿ أن تَقَعَ عَلَى الأرْضِ﴾ بان طبعها على الإستمساك ﴿ إلاّ بِإذْنِهِ﴾ بمشيّته فإذا شاء بطل استمساكها فتهبط﴿ إِنّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث فعل لهم ما فيه منافع الدارين﴿ وهُوَ الّذِي أحْياكُمْ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ﴿ ثُمّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم﴿ ثُمّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة﴿ إِنّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ﴾ جحود للنعم مع ظهورها﴿ لِكُلِّ أُمّةٍ﴾ أهل دين﴿ جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾ متعبداً وشريعة ومذهباً﴿ هُمْ ناسِكُوهُ﴾ يذهبون إليه ويتدينون به﴿ فَلا يُنازِعُنّكَ﴾ سائر أرباب الملل ﴿ فِي الأمْرِ﴾ أمر الدّين، قيل: إنّ بديل بن ورقاء وغيره من كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله اللّه؟ يعنون الميتة، فنزلت ﴿ وادْعُ إلى رَبِّكَ﴾ توحيده وعبادته﴿ إِنّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق إلى الحق سويّ﴿ وإِنْ جادَلُوكَ﴾ فقد ظهر الحق ولزمت الحجة﴿ فَقُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق﴿ اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَومَ الْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدارين﴿ أ لَمْ تَعْلَمْ أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّماءِ والأرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيء﴿ إِنّ ذلِكَ فِي كِتابٍ﴾ هو اللوح كتبه فيه قبل أن يبرأه﴿ إِنّ ذلِكَ﴾ إثباته في اللوح، أو الحكم بينكم﴿ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾ لإستواء

نسبة ذاته إلى كل المعلومات والمقدورات﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾ حجّة على صحة عبادته﴿ وما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من ضرورة العقل ونظره ﴿ وما لِلظَّالِمِينَ﴾ بالشرك﴿ مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنعهم من العذاب﴿ وإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا﴾ من القرآن﴿ بَيِّناتٍ﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الإلهية﴿ تَعْرِفُ فِي وجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم، لأباطيل أخذوها تقليداً وهذا منتهى الجهالة﴿ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾ يثبون ويبطشون بهم﴿ قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ﴾ من غيظكم على التالين وضجركم مما تلوا عليكم ﴿ النَّارُ﴾ أي: هو النار كأنه جواب قائل ما هو؟ أو (النار) مبتدأ وخبره: ﴿ وعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والجملة استئناف وعلى الأول وعدها استئناف، أوحال ﴿ وبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[سورة الحج الآيات ٧٣ – ٧٨]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿ يا أيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ استماع تدبّر وتفكّر﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذباباً﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره﴿ ولَواجْتَمَعُوا لَهُ﴾ وتعاونوا على خلقه﴿ وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلُوبُ ﴾ كيف يكونون آلهة قادرين على المقدورات كلها؟ عن الصادق(ع): كانت قريش تلطخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكان يغوث قبال الباب ويعوق عن يمين الكعبة ونسر عن يسارها وكانوا إذا دخلوا خرّوا سجّدا ليغوث ثم يستديرون بحيالهم إلى (يعوق) ثم يستديرون عن يسارها بعيالهم إلى (نسر) ثم يلبون فيقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك الا شريك هولك تملكه وما يملك. قال: فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلا أكله. فنزلت.﴿ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه﴾ ما عرفوه حق معرفته إذ أشركوا به ما يعجز عن ذبّ الذباب عن نفسه﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ قادر﴿ عَزِيزٌ﴾

غالب فكيف يشاركه العاجز المغلوب لأضعف خلقه﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ إلى أنبيائه بالوحي. القمي: وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ﴿ ومِنَ النَّاسِ﴾ أي: رسلاً يدعون سائرهم إلى الحق ويبلّغون إليهم ما نزل عليهم. القمي: هم الأنبياء والأوصياء، فمن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) ومن هؤلاء الخمسة محمد (ص) ومن الأوصياء علي (ع) والأئمة (ع). قيل: هذا ردّ لمعتقدهم في الرسالة من أن الرسول لا يكون بشراً بعد ردّ عقيدتهم في الإلهية وعلى من جعل الملائكة، أو الأنبياء أولاداً﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال﴿ بَصِيرٌ﴾ بالمصالح والأحوال﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى وما غبر من أحوالهم﴿ وإلى اللَّهِ﴾ إلى علمه أو تدبيره﴿ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ كلها﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا﴾ أي: صلّوا﴿ واعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بكل ما تعبّدكم به﴿ وافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ عن الصادق (ع): إن الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه عليها وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: (يا أيها الذين...) إلخ، وهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين. وعن النبي (ص): ان في سورة الحج سجدتين إن لم تسجدهما فلا تقرأهما.﴿ وجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ الأعداء الظاهرة والباطنة. ولذا قال (ص) بعد رجوعه من غزوة تبوك: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. يعني: جهاد النفس﴿ هُواجْتَباكُمْ﴾ اختاركم لدينه ونصرته. وعن الباقر (ع): أيانا عنى ونحن المجتبون.﴿ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق لا مخرجاً منه بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم والرّخص في الضرورات مخرجاً من الذنوب﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ﴾ نصب على الإغراء، أو الإختصاص، أو بنزع الخافض سمّي (أباً) لأنه أبو الرسول (ص) وهوكالأب لأمته،

أو لأنه أبو اكثر العرب فغلبوا على غيرهم. وعنهم (ع):أيانا عنى.﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل القرآن في الكتب السابقة﴿ وَفِي هذا﴾ وفي القرآن، والضمير (للّه) أو لـ(إبراهيم)، وكانت تسميتهم فيه بسبب تسميته من قبل في قوله: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)[1] ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بأنه بلغكم أوبطاعتكم، أو عصيانكم﴿ وتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ تبليغ رسلهم إليهم﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ واعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به﴿ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلى ونِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم هو. عن الباقر (ع): في: (يا أيها الذين آمنوا...)إلخ هو اجتباكم، قال: إيانا عنى ونحن المجتبون، ولم يجعل اللّه تبارك وتعالى علينا في الدين من حرج، (ملة أبيكم ابراهيم): إيانا عنى خاصة، (هو سمّاكم المسلمين) للّه عزّ وجلّ سمّانا المسلمين من قبل في الكتب التي مضت، وفي هذا القرآن ليكون الرسول... إلخ فرسول اللّه (ص) هو الشهيد علينا بما بلّغنا عن اللّه تبارك وتعالى ونحن الشهداء على الناس فمن صدّق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذّبناه.

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة الحج وتفسيرها.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٨.

سورة المؤمنون

مائة وثمان عشرة، أوتسع عشرة آية مكية.

[الآيات ١ - ١٧]

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ

ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

عن النبي (ص): من قرأ هذه السورة بشّرته الملائكة بروح وريحان، وما تقرّ به عينه عند الموت. وعن الصادق (ع): من قرأها ختم له بالسعادة إذا كان بدأ من قراءتها في كل جمعة كان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فازوا بما طلبوا، و(قد) للتحقيق، وإثبات المتوقع، وتقريب الماضي من الحال. ولا ريب إن المؤمنين كانوا متوقعين ذلك فصدرت بها بشارتهم. وعن ورش إلقاء فتحة الهمزة على الدال وحذفها. عن الباقر (ع): أتدري من هم؟ قيل: أنت أعلم، قال: قد أفلح المؤمنون المسلمون إن المسلمين هم النجباء، وعن الصادق (ع): لما خلق اللّه الجنة قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون﴿ الَّذينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ متذلّلون للّه ساكنون لا تعدو أبصارهم مساجدهم، قيل: كان (ص): يصلي رافعاً بصره إلى السماء، فلمّا نزلت رمى به إلى مسجده وعنه (ع): ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق. وعنه (ص) أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: أما إنه لوخشع قلبه لخشعت جوارحه.﴿ والَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ الساقط من قول، أو فعل﴿ مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه ولا يقاربونه فضلاً عن فعله. والقمي: يعني عن الغناء والملاهي. وعن علي (ع): كل قول ليس فيه ذكر فهو لغو﴿ والَّذينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ عن الصادق (ع): من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة، مدحهم باستكمالهم الطاعات البدنية من الخشوع في الصلاة وتجنب ما يجب شرعاً، أو عرفاً تجنبه والمالية من فعل الزكاة والمراد بها الحدث لأن الفاعل إنما يفعله لا العين المخرجة

إلا أن يقدّر مضاف أي: لأداء الزكاة فاعلون﴿ والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أوما مَلَكَتْ أيمانُهُمْ﴾ زوجاتهم، أو سريّاتهم و(على) بمعنى: عن، أو حال بتقدير: إلاّ والين على أزواجهم أي: حفظوها في عامة الأحوال إلا في حال تزوجهم، أو تسرّيهم، وعبر بـ(ما) لقلّة عقولهن وتملكهن كسائر السلع[1] وأفردت هذه بعد دخولها في الأعراض عن اللهو لأن الملامسة ألذّ للهو النفس وقمعها عنه صعب. والقمي: يعني: الإماء قال: والمتعة حدّها حدّ الإماء. وفي النبوي: إن اللّه أحل لكم الفروج على ثلاثة معان فرج موروث وهو البنات وفرج غير موروث وهي المتعة وملك أيمانكم﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ على إتيانهن﴿ فَمَنِ ابْتَغى وراءَ ذلِكَ﴾ المحدود ﴿ فَأولِئكَ هُمُ العادُونَ﴾ المتجاوزون ما حدّ لهم﴿ والَّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وعَهْدِهِمْ﴾ لما اؤتمنوا عليه وعاهدوا من جهة اللّه، أو الناس﴿ راعُونَ﴾ حافظون. وقرأ ابن كثير لأمانتهم مفرداً لأن أصلها مصدر﴿ والَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ﴾ وأفردها حمزة والكسائي﴿ يُحافِظُونَ﴾ يؤدونها لأوقاتها بحدودها. ولفظ المضارع لتجددها وتكررها والمحافظة أعم من الخشوع فلا تكرار، ولفضلها وقع الافتتاح والختم بها. وسئل الباقر (ع) عن الآية؟ فقال: هي الفريضة، قيل: الذين هم على صلواتهم دائمون قال: هي النافلة.﴿ أولِئكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾ دون غيرهم﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ عن النبي (ص) قال: ما من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، وعنه (ع): هذه الآية فيّ نزلت ﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِسانَ مِنْ سُلالَةٍ﴾ صفوة سلّت من الكدر﴿ مِنْ طِينٍ﴾ متعلق

---

(١) لاشك ان هذه تفاسير بعيدة عن روح الاسلام الذي هو دين المساواة والعدالة الاجتماعية فقد اكد القرآن الكريم في مواضع عدة على مساواة الرجل والمرأة في الانسانية ولا يسع المجال هنا لاستقصائها.

بـ(سلالة) أو بمحذوف لأنه صفتها فـ(من) للابتداء كالأولى، أو بيانية والإنسان آدم خلق من صفوة استلّت من الطين، أو الجنس لأنهم خلقوا من نطف استلّت موادّها من طين، أو من آدم على تسميته طيناً لخلقه منه﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم يعني جوهره، أو جعلنا السلالة على تأويل الماء(نطفة) منياً﴿ فِي قَرَارٍ﴾ مستقر هو الرّحم﴿ مَكِينٍ﴾ وصف المحل بصفة الحال مبالغة﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ صيّرنا ﴿ النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعة لحم﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ﴾ جمعت لاختلافها شكلاً وصلابة و وحدها ابن عامر وابوبكر فيهما على إرادة الجنس﴿ لَحْماً﴾ انبتناه عليها﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ عن الباقر (ع): هو نفخ الروح فيه وثم في الموضعين لتراخي الرتبة﴿ فَتَبارَكَ اللَّهُ﴾ دام خيره وتعالى شأنه ﴿ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾ المقدرين. عن الرضا (ع): ان في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى خلق من الطين كهيئة الطير، والسامري خلق لهم عجلاً جسداً﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ﴾ المذكور من تمام الخلق﴿ لَمَيِّتُونَ﴾ عند آجالكم﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ﴾ سموات. جمع (طريقة) لأنها طرق الملائكة والكواكب فيها مسيرها، أو لأنها طوارق بعضها على بعض أي: أطبق ﴿ وما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ أي: كل المخلوقات﴿ غافِلِينَ﴾ تاركين تدبيرها.

[سورة المؤمنون الآيات ١٨-٢٧]

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ

تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يوافق المصلحة، أو بتقدير يعم نفعه ويؤمن ضرّه ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ أثبتناه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ مدداً للينابيع والآبار ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ إذهابه ﴿لَقَادِرُونَ﴾ ولو فعلنا لهلك كل حيوان ونبات. عن الباقر (ع): هي الأنهار والعيون والآبار، وفي النبوي أن الله أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند

وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات ـ وهما نهرا العراق ـ والنيل أنزلها الله من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله (وأنزلنا...) إلخ. ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ ﴾ بالماء ﴿ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا ﴾ في الجنات ﴿ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ تتفكهون بها ﴿ وَمِنْهَا ﴾ من الجنات أي: ثمارها وزرعها ﴿ تَأْكُلُونَ ﴾ تطعمون، أو تتعيشون، أو الضمير للنخيل والأعناب أي: لكم من ثمرها أنواع من الفواكه وطعام تأكلونه ﴿ وشَجَرَةً ﴾ عطف على (جنات) ﴿ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ وطور سينين جبل موسى بين مصر وأيلة والطور الجبل وسيناء: بقعة أضيف إليها، أو علم مركب له. وقريء بكسر السين ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ الباء للمصاحبة أي: متلبسة بالدّهن، أو للتعدية. وقرأ ابن كثير وأبوعمرو رباعياً بتقدير: تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن، أو من أنبت بمعنى: نبت ﴿ وصِبْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ عطف على (الدهن) أي: أدام يصبغ فيه الخبز أي: يغمس فيه للائتدام[1]، وفي النبوي: الزيت شجرة مباركة فأتدموا به وادهنوا ﴿ وإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ إعتباراً بحالها ﴿ نُسْقِيكُمْ ﴾ استئناف لبيان العبرة وفتحه نافع وابن عامر وابو بكر ﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ من اللبن ﴿ ولَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ في أصوافها وأوبارها وغير ذلك ﴿ ومِنْهَا ﴾ من لحومها ﴿ تَأْكُلُونَ وعَلَيْهَا ﴾ وعلى الإبل منها لأنها المحمول عليها عادة وسفن البر فتناسب الفلك ﴿ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ في البر والبحر ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ بدأ بالتوحيد لأنه أهمّ ﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ عذابه في ترك الإيمان به ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ ﴾ الأشراف ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ لعوامهم ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ ﴾ يترأس ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن يصير متبوعاً ﴿ ولَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن

---

(١) للأكل.

يرسل رسولاً﴿ لأنزلَ مَلائكَةً﴾ رسلاً لا بشراً آدمياً﴿ ما سَمِعْنا بهذا﴾ الذي يدعونا نوح إليه من التوحيد﴿ في آبائنَا الأولينَ﴾ الأمم الماضية. قالوه عناداً، أو لطول فترة كانوا فيها﴿ إنْ هُو إلاّ رَجُلٌ به جِنّةٌ﴾ حالة جنون﴿ فَتربّصوا به﴾ واحتملوه ﴿ حتّى حِينٍ﴾ لعلّه يفيق من جنونه، أو انتظروا موته لتستريحوا منه﴿ قالَ﴾ بعد يأسه من إجابتهم ﴿ رَبِّ انْصُرْني﴾ عليهم بإهلاكهم﴿ بما كَذّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم أي: ﴿ فَأوحَيْنا إليه أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا﴾ برعايتنا وحفظنا، أو بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين ليحرسوك من كل ما يمنعك﴿ ووحْيِنا﴾ وبأمرنا إياك كيف تصنع﴿ فإذا جاءَ أمْرُنا﴾ بالركوب، أو نزول العذاب﴿ وفارَ التّنّورُ﴾ ارتفع منه الماء، وقد مرّت القصة مشروحة في سورة هود﴿ فَاسْلُكْ﴾ فادخل﴿ فيها﴾ أي: السفينة﴿ مِنْ كُلٍّ﴾ بالتنوين، أي: من كل نوع﴿ زَوجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى﴿ وأهلكَ﴾ أهل بيتك، أو من آمن معك ﴿ إلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَولُ مِنْهُمْ﴾ أي: الوعد من الله بهلاكه من الكفرة. وجيء بـ(على) للمضرّة﴿ ولا تُخاطِبْنِي في الّذينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بإمهالهم﴿ إنّهُمْ مُغرَقُونَ﴾ لا محالة.

[سورة المؤمنون الآيات ٢٨ - ٤٢]

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ ركبت واعتدلت﴿ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَومِ الظَّالِمينَ﴾ بشركهم﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي﴾ في السفينة، أو في الأرض بعد الخروج﴿ مُنْزَلاً﴾ بضم الميم وفتح الزاء[1] مصدر، أو إسم مكان. وقرأ أبو بكر بفتح الميم وكسر الزاء﴿ مُبارَكاً﴾ يكثر فيه خير الدارين﴿ وأَنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أمره أن يشفع الدعاء بهذا الثناء المطابق له لأنه أدعى إلى الإجابة﴿ إِنَّ فِي

---

(١) يطلق على هذا الحرف (الزاي)غالباً، والمؤلف يلتزم تسميته (الزاء)في كل الكتاب.

ذلكَ﴾ في أمر نوح وقومه والسفينة لآيات دلالات وعبراً للمعتبرين﴿ وإنْ هي﴾ المخففة﴿ كُنَّا لَمُبْتَلينَ﴾ لمختبرين عبادنا ليتذكروا، أو مصيبين قوم نوح بالبلاء. واللام فارقة﴿ ثُمَّ أنشأنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ هم عاد قوم هود لأنه المبعوث بعد نوح، أو ثمود المهلكون بالصيحة﴿ فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ هو هود، أو صالح. وعدي (أرسل) بـ(في) إيذاناً بأنه أوحى إليه وهو بين أظهرهم﴿ أنْ﴾ أي: بأن، أو أي﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ﴾ عذابه﴿ وقالَ الْمَلأُ مِنْ قَومِه﴾ لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ﴾ بلقاء ما فيها من الجزاء، أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث﴿ وأَتْرَفْناهُمْ﴾ نعّمناهم في ﴿ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بضروب الملاذّ﴿ ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ويَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ حذف عائده منصوباً أي: تشربونه، أو مع (من) بقرينة قرينه﴿ ولَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ﴾ فيه. قسم وشرط والجواب للقسم يغني عن جزاء الشرط، وهو: ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ﴾ مغبونون بإتباعه ﴿ أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُراباً وعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء. ومخرجون خبر (انكم) الأوّل ولطول الفصل بينهما أكد بالثاني، أو أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدّم أي: إخراجكم إذا متم، أو فاعل لفعل يقدر جزاء للشرط، أي: إذا متم وقع إخراجكم والجملة الإسمية، أو الشرطية خبر الأوّل ﴿ هَيْهاتَ هَيْهاتَ﴾ إسم فعل ماض أي: بعد الثبوت﴿ لِما تُوعَدُونَ﴾ أو بعد ما توعدون، واللام زائدة لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بـ(هيهات)، وفي إضمار الفاعل وتبيينه تأكيد كما في التكرير، وقيل: هو بمعنى: البعد لما توعدون﴿ إِنْ هِيَ﴾ ما الحياة﴿ إلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ ونَحْيا﴾ يموت قوم ويولد قوم﴿ وما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد موتنا﴿ إِنْ ما هُوإلاّ رَجُلٌ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بدعواه الرسالة

ووعده بالبعث ﴿ وما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمنينَ﴾ بمصدّقين ﴿ قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم إياي ﴿ قالَ اللّه عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و(ما) زائدة لتؤكد معنى القلّة ﴿ لَيُصْبِحُنَّ نادِمينَ﴾ على تكذيبهم إذا رأوا العذاب ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبرئيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت عنها قلوبهم فماتوا. واستدل به على أنّ القوم قوم صالح ﴿ بِالْحَقِّ﴾ بالوجه الثابت الذي لا رافع له، أو بالعدل من اللّه فانه يقضي بالحق، أو بالوعد الصدق، أو باستحقاقهم العقاب بكفرهم ﴿ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً﴾ هو ما جاء به السيل من نبات قد يبس. وعن الباقر (ع): الغثاء: اليابس من نبات الأرض ﴿ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ﴾ أي: بعدوا من الرحمة بعد دعائه عليهم بالهلاك وهو من المصادر المحذوفة الناصب، واللام للبيان وأحلّ الظاهر محلّ ضمير(هم) للتعليل ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ﴾ يعني: قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

[سورة المؤمنون الآيات ٤٣ - ٥٩]

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ ما تَسبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أجَلَها﴾ الوقت الذي حدّ لموتها، و(من) مزيدة للاستغراق ﴿ وما يَستَأخِرُونَ﴾ عنه. وذكّر ضميرها للمعنى﴿ ثُمَّ أرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾ متواترين يتبع بعضهم بعضاً، وأصله و(ترى) فأبدلت الواو تاء، ونونه ابن كثير وابوعمرو على انه مصدر كالمواترة وقع حالاً﴿ كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ﴾ أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم﴿ فَأتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً﴾ في الإهلاك ﴿ وجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ﴾ لم يبق منهم سوى أخبار يتحدث بها وهو إسم جمع للحديث، أو جمع أحدوثة﴿ فَبُعْداً لِقَومٍ لا يُؤْمِنُونَ ثُمَّ أرْسَلْنا مُوسى وأخاهُ هارُونَ بآياتنا﴾ المعجزات﴿ وسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ برهان ظاهر لعله العصا. وأفردت لاشتمالها على

معجزات شتى، وان يراد بكليهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجج بينة عليها ﴿ إلى فِرْعَونَ ومَلائه﴾ خصّهم بالذكر لأن الآخرين كانوا اتباعاً لهم﴿ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الحق والمتابعة﴿ وكانُوا قَوماً عالينَ﴾ متكبرين ﴿ فَقالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلنا وقَومُهُما﴾ أي: بنو إسرائيل﴿ لَنا عابِدُونَ﴾ مطيعون خاضعون كالعباد﴿ فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة﴿ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قومه بني إسرائيل لا قوم فرعون لأنهم أغرقوا قبل نزولها﴿ يَهْتَدُونَ﴾ لكي يهتدوا إلى المعارف والأحكام﴿ وجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ ﴾ آية حجة على قدرتنا بأن ولدته بغير فحل فهي آية واحدة فيهما، أو ابن مريم آية بكلامه في المهد وامّه آية بولادتها بلا فحل فحذفت الأولى لقرينة الثانية﴿ وأوَيْناهُما إلى رَبْوةٍ﴾ أرض مرتفعة هي أرض بيت المقدس، أو الرّملة، أو دمشق، أو مصر وفتح عاصم وابن عامر الراء وضمّها الباقون﴿ ذاتِ قَرارٍ﴾ استواء يستقر عليها، أو ثمار لأجلها يستقر فيها﴿ ومَعِينٍ ﴾ ماء جار ظاهر للعيون من عنته أعينه أدركته، أو فعيل من معن الماء جرى. عن الصادق (ع): الربوة نجف الكوفة والمعين الفرات، وعنهما (ع): الربوة حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات﴿ يا أيهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ المستلذات المباحات وهو إعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك وحث للسامع على العمل به، وقيل: خطاب لعيسى بلفظ الجميع لشرفه، أو لنبينا (ص)﴿ واعْمَلُوا صالحاً ﴾ ما أمركم به فانه المقصود منكم والنافع لكم﴿ إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم به ﴿ وإِنَّ﴾ أي: ولأن علل به فاتقون، أو واعملوا، أو عطف على (ما) وخففها ابن عامر وكسرها الكوفيون إستئنافاً﴿ هذهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً﴾ أي: ملّة الإسلام ملتكم حال كونها ملة مجتمعة، أو ملل الأنبياء ملتكم متحدة في أصول الشرائع، أو هذه ماعتكم

جماعة متفقة على التوحيد﴿ وأنا ربُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة ﴿ فَتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ جعلوا أمر دينهم أدياناً مختلفة﴿ زُبُراً﴾ قطعاً. جمع (زبور) الذي بمعنى: الفرقة﴿ كُلُّ حِزْبٍ﴾ من المتحزبين﴿ بِما لَدَيْهِمْ﴾ من الدين﴿ فَرِحُونَ﴾ معجبون معتقدون أنهم على الحق. القمي: كل من اختار لنفسه ديناً فهو فرح به ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في جهالتهم. شبّهها بالماء الذي يغمر القامة﴿ حَتَّى حِينٍ﴾ إلى أن يقتلوا، أو يموتوا﴿ أ يَحْسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ ما نعطيهم ونجعله مداداً لهم ﴿ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ﴾ بيان لما﴿ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخيراتِ﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ان ذلك استدراج. في النبوي: ان اللّه يقول: يحزن عبدي المؤمن إذا قتّرت عليه شيئاً من الدنيا ذلك أقرب له منّي ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له منّي، ثم تلا الآية ثم قال: إن ذلك فتنة لهم.﴿ إنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ حذرون من خوف عذابه﴿ والَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ غيره في عبادته.

[سورة المؤمنون الآيات ٦٠ - ٧٤]

وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٍ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ

إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ والَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتوا﴾ يعطون ما أعطوا من الصّدقة وأعمال البرّ كلها. والقمي: من العبادة والطاعة﴿ وقُلُوبُهُمْ وجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به﴿ أَنَّهُمْ إلى ربِّهِمْ راجِعُونَ﴾ لأن مرجعهم إليه، أو من أنّ مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم. سئل الصادق (ع) عن هذه الآية فقال: هي إشفاقهم ورجاؤهم يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله ويرجعون ان

تقبل منهم. وعنه (ع): يعملون ما عملوا من عمل وهم يعلمون أنهم يثابون عليه. ﴿ أولئكَ يُسارِعُونَ فِي الْخيراتِ﴾ يرغبون في الطاعات أشدّ الرغبة فيبادرون بها ﴿ وهُمْ لَها سابِقُونَ﴾ الناس إلى الجنة لأجلها، أو فاعلون السبق. وعن الباقر (ع): هو علي بن أبي طالب (ع) لم يسبقه أحد.﴿ ولا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاّ وسْعَها﴾ دون طاقتها. يريد به: التحريض على ما وصف به الصّالحون وتسهيله على النفوس﴿ ولَدَيْنا كِتابٌ﴾ هو صحيفة الأعمال﴿ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق ولا يوجد فيه ما يخالف الواقع﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة عقاب، أو نقصان ثواب﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفرة﴿ فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة غامرة لها﴿ مِنْ هذا﴾ من الذي وصف به هؤلاء، أو من كتاب الحفظة. والقمي: يعني من القرآن﴿ ولَهُمْ أعْمالٌ﴾ خبيثة﴿ مِنْ دُونِ ذلكَ﴾ سوى ما هم عليه من الشرك﴿ هُمْ لَها عامِلُونَ﴾ معتادون فعلها﴿ حَتَّى إذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ﴾ متنعميهم. والقمي: يعني كبراءهم﴿ بِالْعَذابِ﴾ في الآخرة، أو القتل ببدر، أو الجوع حين دعا عليهم النبي (ص) فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب. ﴿ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون بالإستغاثة﴿ لا تَجْأَرُوا الْيَومَ﴾ أي: قيل: لهم ذلك﴿ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾ لا تمنعون منّا، أو لا يأتيكم نصر من جهتنا﴿ قَدْ كانَتْ آياتي تُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن﴿ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ تدبرون عن سماعها وقبولها كمن رجع القهقرى﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ الهاء للبيت وسوغ إضماره شهرة استكبارهم وافتخارهم بولاياته، أو لنكوصهم، أو للقرآن بتضمين الإستكبار معنى التكذيب أو لأن استكبارهم بسبب سماعه، أو لتعلق الباء بقوله: ﴿ سامِراً﴾ أي: تسمرون بالطعن فيه ونصبه على أنّه مصدر (على) فاعل، أو على الحال لأنه إسم جمع، أو جمع كالحاضر﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ تتركون القرآن، أو تهذون في شأنه من (الهجر) بمعنى: القطيعة، أو الهذيان. وقرأ نافع (تهجرون) من (الاهجار) وهو: الإفحاش﴿ أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي: القرآن ليعلموا

أنه الحقّ من ربهم بإعجاز لفظه و وضوح مدلوله﴿ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الأَولِينَ﴾ من الرّسل. تقرير انه اتى آباءهم رسل كنوح ومن بعده وقد عرفوا مجيئهم ونجاة مصدّقيهم وهلاك مكذّبيهم فما دعاهم ذلك إلى تصديق هذا الرسول﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق وكمال العلم وشرف النسب ﴿ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ بل عرفواكل ذلك فلا وجه لإنكارهم له﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ فلا يبالون بقوله، وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأثبتهم نظراً﴿ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذا أنكروه. ولعلّ تقييد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان إستنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلّة فطنته وعدم فكرته، لا لكراهة الحق﴿ ولَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ ومَنْ فِيهِنَّ﴾ لما استقامت للتمانع كما مرّ في: (لوكان فيهما الهة الا اللّه لفسدتا)، وقيل: لو اتبع اللّه أهواءهم: بأن انزل ما يشتهونه من الشرك لما كان إلها فلا يقدر على إمساك السماوات والأرض﴿ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ بالقرآن الذي هو شرفهم أو وعظهم﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾ أجرا على أداء الرسالة ﴿ فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ فأجره في الدنيا والآخرة خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم. وقرأ ابن عامر فخرج، وعن الباقر (ع): يقول أم تسألهم أجراً فأجر ربك خير.﴿ وهُوَخَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ تقرير لخيريّة خراجه﴿ وإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام والقمي: قال إلى ولاية أمير المؤمنين (ع)﴿ وإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث وما يتبعه﴿ عَنِ الصِّراطِ﴾ المستقيم﴿ لَناكِبُونَ﴾ لعادلون. عن علي (ع): لوشاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا، أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون.

[سورة المؤمنون الآيات ٧٥- ٨٩]

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿ ولَورَحِمْناهُمْ وكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿ لَلَجُّوا﴾ لتمادوا﴿ فِي طُغْيانِهِمْ﴾ إفراطهم في الكفر والإستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين﴿ يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى روي: أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز. فجاء أبو سفيان إلى رسول الله (ص) فقال: أنشدك الله والرحم أ لست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين، قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت:﴿ ولَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ﴾ القمي: هو الجوع والخوف والقتل﴿ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ما خضعوا له ﴿ وما يَتَضَرَّعُونَ﴾ يرغبون إليه في الدعاء بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم. سئل الباقر (ع) عن الآية فقال: الإستكانة: هي الخضوع والتضرّع رفع اليدين. وعن الصادق (ع): الإستكانة: الدعاء، والتضرع: رفع اليدين في الصلاة.﴿ حَتَّى إِذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ في المجمع عنه (ع): وذلك حين دعا النبي (ص) عليهم فقال: اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف (ع) فجاعوا حتى أكلوا العلهز وهو الوبر بالدم. عن الباقر (ع): هو في الرجعة.﴿ إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أغناهم يستعطفك﴿ وهُوالَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ﴾ القلوب لتدركوا الدلائل المسموعة والمبصرة وتتفكروا فيها ووحّد السمع لأنه في الأصل مصدر، أو بتقدير: حواس السمع﴿ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ (ما) مزيدة أي: تشكرونها شكراً قليلاً وشكرها استعمالها فيما خلقت له والإخلاص لخالقها ﴿ وهُوالَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم﴿ فِي الأَرْضِ وإِلَيهِ تُحْشَرُونَ﴾ بالبعث﴿ وهُوالَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ ولَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ مختص به اختلافهما بالظلمة والضياء والطول والقصر، أو تعاقبهما فان ذلك مختص بقدرته تعالى﴿ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ بالنظر والتأمل ان الكل منّا وان قدرتنا تعم كل شيء﴿ بَلْ قالُوا﴾ كفار مكة﴿ مِثْلَ ما قالَ

الأولُونَ﴾ المنكرون للبعث﴿ قالُوا﴾ استبعادا له﴿ أ إذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أ إنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ولم يتفكروا في بدء خلقهم انهم كانوا تراباً فخلقوا﴿ لَقَدْ وعِدْنا نَحْنُ وآباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إلاّ أساطِيرُ الأوليِنَ﴾ أكاذيبهم التي كتبوها. جمع (أسطورة) لأنّه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك. وقيل: (جمع)[1] أسطار جمع سطر﴿ قُلْ لِمَنِ الأرْضُ ومَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك﴿ سَيَقُولُونَ للّه﴾ لأن العقل الصريح اضطرهم بأدنى نظر بأنه خالقها﴿ قُلْ﴾ بعد ما قالوه: ﴿ أ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا ان من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إيجادها ثانياً، وان بدو الخلق ليس بأهون من إعادته﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَماوات السَّبْعِ ورَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فإنها أعظم من ذلك﴿ سَيَقُولُونَ للّه﴾ باللام فيه وفيما بعده على المعنى. وقرأهما أبو عمرو ويعقوب بدونها على اللفظ﴿ قُلْ أ فَلا تَتَّقُونَ﴾ عذابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الملك الذي وكل به. والتاء للمبالغة﴿ وهُوَ يُجِيرُ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه﴿ ولا يُجارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يمنع منه أحد﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأنّى تُسْحَرُونَ﴾ فمن أين تخدعون ويخيل إليكم الحق باطلاً مع وضوحه.

[سورة المؤمنون الآيات ٩٠ - ١٠٤]

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

(١) يظهر ان (جمع) الاولى زائدة وان الجملة هكذا: (وقيل: اسطار جمع سطر).

فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا
نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ
بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ
ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ
قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ
وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور﴿ وإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ حيث أنكروا ذلك﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ ولَدٍ﴾ لتقدّسه عن مماثلة أحد﴿ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ يساهمه في الإلهية﴿ إِذاً﴾ جواب لمن حاجّه، وجزاء شرط مقدّر علم مما قبله أي: لوكان معه آلهة﴿ لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ﴾ منهم ﴿ بِما خَلَقَ﴾ واستبدّ به وامتاز ملكه عن

ملك الآخر﴿ ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ كما هو حال ملوك الدنيا﴿ سُبْحانَ اللَّه عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك﴿ عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾ ما غاب وما حضر. صفة، ورفعه نافع والكوفيون غير حفص خبر محذوف﴿ فَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعظم عن اشراكهم، أو ما يشركون به. وعن الصادق (ع): (الغيب) ما لم يكن و(الشهادة) ما كان﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ إن كان لا بد من أن ترينّي، فأن (ما) و(النون) للتأكيد ﴿ ما يُوعَدُونَ﴾ من النقمة ﴿ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معهم فيها وهو إظهار للعبوديّة والتضرّع ويؤكده تكرير (رب)﴿ وإِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ﴾ وانما نمهلهم لمصلحة وحكمة. قيل: وقع ما وعدهم بعد موته ولم يره. وقيل: أراه وهو قتل بدر﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي﴾ بالخلّة التي﴿ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ وهي الصفح عنها والإحسان في مقابلتها، وهو أبلغ من إدفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل. وعن الصادق (ع): التي هي أحسن التقيّة. وقيل: هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ ﴾ بما يصفونك به، أو بوصفهم إياك بغير صفتك فتجازيهم به﴿ وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾ وساوسهم وأصل الهمز النخس. القمي: ما يقع في قلبك من وسوسة الشياطين.﴿ وأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ويحوموا حولي في شيء من الأحوال﴿ حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ متعلق بـ(يصفون) وما بينهما إعتراض﴿ قالَ﴾ تحسّراً على ما فرّط فيه من الإيمان والطّاعة لما اطلع على الأمر﴿ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا. والجمع للتعظيم﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾ من الإيمان أي: لعلي آتي به واعمل صالحاً فيه وقيل: في تركتي، أو في الدنيا. وسكّن الكوفيّون الياء. عن الصادق (ع): من منع الزكاة سأل الرّجعة عند الموت وهو قوله ربّ... إلخ. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الرّجعة واستبعاد لها﴿ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَقائِلُها﴾ لتسلط الحسرة عليه﴿ ومِنْ وَرائِهِمْ﴾ أمامهم﴿ بَرْزَخٌ إِلى

يَومِ يُبْعَثُونَ﴾ والضمير إمّا لجماعة مخصوصة، أو للناس. ويخصّص بما نطق به القرآن من إحياء عزير والألوف وغيرهم في الدنيا وما تواتر عن أهل البيت (ع): من وقوع رجعتهم. القمي قال: البرزخ أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. وعن السجاد انّه تلا هذه الآية وقال: هو القبر وانّ لهم فيه معيشة ضنكاً والله ان القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.﴿ فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة الصعق، أو نفخة البعث﴿ فَلا أَنسابَ بَيْنَهُمْ يَومَئِذٍ﴾ تنفعهم بالتعاطف والتراحم ويفتخرون بها لدهشتهم بحيث يفر المرء من أخيه وأمّه وأبيه. وعن النبي (ص) كل حسب ونسب منقطع إلا حسبي ونسبي.﴿ ولا يَتَساءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً لإشتغاله بنفسه ولا يناقض قوله تعالى: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)[1] لأن هذا عند النفخة وذاك عند المحاسبة. وعن الصادق (ع): في الآية لا يتقدم أحد يوم القيامة إلا بالأعمال.﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ موزونات عقائده وأعماله. القمي قال: بالأعمال الحسنة.﴿ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمراد﴿ ومَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ قلّل من تلك الأعمال الحسنة﴿ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ضيعوها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها﴿ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾ بدل من (خسروا) أو خبر آخر لـ(أولئك)، أو لمحذوف﴿ تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النّارُ﴾ تضربها فتحرقها﴿ وهُمْ فِيها كالِحُونَ﴾ من شدّة الإحتراق. والكلوح: تقلص الشفتين من الأسنان. القمي: أي: مفتوحي الفم مربّدي الوجوه.

---

(١) سورة الصافات الآية ٢٧.

[سورة المؤمنون الآيات ١٠٥- ١١٨]

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿ أ لَمْ تَكُنْ آياتي تُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ بتقدير: القول﴿ فَكُنْتُمْ بِها﴾ بالآيات من القرآن﴿ تُكَذِّبُونَ قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا﴾ ملكنا سوء عاقبتنا الذي استوجبناه بسوء عملنا. وقرأ الكسائي (شقاوتنا) كضلالتنا﴿ وكُنَّا قَوماً ضالِّينَ﴾ عن الحق ﴿ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها﴾ من النار﴿ فَإِنْ عُدْنا﴾ في الكفر﴿ فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾ قيل: هذا آخر ما يتكلمون به ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء.﴿ قالَ اخْسَؤُا فيها﴾ انزجروا صاغرين، (من خسأت الكلب) زجرته فخسأ. ﴿ ولا تُكَلِّمُونِ﴾ رأساً، أو في رفع العذاب﴿ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن﴿ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادي﴾ قيل: هم أهل الصّفة، أو من الصحابة سلمان وعمّار وصهيب وبلال.﴿ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزواً. وضحه نافع وحمزة والكسائي وهما مصدر (سخر) الحقا ياء النسبة مبالغة. وقيل: المكسور (الهزء) والمضموم (التسخير والإستعباد)﴿ حَتَّى أَنْسَوكُمْ ذِكْرِي﴾ لإشتغالكم بالإستهزاء بهم. ونسب الإنساء إليهم لأنهم سببه﴿ وكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَومَ بِما صَبَرُوا﴾ على أذاكم ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ مخصوصون بالفوز، مفعول ثان، وكسرها حمزة والكسائي استئنافاً﴿ قالَ اللّه﴾ أو الملك المأمور بسؤالهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (قل) أمراً له﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أحياء وأمواتاً في القبور﴿ عَدَدَ سِنِينَ﴾ مميز لفظ (كم)﴿ قالُوا لَبِثْنا يَوماً أَو بَعْضَ يَومٍ﴾ استقلّوا لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو نسوه لعظم الهول فقالوا: لا ندري غير إنّا نستقلّه﴿ فَسْئَلِ الْعادِّينَ﴾ المتمكنين من العدّ فانه ليس من شأننا لما نحن فيه من العذاب، والقمي: سل الملائكة الذين يعدّون علينا الأيام ويكتبون ساعاتنا وأعمالنا التي اكتسبناها فيها﴿ قالَ﴾ وقرأ الكوفيون (قل) ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نسبة لبثكم إلى خلود النّار﴿ أ فَحَسِبْتُمْ

أنّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً﴾ عابثين، أو لأجل العبث﴿ وأنّكُمْ إلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾ وبناه حمزة والكسائي للفاعل، أي: ليس الأمر كما حسبتم بل لنتعبدكم وترجعوا إلينا ونجازيكم بعملكم﴿ فَتعالى اللّهُ﴾ عمّا لا يليق به﴿ الْمَلكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك بالذات ﴿ لا إلهَ إلاّ هُو رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وصف بالكرم لنزول الرّحمة والخير من جهته أو لأنه عرش الكريم ﴿ ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إلهاً آخرَ﴾ يعبده﴿ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة ثانية لـ(إله) لازمة له إذ لا برهان للباطل وتفيد ان ما لا دليل عليه لا يصحّ التدين به ﴿ فَإنّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فيجازيه بقدر ما يستحقّه﴿ إنَّهُ﴾ أي: الشأن﴿ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ لا يظفرون بخير بدأ السورة بتقرير الفلاح للمؤمنين وختمها بنفيه عن الكافرين﴿ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ﴾ للمؤمنين﴿ وارْحَمْ﴾ وأنعم عليهم﴿ وأنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ﴾ المنعمين لأنك المنعم الحقيقي .

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة المؤمنون وتفسيرها.

سورة النّور

اثنتان أو أربع وستون آية مدنية

[الآيات ١ – ١٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا

طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

عن الصادق (ع): حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصّنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لم يزن أحد من أهل بيته أبدا حتى يموت فإذا مات شيّعه إلى قبره سبعون ألف ملك كلهم يدعون ويستغفرون

لله له حتى يدخل في قبره﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ سُورَةٌ﴾ أي: هذه سورة، أو فيما أوحينا إليك سورة﴿ أَنزَلْناها﴾ صفتها﴿ وفَرَضْناها﴾ فرضنا أحكامها التي فيها. وشدّده ابن كثير وابوعمرو مبالغة، أو لكثرة فرائضها﴿ وأنزلْنا فِيها آيات بَيِّنات﴾ ظاهرات الدلالة﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الدال تتعظون بها﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِي﴾ مبتدأ حذف خبره أي: فيما أنزلنا وفرضنا حكمهما، أو الخبر﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ واحد مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وأتى بالفاء لتضمنها معنى الشرط إذ (اللام) موصولة، وقدم الزانية لأن المرأة هيالأصل في الزّنا ولأنه منهن أشنع. والجلد ضرب الجلد وهذا حكم الحرّ المكلّف. القمي: هي ناسخة لقوله: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم)[١] وكانت آية الرّجم نزلت: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة. وعن الصادق (ع): الحرّ والحرّة إذا زنيا جلد كل واحد منهما مائة جلدة، فأما المحصن والمحصنة فعليهما الرجم. وعنه (ع): المحصن الذي يزني وعنده ما يغنيه. وعن الباقر (ع): من كان له فرج يغدو عليه ويروح فهو محصن. وسئل الكاظم (ع): عن الزاني كيف يجلد؟ قال: أشدّ الجلد. قيل: فوق الثياب؟ فقال: لا بل يجرّد. ﴿ ولا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ﴾ رحمة. وفتح الهمزة ابن كثير﴿ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في حكمه فتعطّلوا حدّه وتسامحوا فيه. عن علي (ع): قال في إقامة الحدود﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فان الإيمان يقتضي الجدّ في طاعة اللّه والإجتهاد في إقامة أحكامه﴿ ولْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الباقر (ع): ليشهد ضربهما طائفة من المؤمنين يجمع لهما الناس إذا جلدوا. وعنه (ع): أن اقلّها رجل واحد ونحوه غيره ﴿ الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زانِيَةً أو مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلاَّ زانٍ أو مُشْرِكٌ﴾ قيل: أي:

(١) سورة النساء الآية ١٥.

الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح غالباً والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء غالباً وانما يرغب الإنسان إلى شكله. وقدّم الزاني لأن الرجل هو الأصل في الرغبة والخطبة ولذا لم يقل: والزانية لا تنكح إلا زانياً، للمقابلة﴿ وحُرِّمَ ذلِكَ﴾ أي: صرف الرغبة في الزواني﴿ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نزّهوا عنه لأنه تشبّه بالفسقة وتعرّض للتهمة والطعن في النسب. وعبّر بالتحريم مبالغة في التنزيه، وقيل: النفي بمعنى النهي والحرمة على ظاهرها. قيل: والحكم مخصوص بفقراء المهاجرين، حيث همّوا أن يتزوجوا بغايا موسرات لينفقن عليهم، فاستأذنوا الرسول (ص) فنزلت، أو عام نسخه: (وانكحوا الأيامى منكم) وقيل: هو باقٍ، ويعضده بعض الأخبار. سئل الصادق (ع): عن هذه الآية؟ قال: هنّ نساء مشهورات بالزنا ورجال مشهورون بالزنا شهروا به وعرفوا به والناس اليوم بتلك المنزلة فمن أقيم عليه حدّ الزنا، أو شهر بالزنا لم ينبغ لأحد أن ينكحه حتى يعرف منه التوبة. وعنه (ع): إنما ذلك في الجهر، ثم قال: لو أن إنساناً زنى ثم تاب تزوج حيث شاء. وعن الباقر (ع): نزلت بالمدينة فلم يسمّ اللّه الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة. قال رسول اللّه (ص): لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، فانه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص. ﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يقذفون العفائف بالزنا، وكذا الرجال إجماعاً. وتخصيصهن لخصوص الواقعة. وكسر الكسائي الصّاد﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً ﴾ بلا فرق بين الحر والمملوك عند الأكثر وبعض على التنصيف في المملوك. عن الصادق (ع): في الرّجل يقذف الرجل بالزنا قال: يجلد. هو في كتاب اللّه وسنة نبيّه (ص).﴿ ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً﴾ في شيء قبل الجلد وبعده خلافاً لأبي حنيفة فلا تردّ قبله نظراً إلى ترتيب العطف، ونمنع إفادة الواو له﴿ أَبَداً﴾ ما لم يتب، وقال أبوحنيفة: إلى موته﴿ وأولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ بفعل

الكبيرة ﴿ إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ عن القذف بأن يكذبوا أنفسهم، والإستثناء من الجملتين، وقيل: من الأخيرة.﴿ وأَصْلَحُوا﴾ عملهم﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم عن الصادق (ع): القاذف يجلد ثمانين جلدة ولا تقبلوا له شهادة الا بعد التوبة، أو يكذب نفسه وإن شهد ثلاثة وأبى واحد يجلد الثلاثة ولا تقبل شهادتهم حتى يقول أربعة: رأينا مثل الميل في المكحلة، ومن شهد على نفسه انه زنى لم تقبل شهادته حتى يعيدها أربع مرّات.﴿ والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ﴾ عليه﴿ إلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾ بدل من (شهداء) وقع ذلك لهلال بن اميّة، أو غيره، فنزلت﴿ فَشَهادَةُ أحدِهِمْ﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: تقوم مقام الشهداء في درء حدّ القذف عنه، أو خبر محذوف، أي: فالواجب شهادة أحدهم﴿ أَرْبَعُ شَهاداتٍ﴾ نصب مصدراً ورفع حمزة والكسائي وحفص خبر (شهادة)﴿ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا والشهادة﴿ والْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾ في ذلك، فإذا فعل الرجل ذلك سقط عنه الحدّ وحرمت عليه مؤبداً، ولا يفتقر إلى حكم الحاكم بالفرقة ـ خلافا لأبي حنيفة ـ وانتفى عنه الولد وثبت حدّ الزنا على المرأة لقوله: ﴿ ويَدْرَؤُا﴾ يدفع﴿ عَنْهَا الْعَذابَ﴾ أي: الجلد الذي ترتب على ما سبق﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ﴾ فيما رماها به﴿ والْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك. واختير الغضب هنا تغليظاً عليها لأنها أصل الفجور. وحذف نافع نون (أن لعنت) و(ان غضب) ورفع التاء وكسر الضاد وفتح الباء ورفع هاء الجلالة والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجرّ الهاء﴿ ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ﴾ بالإمهال والستر﴿ وأَنَّ اللَّهَ تَوابٌ﴾ يقبل التوبة﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما يحكم به وحذف جواب (لولا) أي: لعاجلكم بالعقوبة وفضحكم.

[سورة النور الآيات ١١ - ٢٠]

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى

ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿ إِنَّ الَّذينَ جاؤُ بِالأفْك﴾ بأسوأ الكذب وأبلغه الذي قلب فيه الأمر عن وجهه. والمشهور انها نزلت في عائشة. وكان النبي (ص) استصحبها في غزاة بني المصطلق وفي قفوله اذن ليلة بالرحيل فمشت لحاجة ثم عادت إلى الرّحل، فإذا عقدها انقطع فرجعت تلتمسه فحملوا هودجها يحسبونها فيه، فعادت بعد ما ساروا فجلست كي يرجع إليها أحد، وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عندها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتى الجيش، فرميت به. وعن الباقر (ع): ما ملخصه انها نزلت في مارية القبطية لما مات إبراهيم حزن عليه رسول اللّه (ص) فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريح، فبعث (ص) علياً على جريح وكان على نخلة، فلما دنا منه رمى بنفسه فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء.﴿ عُصْبَةٌ﴾ جماعة﴿ مِنكُمْ﴾ قيل: هم ابن أبي ومسطح وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش ومن عضدهم ﴿ لا تَحْسَبُوهُ﴾ أي: الإفك﴿ شَرًّا لَكُمْ﴾ خطاب لجميع من ساءهم ذلك من المؤمنين﴿ بَلْ هُوَخَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن اللّه يثيبكم عليه ويبرئ المقذوف﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الأثْمِ﴾ جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه﴿ والَّذي تَوَلّى كِبْرَهُ﴾ تحمل معظمه﴿ مِنْهُمْ﴾ من الآفكين. قيل: هو ابن أبي بدأ به وأشاعه، أو حسان ومسطح﴿ لَهُ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ في الآخرة، أو في الدنيا بجلدهم وطرد ابن أبي وعمى حسان ومسطح﴿ لَولا هلاّ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ حين سمعتم هذا الإفك ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ظن بعضهم ببعض خيراً. وعدل عن الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإيذاناً باقتضاء الإيمان ظن الخير بالمؤمنين وردّ

الطعن عنهم كردّهم له عن أنفسهم. وفصل (لولا) عن فعله بالظرف اتساعاً تنزيلاً له منزلته لأهميته لوجوب ظن الخير أول ما سمعوا﴿ وقالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كذب بيّن ﴿ لَولا﴾ هلاّ﴿ جاؤُ﴾ أي: العصبة﴿ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ﴾ شاهدوه﴿ فَإِذْ﴾ فحين ﴿ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه﴿ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾ انتهى المقول ﴿ ولَولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾ (لولا) امتناعيّة أي: لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّرين لكم﴿ لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً، أو في الآخرة﴿ فِيما أَفَضْتُمْ﴾ أي: خضتم﴿ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد﴿ إِذْ﴾ ظرف لـ(مسكم) أو أفضتم﴿ تَلَقَّوْنَهُ﴾ بحذف أحدى التاءين﴿ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه﴿ وتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: قولاً لا وجود له إلاّ بالعبارة ولا حقيقة له في الواقع﴿ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾ سهلاً لا تبعة له﴿ وهُوَعِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر واستجرار العذاب، فهذه ثلاثة آثام مترتبة علّق بها من العذاب العظيم﴿ ولَولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ﴾ ما ينبغي وما يصحّ﴿ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ﴾ تعجب ممن يقول ذلك فان الله ينزه عند كل متعجب من أن يصعب عليه. أو تنزيه الله من أن يكون زوجة نبيه فاجرة فإن فجورها ينفر عنه بخلاف كفرها ﴿ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ﴾ لعظمة المبهوت عليه﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ ينهاكم، أو يحرّم عليكم ﴿ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً﴾ ما حييتم﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فان الإيمان يمنع منه وفيه تهييج وتقريع﴿ ويُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم﴿ حَكِيمٌ﴾ في تدبيره لهم﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ﴾ وتفشو﴿ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بأن ينسبوها إليهم﴿ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

فِي الدُّنيا﴾ بالحدّ للقذف﴿ والآخِرَةِ﴾ بالنار﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب فيعاقب على حب الإشاعة﴿ وأنتمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ عن النبي (ص): من أذاع فاحشة كان كمبتديها. وعن الصادق (ع): من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله: (ان الذين...)إلخ.﴿ ولَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ﴾ تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة مع المبالغة فيها بقوله ﴿ وأنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ وحذف الجواب إكتفاء بذكره سابقاً.

[سورة النور الآيات ٢١- ٢٧]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾ أثره. وتسويله: إشاعة الفاحشة. وسكّن الطاء نافع وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة﴿ ومَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ﴾ أي: المتبع، أو الشيطان بتقدير: عائد﴿ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ﴾ أقبح القبيح﴿ والْمُنْكَرِ﴾ شرعاً أوعقلاً﴿ ولَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم لما تصيرون به أزكياء ﴿ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ﴾ ما طهر من دنس الذنوب ﴿ أَبداً ولكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهّر بلطفه﴿ مَنْ يَشاءُ﴾ ممن يعلمه أهلاً للطفه﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم﴿ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم﴿ ولا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف. من (الأَلْيَة)[1] أو لا يقصر من (الألو)[2]﴿ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ أهل الغنى﴿ مِنْكُمْ والسَّعَةِ﴾ في المال﴿ أَنْ يُؤْتُوا﴾ أن لا يؤتوا، أو في أن يؤتوا﴿ أُولِي الْقُرْبى والْمَساكِينَ والْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الجوامع. قيل: نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ولا

---

(١) الأَلْيَة: هي اليمين والقسم.

(٢) الألو: أخذ العهد على النفس بفعل شيء ما. يقال: « آلى على نفسه أن يفعل كذا» أي: اتخذ عهداً.

يواسوهم﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عن النبي (ص): (ولتعفوا ولتصفحوا) بالتاء، وعن الباقر (ع): أولى القربى هم قرابة رسول الله (ص) يقول يعفوا بعضكم عن بعض، ويصفح بعضكم بعضاً فإذا فعلتم كانت رحمة من الله لكم يقول الله: ألا تحبون ... الآية﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفائف﴿ الْغَافِلاتِ﴾ عن الفواحش﴿ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وَعيد عام لكل قاذف، ما لم يتب ﴿ يَوْمَ﴾ ظرف لمتعلق (لهم) أي: استقر﴿ تَشْهَدُ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه وفصل﴿ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بها بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزاءهم المستحق﴿ وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَالْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الثابت البيّن الإلهية، أو العادل الظاهر العدل. وعن الباقر (ع): ليست تشهد الجوارح على مؤمن انما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب﴿ الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء﴿ لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال﴿ وَالْخَبِيثُونَ ﴾ من الرجال﴿ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء﴿ وَالطَّيِّبَاتُ﴾ من النساء لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال ﴿ وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال ﴿ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ من النساء كما في المجمع عنهما (ع) قالا: مثل قوله الزاني لا ينكح زانية أو مشركة إلا أنّ ناساً همّوا أن يتروجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم. وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال والكلم. القمي: يقول الخبيثات من الكلام والعمل للخبيثين من الرجال والنساء يسلمونهم ويصدق عليهم من قال والطيبون من الرجال والنساء للطيبات من الكلام والعمل. وعن الحسن(ع) وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه وقد ألقمهم الحجر[1]: الخبيثات

(١) أي: ألزمهم الحجة في النقاش ولم يترك لهم مجالاً يتكلموا فيه.

للخبيثين والخبيثون للخبيثات، هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، والطيبات للطيبين... إلى آخر الآية هم علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه وشيعته ﴿أولئكَ﴾ يعني الطيبين والطيبات ـ على الأول ـ والطيبين ـ على الأخير ـ ﴿مُبرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ فيهم، أو من يقولوا مثل قولهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ تستأذنوا. من (آنسه) أبصره فان المستأذن مستبصر أي: مستعلم للحال أيراد دخوله أم لا؟ أويؤذن لكم. من (الإنس) خلاف الوحشة فان المستأذن مستوحش خوفاً أن يرد، فان اذن له استأنس، أو تبينوا هل ثَم انسان من الانس ﴿ وتُسَلِّمُوا عَلى أهلها﴾ بأن تقولوا: السلام عليكم، أ أدخل؟ ثلاثاً فان اذن له دخل وإلا رجع ﴿ ذلِكُمْ﴾ أي: الاستئذان ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الدخول فجأة، أو بتحية الجاهلية كان أحدهم إذا دخل بيتاً قال: حييتم صباحاً أو مساءً ودخل، فربما رأى الرجل وزوجته في لحاف ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: انزل عليكم هذا إرادة أن تتعظوا وتعملوا به، سئل النبي (ص) ما الإستئناس؟ فقال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح[1] على أهل البيت. وسئل الصادق (ع) عن الآية؟ فقال: الإستئناس: وقع النعل والتسليم. وعنه (ع): يستأذن الرجل إذا دخل على أبيه ولا يستأذن الأب على الابن، ويستأذن الرجل على ابنته وأخته إذا كانتا متزوجتين. وعنه (ع): إنما الاذن على البيوت ليس على الدار إذن.

---

(١) يصدر صوتاً لينبه أهل الدار بدخوله.

[سورة النور الآيات ٢٨- ٣١]

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً﴾ يأذن لكم﴿ فَلا تَدْخُلُوها﴾ إذ ربما اطلعتم فيها على عورة، أو حال يخفيها الناس عادة، مع انه تصرّف في ملك الغير بغير إذنه وهو حرام﴿ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا من يأذن لكم﴿ وإِنْ قيل لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿ أَزْكى﴾ أطهر﴿ لَكُمْ ﴾ من الإلحاح والوقوف على الباب، أو أنفع لكم ديناً أو دنيا﴿ واللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منكم فيجازيكم به﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالربط[1] والخانات[2] والحوانيت وبيوت التجّار التي فيها أمتعة الناس﴿ فِيها مَتاعٌ﴾ استمتاع ﴿ لَكُمْ﴾ كالاستكان من الحرّ والبرد وأيواء الامتعة والجلوس للمعاملة. وعن الصادق (ع): هي الحمامات والخانات والأرحبة[3] تدخلها بغير إذن﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما تَكْتُمُونَ﴾ في دخولكم من إفساد وغيره﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ﴾ أي: شيئاً منها وهو ما يكون إلى محرّم﴿ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمّن لا تحل لهم﴿ ذلِكَ أَزْكى﴾ أطهر وأنفع ﴿ لَهُمْ﴾ لما فيه من نفي التهمة﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾ بأبصارهم وفروجهم وجميع جوارحهم فليحذروه في كل حال ﴿ وقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ﴾ عمّا لا يحل لهن نظره ﴿ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمّن لا يحل لهن وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا. عن الصادق (ع): كل آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر، فلا يحلّ لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه ولا يحلّ للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها. وعنه (ع): كل

---

(١) الرُبط: جمع (رِباط)الذي هو الجماعة من الناس، والخيل تلزم الثغر مما يلي العدو. ويطلق (الرِباط)ايضاً على ملاجئ الفقراء من الصوفية

(٢) أي: الفنادق، كما نسميها في هذه الأيام.

(٣) الرحبة: الأرض الواسعة. أو الدار الواسعة. وهي تجمع على (رَحَب أو رِحاب)ولم نجدها مجموعة على (أرحبة).

شيء في القرآن من حفظ الفرج فهومن الزنا الا في هذه الآية فإنها من النظر ﴿ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحليّ والثياب والأصباغ فضلاً عن مواقعها لمن يحرم إبداؤها له﴿ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها﴾ كالثياب. وقيل: أريد بـ(الزينة): مواقعها والمستثنى هو: الوجه والكفان. وعن الصادق (ع): الزينة الظاهرة الكحل والخاتم. وفي رواية الخاتم والمسكة وهي: القلب. أقول: القلب ـ بالضمّ ـ السوار. وعنهم (ع): الكفّان والأصابع، وعن الباقر (ع): هي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار، والزينة ثلاث: زينة للناس، وزينة للمحرم، وزينة للزوج، فأما زينة الناس فقد ذكرناها، وأما زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها والدّملج[1] وما دونه والخلخال وما أسفل منه، واما زينة الزوج فالجسد كله. وعن النبي (ص) قال: للزوج ما تحت الدرع، وللإبن والأخ ما فوق الدرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب، درع وخمار وجلباب وأزار. وسئل الصادق (ع): ما يحل للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرماً، قال الوجهان والكفان والقدمان. وعنه (ع): لا بأس بالنظر إلى رؤوس أهل تهامة والأعراب وأهل السواد والعلوج[2] لأنهم إذا نهوا لا ينتهون، قال والمجنونة والمغلوب على عقلها، ولا بأس بالنظر إلى شعرها وجسدها ما لم يتعمّد ذلك. وعنه (ع): قال رسول الله (ص): لا حرمة لنساء أهل الذّمة أن ينظر إلى شعورهن وأيديهن ﴿ ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ﴾ لستر نحورهن وصدورهن، وضمّ الجيم نافع وعاصم وابو بكر وهشام﴿ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفيّة وكرّر تأكيداً والاستثناء من محل الإبداء له بقوله: ﴿ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ فإنهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا

---

(١) المقصود بـ(الدملج) هو المعضد الذي تلبسه النساء للحلي.

(٢) العُلُوج: جمع (عِلْج)وهو يطلق على كل جاف وشديد من الرجال.

إلى جميع جسدهن﴿ أوآبائِهِنَّ أوآباءِ بُعُولَتِهِنَّ أوأَبْنائِهِنَّ أوأَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أوإِخْوانِهِنَّ أوبَنِي إِخْوانِهِنَّ أوبَنِي أَخَواتِهِنَّ﴾ نسباً ورضاعاً لاحتياجهن إلى مخالطتهم، ولبعدهم عن وقوع الفتنة لنفرة الطباع عن مماسّة القرائب، ولهم النظر إلى ما يبدو منهن عند المهنة. والخدمة وانما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الآباء أو الأخوان، أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً أن يصفوهن لأبنائهم. ويدخل أجداد البعولة فيه وإن علوا[١] وأحفادهم وإن سفلوا[٢]، يجوز ابتداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمّد النظر من غير تلذذ. وسئل الصادق (ع): عن الذراعين من المرأة هما من الزينة التي قال اللّه: (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن) قال: نعم وما دون الخمار من الزينة وما دون السوارين ﴿ أونسائِهِنَّ المؤمنات فلا يحل لها أن تتجرد لكافرة، وهو معنى قوله﴿ أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾ أي: من الإماء فلا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته. وقيل: معناه العبيد والإماء، رواه في المجمع عن الصادق (ع) وقيل: الإماء والمملوك الذي لم يبلغ مبالغ الرجال. وعن الصادق (ع): لا بأس ان يرى المملوك الشعر والساق، وفي رواية: شعر مولاته وساقها، وفي أخرى: لا بأس أن ينظر إلى شعرها إذا كان مأموناً. وعنه (ع): لا يحل للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها﴿ أوالتَّابِعينَ غَيْرِ أولِي الإرْبَةِ﴾ أولي الحاجة إلى النساء ﴿ مِنَ الرِّجالِ﴾ وهم البُلّه الذين لا يعرفون أمورهن، وقيل: الشيوخ الصلحاء، أو أهل العنّة[٣] ونصب ابن عامر وابو بكر غير حالاً. والقمي: هو الشيخ

---

(١) مصطلح فقهي المقصود منه: (الآباء وآبائهم وآباء آبائهم ...وهلم جراً.

(٢) كذلك يراد به: الأبناء وأبنائهم وأبناء ابنائهم ...وهكذا.

(٣) العُنّة : هي عجز الرجل عن مجامعة المرأة لمرضٍ يصيبه.

الفاني الذي لا حاجة له إلى النساء. وعن الباقر (ع): هو الأحمق الذي لا يأتي النساء. وفي آخر: الأبله المولّى عليه. سئل الكاظم (ع) عن الرجل يكون له الخصي يدخل على نسائه فينا ولهن الوضوء فيرى شعورهن؟ قال: لا﴿ أو الطِّفْلِ﴾ جنس أريد به الجمع أي: الأطفال﴿ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوراتِ النِّساءِ﴾ أي: لم يعرفوها لعدم شهوتهم﴿ ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وفي النهي عن إظهار صوت الزينة بعد النهي عن إظهارها مبالغة على مبالغة في النهي عن إظهار مواقعها﴿ وتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أيهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ من تقصير لا يكاد أحدكم يخلو منه، أو مما فعلتموه في الجاهلية إذ تجديد التوبة كلما ذكر الذنب واجب، أو راجح، وغلب المذكر، وقرأ ابن عامر (أيه) بضم الهاء ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تسعدون في الدارين.

[سورة النور الآيات ٣٢ - ٣٦]

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن

يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

﴿ وأنكحُوا ألأيامى منكُمْ﴾ مقلوب (أيايم) جمع (أيم) وهو: العزب ذكراً كان أو أنثى، بكراً أو ثيباً. أمر للأولياء بتزويج الأيامى الحرائر والأحرار بعضهم من بعض، وللسادة بتزويج عبيدهم وإمائهم بقوله: ﴿ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وإمائِكُمْ﴾ وتذكير (الصالحين) للتغليب وتخصيصهم لأهمية الإهتمام بهم وتحصين دينهم، وقيل: أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح. و(عباد) جمع (عبد) والأمر للندب وقد يجب إذا طلبته المرأة وخيف الوقوع في الزنا﴿ إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾ وعد منه تعالى بإغناء مَن تزوج﴿ واللَّهُ واسِعٌ﴾ إفضاله﴿ عَلِيمٌ﴾ بما تقتضيه الحكمة من بسط الرزق وتقديره فيفعله. عن النبي (ص): من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء ظنّه

بالله، ان الله يقول: (ان يكونوا فقراء...) إلخ. وعنه (ص) أنه جاء رجل إليه فشكا إليه الحاجة فقال: تزوج، فتزوج فوسّع عليه﴿ وليَسْتَعْفِفِ﴾ وليجهد في العفّة﴿ الَّذينَ لا يَجِدُونَ نكاحاً﴾ أسبابه، أو ما ينكح به من المال﴿ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾ فيتمكنوا من النكاح. في النبوي: يا معشر الشبان من استطاع منكم البائة[1] فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء[2]، وقيل: الآية الأولى وردت للنهي عن رد المؤمن وترك تزويج المؤمنة، والثانية لأمر الفقير بالصبر على ترك النكاح حذراً من تبعة حالة الزّواج، فلا تناقض. وقيل: بل الأولى على عموم النهي عن تركه مخافة الفقر اللاحق كما دلّ عليه حديث مخافة العيلة، وحمل الثانية على الأمر بالاستعفاف للفقر الحاضر المانع خاصّة. وعن الصادق (ع) في الآية الثانية قال: يتزوجون حتّى يغنيهم الله من فضله﴿ والَّذينَ يَبْتَغُونَ الْكتابَ﴾ المكاتبة وهي قول السيد لمملوكه كاتبتك على كذا ومعناه: كتبت على نفسي إعتاقك وكتبت عليك الوفاء بالمال﴿ ممَّا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾ من عبد أو أمة﴿ فَكاتِبُوهُمْ﴾ خبر (الذين) والفاء لمعنى الشرط، أو مفسّر لمضمر ينصبه، والأمر للندب، والقول بالوجوب شاذّ ﴿ إنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خيراً﴾ إصلاحاً، أو أمانة وقدرة على أداء المال بالتكسب. وعن الصادق (ع): ان علمتم لهم مالاً. وفي آخر: ديناً ومالاً. وعنه (ع): الخير: أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص) ويكون بيده عمل يكتسب به، أو يكون له حرفة.﴿ وآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذي آتاكُمْ﴾ أمر للسادة بإعطائهم شيئاً من أموالهم ومثله حط شيء مما التزموه، والمشهور وجوبه فقيل: يقدّر بالربع، وقيل: بالثلث،

---

(١) تعبير يراد به: الوقوع تحت تأثير الضغط الجنسي الشديد.

(٢) يقال للفحل اذا رضت انثياه: «وجيئ وجاء» واستعير هنا للصوم. أي أن الصوم يقطع النكاح ويصرف عنه.

وقيل: يجزي أقل ما يتمول به، وقيل: ان كان على السيد زكاة وجب وإلا استحبّ، وقيل: أمر لعامّة المسلمين بإعطائهم سهمهم من الزكاة ويحلّ للسيد مع غناه لأنه كالمشتري. وعن الصادق (ع): تضع من نجومه التي لم تكن تريد أن تنقصه ولا تزيد فوق ما في نفسك فقيل: كم؟ فقال: وضع أبوجعفر (ع) عن مملوك الفاً من ستة آلاف.﴿ ولا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿ عَلَى الْبِغاءِ﴾ الزنا﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾ تعففاً وتزويجاً شرط للإكراه فانه لا يوجد بدونه فان لم ترد المرأة التحصّن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط، وان جعل شرطاً للنهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي بارتفاع المنهي عنه، على أن المفهوم انما يعتبر إذا لم يكن للتقييد وجه سواه والوجه هنا سبب النزول وهو أنه كان لإبن أُبيّ جوار يكرههن على الزنا ويضرب عليهن ضرائب، فشكا بعضهن إلى النبي (ص)، فنزلت ﴿ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا ومَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهن، وقريء(من بعد اكراههنّ لهنّ) ونسب إلى الصادق (ع). القمي:أي: لا يؤاخذهنّ الله بذلك إذا أكرهن عليه وعن الباقر (ع): هذه الآية منسوخة نسختها: (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)[1]﴿ ولَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آيات مُبَيِّنات﴾ هي المبينة في الحدود والأحكام في السورة. وكسرها ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي في الموضعين أي: بيّنت هي الحدود والأحكام، أو من (بيّن) بمعنى: تبيّن﴿ ومَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وقصة عجيبة من جنس قصصهم، وهي قصّة عائشة، أو شبهاً من حالهم بحالكم لتعتبروا﴿ ومَوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصوا بها لأنهم المنتفعون بها، وقيل: الآيات القرآن﴿ اللَّهُ نُورُ السَماوات والأَرْضِ﴾ الظاهر بنفسه

---

(١) سورة النساء الآية ٢٥.

المظهر لهما بما فيهما، لأن النور الظاهر بنفسه المظهر لغيره، أو بحذف مضاف أي: ذو نورهما، أو على تجوز بمعنى: منورهما بالنيرات،[١] أو بالملائكة والأنبياء، أو مدبرهما كما يقال للرئيس المدبر: نور القوم لاهتدائهم به، أو هادي أهلهما، وأضيف إليهما لاستضاءة أهلهما به، أو إيذاناً بسعة إضاءته. وعن الرضا (ع): هادٍ لأهل السَماوات وهادٍ لأهل الأرض. وفي رواية: هدى مَن في السَماوات وهدى من في الأرض.﴿ مَثَلُ نُوره﴾ صفته العجيبة. وإضافته إلى ضميره تعالى تقتضي التأويل في حمله عليه﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ هي كوة غير نافذة﴿ فيها مِصْباحٌ﴾ سراج وقيل: المشكاة: أنبوبة القنديل. والمصباح: الفتيلة المتقدة﴿ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ﴾ في قنديل زجاج ﴿ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضيء كالزهرة في تلألؤه منسوب إلى (الدر) أو فعيل كبريق من الدرء لدفعه الظلام. قلبت همزته ياء وقرأ بها حمزة وأبو بكر على الأصل وكذا أبو عمرو والكسائي لكن بكسر الدّال كسكّيت﴿ تُوقَدُ﴾ بفتح الجميع مشدداً قرأه ابن كثير وابو عمرو وبناه حمزة والكسائي وابو بكر للمفعول، مضارع (أوقد) وكذا الباقون لكن بالياء﴿ مِنْ﴾ ابتداء توقده﴿ من شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع﴿ زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من شجرة﴿ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: لا تصيبها الشمس بشروقها أو غروبها فقط بل تصيبها كل النهار فان زيتها أصفى، أو منبتها الشام وسط العمارة لا شرقها ولا غربها فزيتونه أجود أولاً في مضحى الشمس دائماً فتحرقها، أو في مقناة لأن تصيبها فلا تنضج﴿ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَولَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾ لفرط صفائه﴿ نُورٌ عَلى نُورٍ﴾ نور متضاعف حيث انضم إلى نور المصباح صفاء الزيت والزجاجة وجمع المشكاة للنور، واختلف في هذا التمثيل فقيل: المشكاة: صدر

---

(١) وهي القمر والنجوم اللامعة في الليل والشمس في النهار.

محمد (ص)، والزجاجة: قلبه، والمصباح: النبوة، والشجرة المباركة: شجرة النبوة وهي ابراهيم (ع)، لا شرقية ولا غربية: لا نصرانية قبلتها المشرق ولا يهودية قبلتها المغرب، تكاد محاسن محمد (ص) تظهر قبل أن يوحى إليه. وقيل: المشكاة: عبد المطلب، والزجاجة: عبد الله، والمصباح: محمد (ص) لا شرقية ولا غربية بل مكيّة لأن مكة وسط الدنيا. وعن الصادق (ع): هو مثل ضربه الله لنا. وعنه (ع): (الله نور السموات والأرض) قال: كذلك الله عزّ وجلّ مثل نوره قال: محمد (ص) (كمشكاة) قال: صدر محمد (ص) (فيها مصباح): قال فيه نور العلم يعني النبوة (المصباح في زجاجة) قال: علم رسول الله (ص) صدر إلى قلب علي (ع) (الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال: ذاك أمير المؤمنين (ع) لا يهودي ولا نصراني (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد (ص) من قبل أن ينطق به (نور على نور) قال: الإمام في أثر الإمام. وعن الرضا (ع): نحن المشكاة فيها المصباح محمد (ص) يهدي الله لولايتنا من أحبّ. وقيل: المصباح: القرآن، والزجاجة: قلب المؤمن، والمشكاة: فيه، والشجرة: الوحي تكاد حجج القرآن تتضح وان لم يقرأ، نور تزداد به سائر الحجج نوراً على نور. وقيل: المشكاة: صدر المؤمن، والزجاجة: قلبه، والمصباح: فيه الإيمان والشجرة: الإخلاص، فهي حظيرة كشجرة التفّ بها الشجر فلا تصيبها الشمس من شرق ولا غرب (نور على نور) كلامه نور وعمله نور، ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى نور يوم القيامة. ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِه﴾ يوفق لدينه بلطفه ﴿ مَنْ يَشاءُ﴾ ممن يعلمه أهلا للّطف ﴿ ويَضْرِبُ اللَّهُ الأمْثالَ لِلنَّاسِ﴾ تنبيهاً لهم تقريراً[1] إلى أفهامهم

(١) لعلها: « تقريباً الى أفهامهم » اذ ان الأمثال انما تضرب لتقريب الفكرة إلى الذهن.

﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيضع الأشياء مواضعها﴿ فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بقوله (مشكاة) أو بـ(توقد) مبالغة في عظم الممثل به إذ قناديل المساجد أعظم، أو بـ(يسبّح) الآتي وتكرير فيها للتأكيد ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أمر بتعظيمها، أو بناها﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يتلى فيها كتابه، أو عام في كل ذكر﴿ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ يصلّي له، أو ينزهه ﴿ فِيها بِالْغُدُوِّ﴾ مصدرأريد به الوقت أي: الغدوات﴿ والآصالِ﴾ العشايا من بعد الزوال جمع (أصيل).

[سورة النور الآيات ٣٧ - ٤٣]

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

﴿ رِجالٌ﴾ فاعل (يسبح) بالكسر، وفتحه ابن عامر وعاصم مسنداً إلى أحد الظروف الثلاثة، و(رجال) فاعل بمقدّر دلّ عليه﴿ لا تُلْهِيهِمْ﴾ لا تشغلهم﴿ تجارةٌ ولا بَيْعٌ﴾ خصّ بعد التجارة ـ الشاملة له وللشراء ـ لأنه أدخل في الإلهاء، لأن الربح فيه يقين وفي الشراء مظنون، أو أريد بالتجارة تسمية للنوع بإسم الجنس﴿ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وأيتاءِ الزَّكاةِ﴾ المفروضة أو إخلاص الطاعة له. عن الباقر (ع): هي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى، وعنه (ع): هي بيوتات الأنبياء وبيت علي (ع) منها. وعن الصادق (ع): قال كانوا أصحاب تجارة فإذا حضرت الصّلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممن لا يتّجر﴿ يَخافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلوبُ والأبصارُ﴾ تضطرب من الهول، أو تتغير أحوالها فتتيقن القلوب بعد الشك وتبصر الأبصار بعد العمى وهو يوم القيامة﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ﴾ متعلق بـ(يسبّح)﴿ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا﴾ أحسن جزائه﴿ ويَزِيدَهُمْ﴾ على ذلك ﴿ مِنْ فَضْلِه واللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ تفضلاً إذ الثواب له حساب لأنه بحسب الاستحقاق بخلاف التفضل﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا أعْمالُهُمْ﴾ التي يحسبونها طاعة نافعة عند الله ﴿ كَسَرابٍ﴾ وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس في الظهيرة كماء يسرب أي:

يجري﴿ بِقِيعَةٍ﴾ بمعنى قاع، أو جمعه وهو: الأرض المستوية﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً﴾ أي: العطشان وخصّ ليشبّه الكافر به في خيبته عند شدّة حاجته﴿ حَتَّى إِذا جاءَهُ ﴾ جاء ما حسبه ماءً﴿ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ مما حسبه﴿ ووجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ محاسباً إياه، أو وجد زبانيته، أو جزاءه﴿ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ﴾ فأتم له جزاءه﴿ واللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب، أو يحاسب الكل في حالة واحدة. قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة التمس الدين في الجاهليّة وكفر في الإسلام﴿ أو﴾ أعمالهم في خلّوها عن نور الحق ﴿ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ عميق، منسوب إلى اللج وهو معظم الماء﴿ يَغْشاهُ﴾ يغشى البحر﴿ مَوجٌ مِنْ فَوقِهِ﴾ أي: الموج﴿ مَوجٌ مِنْ فَوقِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿ سَحابٌ﴾ حجب نور الكواكب ظلمات أي: هذه ﴿ ظُلُماتٌ﴾ متراكمة﴿ بَعْضُها فَوقَ بَعْضٍ﴾ وجرّ ابن كثير (ظلمات) بدلاً من الأولى﴿ إِذا أَخْرَجَ﴾ أي: الواقع فيها ﴿ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ لم يقرب أن يراها﴿ ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً﴾ لطفاً وتوفيقاً ﴿ فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ فهو في ظلمة الباطل﴿ أَ لَمْ تَرَ﴾ الم تعلم بالوحي، أو النظر ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَماوات والأَرْضِ﴾ ينزهه عمّا لا يليق به بدلالة المقال أو الحال. و(من) لتغليب العقلاء﴿ والطَّيْرُ﴾ تخصيصها لما فيها من الحجة الواضحة كما يؤذن﴿ صافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن في الهواء فان ذلك يدل على كمال قدرة خالقهن﴿ كُلٌّ﴾ مما ذكر، أو من الطير﴿ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ﴾ أي: علم اللّه دعاءه وتنزيهه، أو علم كل بجواز ان يلهم اللّه الطير دعاء وتسبيحاً كما ألهمها علوماً تخفى على العقلاء﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ﴾ غلب العقلاء﴿ ولِلَّهِ مُلْكُ السَماوات والأَرْضِ﴾ على الحقيقة لا يشاركه فيها غيره﴿ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع﴿ أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً﴾ يسوقه برفق﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بين قطعه بضم بعضها إلى بعض. وترك ورش همز يؤلف﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ متراكماً بعضه على بعض﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ﴾

المطر﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ من مخارجه. جمع (خلل) كـ(جبال) لـ(جبل)﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ﴾ من السّحاب، وكل مضل سماء﴿ مِنْ جِبالٍ فِيها﴾ في السماء وأريد بالجبال الكثرة كقولك لفلان جبال من ذهب﴿ مِنْ بَرَدٍ﴾ بيان للجبال والأوليان للابتداء والمفعول محذوف أي: ينزل مبتدأ من السماء من جبال من برد برداً، أو الثانية للتبعيض فالمفعول من جبال، وقيل: أريد بالسماء المظلّة وفيها جبال بردكما في الأرض جبال حجر﴿ فَيُصِيبُ بِهِ﴾ بالبرد﴿ مَنْ يَشاءُ﴾ في نفسه، أو ماله﴿ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ فهو يقبض ويبسط بمقتضى حكمته﴿ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ﴾ ضوء برق السحاب﴿ يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ﴾ لشدّة لمعانه. في النبوي: ان اللّه جعل السحاب غرابيل للمطر هي تذيب البرد ماء لكيلا يضرّ به شيئاً يصيبه والذين ترون فيه من البرد في الصواعق نقمة من اللّه يصيب بها من يشاء، وعن الباقر (ع) ـ في تقسيم الرياح ـ:ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض ورياح تعصر السحاب فتمطره بإذن اللّه ورياح تفرّق السحاب.

[سورة النور الآيات ٤٤ – ٥٣]

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا

ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ﴾ يعاقب بينهما، أو يدخل أحدهما في الآخر، أو ما يعمّ ذلك وتغيير أحوالهما بالحرّ والظلمة وضدّهما﴿ إِنَّ فِي ذلكَ ﴾ المذكور﴿ لَعِبْرَةً ﴾ دلالة﴿ لأولِي ألأبصارِ﴾ على توحيد الصانع وقدرته وعلمه وحكمته﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّة﴾ حيوان يدبّ على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي (خالق كل) بالإضافة ﴿ مِنْ ماءٍ﴾ القمي: من مني، وقيل: من الماء الذي جزء مادّته إذ من الحيوانات ما يتولّد لا عن نطفة﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلى بَطْنه﴾ كالحيّة. وسمّى الزحف (مشياً) استعارة، أو للمشاكلة﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطير﴿ ومِنْهُمْ مَنْ

يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ﴾ كالنعم والوحش، ولم يذكر ماله أكثر من أربع لندرته، أو دخوله في ذي الأربع لإعتماده على أربع. وتذكير الضمير ولفظ (من) لتغليب العقلاء، والترتيب لتقديم الأغرب، وعن الباقر والصادق (ع): ومنهم من على أكثر من ذلك ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بمقتضى مشيته﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ فيخلق ما يشاء﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل هي القرآن﴿ واللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبّر في معانيها﴿ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾ الموصل إلى الحق المؤدي إلى الجنة﴿ ويَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وبِالرَّسُولِ﴾ قيل: اشترى عثمان من علي (ع) أرضاً فخرج منها أحجار، فأراد ردّها بالعيب فلم يأخذها ودعاه إلى النبي (ص) فقال الحكم بن العاص: إن حاكمته إلى ابن عمّه حكم له فلا تحاكمه إليه، فنزلت. وقيل: في بِشْر المنافق خاصم يهودياً فدعاه إلى النبي (ص) وبشر يدعوه إلى كعب بن الأشرف﴿ وأَطَعْنا﴾ لهما﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَريقٌ مِنْهُمْ﴾ يعرض عن قبول حكمه﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ القول منهم﴿ وما أُولئِكَ﴾ القائلون كلهم، أو الفريق منهم﴿ بِالْمُؤْمِنينَ﴾ المعهودين المواطئة قلوبهم لألسنتهم﴿ وإِذا دُعُوا إلى اللَّهِ ورَسُولِه﴾ أي: إلى رسول اللّه (ص) وذكر اللّه تفخيماً وإيذاناً بأن حكمه حكم اللّه﴿ لِيَحْكُمَ﴾ أي: الرسول ﴿ بَيْنَهُمْ إِذا فَريقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الإتيان إليه إذا كان الحق عليهم ﴿ وإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إليه مُذْعِنينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم، وإلى صلة يأتوا، أو مذعنين وقدم للإختصاص﴿ أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كفر﴿ أَمِ ارْتابُوا﴾ في نبوته﴿ أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ورَسُولُهُ﴾ في الحكم ﴿ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يخافون حيفه وانما الظلم صفتهم ولا يستطيعونه بحضرته (ص) ولذا يأبون المحاكمة إليه﴿ إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنينَ﴾ بالنصب، وعن

علي (ع): رفعه ﴿ إِذا دُعُوا إلى اللهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وأطَعْنا وأولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ عقب الإنكار على المنافقين بذكر سيرة المؤمنين على عادته تعالى ليقتدى بهم وعن الباقر (ع): إن المعنيّ بها علي (ع) ﴿ ومَنْ يُطعِ اللّهَ ورَسُولَهُ﴾ فيما أمراه به ونهياه عنه﴿ ويَخْشَ اللّهَ﴾ لسالف ذنوبه﴿ ويَتَّقْه﴾ فيما يستقبل. وسكن ابو بكر وابو عمرو الهاء وكسرها قالون باختلاس وسكن حفص القاف وكسرها الباقون﴿ فَأولئكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ في الجنّة ﴿ وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ﴾ غايتها. مصدر بمعنى الحال أي: جاهدينها﴿ لَئِنْ أمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج من ديارهم وأموالهم ﴿ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا﴾ كاذبين﴿ طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ لا نفاق فيها أولى بكم من أيمانكم الكاذبة، أو المطلوب منكم طاعة معروفة لا نفاقيّة، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها نفاقية﴿ إنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾ فيعلم ما تضمرون.

[سورة النور الآيات ٥٤ – ٥٨]

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بحكاية خطابه تعالى لهم لمزيد التبكيت ﴿فَإِنْ تَوَلَّوا﴾ تتولوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّما عَلَيْهِ﴾ على الرسول ﴿ما حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الرشد ﴿وما عَلَى الرَّسُولِ إلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ الواضح لما كلّفتم وقد أدّى وانما بقي ما حملتم فان أدّيتم فلكم، وان توليتم فعليكم عن الصادق (ع): في وصفه (ص) وادّى ما حمّل من أثقال النبوة ﴿وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ (من) للبيان، أو التبعيض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يجعلهم خلفاء بعد النبي (ص) متصرّفين فيها وهو جواب الوعد لأنه كالقسم في تحققه، أو بتقدير: وأقسم ليستخلفنهم ﴿كَمَا

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني وصاة الأنبياء بعدهم، وبناه أبو بكر للمفعول ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الإسلام﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ وخففه ابن كثير وابو بكر﴿ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من أعدائهم، أو عذاب الآخرة﴿ أَمْناً﴾ منهم، أو منه﴿ يَعْبُدُونَنِي﴾ حال من الذين، أو استئناف للتعليل﴿ لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ حال من الواو﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ بهذه النعم ﴿ بَعْدَ ذلِكَ﴾ الوعد الصادق﴿ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ الخارجون إلى أقبح الكفر، قيل: الآية في أصحاب النبي (ص) وقيل: في أمّته. وعن الصادق (ع): هم الائمة (ع). وعن الباقر(ع): هي لوليّ الأمر بعد محمد (ص) خاصة، يقول: استخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتى يبعث النبي الذي يليه. وعنهم (ع): انها في المهدي (عج) من آل محمد (ص). وعن السجّاد (ع): هم واللّه شيعتنا أهل البيت يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمّة﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ عطف على (أطيعوا) وان طال الفاصل﴿ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ كررت طاعته تأكيداً﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رجاء للرحمة﴿ لا تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد (ص)﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ﴿ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ مفعول ثان، وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء فمفعولاه ﴿ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: لا يحسبن الكفار أحداً معجزاً لنا في الأرض، وفاعله ضمير الرسول، أو لا يحسبن أنفسهم معجزين فحذف المفعول الأول لأنه هو الفاعل﴿ وَمَأْواهُمُ النَّارُ﴾ عطف على معناه كأنه قيل: الكفار لا يفوتوننا ومأواهم النار﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾ قد سبق الأمر بالإستئذان العام وهذا استئذان. وعن الصادق (ع): هي خاصّة في الرجال دون النساء، قيل: فالنساء يستأذنّ في هذه الثلاث ساعات؟ قال: لا ولكن يدخلن ويخرجن. وفي آخر: هم المملوكون من الرجال والنساء والصبيان الذين لم

يبلغوا﴿ والَّذينَ لَمْ يَبْلُغوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار يعم الذكور والإناث، ويحتمل اشتراط التمييز كما يفهم من أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء والأمر بالنسبة إلى البالغين للوجوب وإلى الصبيان للتمرين فيكون لمطلق الرجحان. وقيل: للوجوب مطلقاً. وعن الصادق (ع) قال: من أنفسكم قال عليهم استئذان كاستئذان من قد بلغ في هذه الثلاث ساعات﴿ ثَلاثَ مَرَّاتٍ﴾ يعني: في اليوم والليلة﴿ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وتبديل لبس الليل بلبس النهار﴿ وحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ﴾ للقيلولة﴿ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ بيان للحين أي: وقت الظهر﴿ ومِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباس والإلتحاف باللحاف﴿ ثَلاثُ عَوراتٍ لَكُمْ﴾ خبر محذوف بتقدير مضاف أي: هذه أوقات ثلاث عورات، أو بدونه تسمية لهذه الأحوال عورات لاختلال الستر فيها والعورة الخلل ونصبها ابو بكر وحمزة والكسائي بدلاً من ثلاث مرّات﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ ولا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿ جُناحٌ﴾ في أن لا يستأذنوا﴿ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات. عن الصادق (ع): ويدخل مملوككم وغلمانكم من بعد هذه الثلاث عورات بغير إذن إن شاؤوا﴿ طَوافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوافون استئناف لبيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة﴿ بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿ عَلى بَعْضٍ﴾ هؤلاء للخدمة وأولاء للإستخدام، فان الخادم إذا غاب احتيج إلى الطلب وكذا الأطفال للتربية﴿ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: الأحكام﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم. عن الصادق (ع): ليستأذن الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات كما أمركم الله، قال: ومن بلغ الحلم منكم فلا يلج[1] على أمّه ولا على

---

(١) أي: يدخل.

أخته ولا على خالته ولا على من سوى ذلك إلا بإذن، ولا تأذنوا حتى يسلّم فان السلام طاعة للّه. وقال: يستأذن عليك خادمك إذا بلغ الحلم في ثلاث عورات إذا دخل في شيء منهن ولوكان بيته في بيتك، قال: وليستأذن عليك بعد العشاء التي تسمّى العتمة، وحين تصبح وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، إنما أمر اللّه بذلك للخلوة فإنها ساعة غرّة والخلوة[1].

[سورة النور الآيات ٥٩ - ٦١]

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

---

(١) الغِرة ـ بالكسر ـ: ساعة الاستراحة. والظاهر زيادة (ال) في (الخلوة). وأصل العبارة: (فانها ساعة غرة وخلوة).

خَلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿ وإذا بَلَغَ الأطْفالُ منْكُمُ﴾ أيها الأحرار﴿ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأذِنُوا﴾ أي: في جميع الأوقات﴿ كَمَا اسْتَأذَنَ الَّذينَ منْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار، وانما خوطب به الأحرار لأن بلوغ الأحرار يوجب رفع الحكم المذكور في تخصيص الاستئذان بالأوقات الثلاثة بخلاف بلوغ المماليك فان الحكم باقٍ معه في التخصيص للإحتياج إلى الخدمة والإستخدام وقد مرّ ما يدل عليه من النص﴿ كَذلكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياته واللّهُ عَليمٌ حَكِيمٌ﴾ كرّر تأكيداً ﴿ والْقَواعدُ منَ النِّساءِ﴾ المسنات اللاتي قعدن عن الحيض والولد﴿ اللاتّي لا يَرْجُونَ نِكاحاً﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ﴾ الظاهرة كالملحفة والرّداء، واتى بـ(الفاء) لان لام (القواعد) بمعنى: اللاتي. وعن الباقر والصادق (ع): يضعن من ثيابهن قال: نزلت في العجائز اللاتي يئسن من المحيض والترويج أن يضعن الثياب. وعن الصادق (ع): الجلباب والخمار إذا كانت المرأة مسنّة﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجات بِزِينَة﴾ غير مظهرات زينة مما أمرن باخفائه في قوله تعالى:﴿ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها ﴾ كما عن الصادق (ع) قال: والزينة التي يبدين لهنّ شيء في الآية الأخرى. أقول: هو الوجه والكفّان والقدمان ـ كما مرّ ـ وما سوى ذلك داخل في النهي عن التبرّج بها. وأصل التبرّج: التكلّف في إظهار ما

يخفى﴿ وأنْ يَسْتَعْففْنَ﴾ عن الوضع﴿ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ منه ﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال﴿ لَيْسَ عَلَى الأعْمى حَرَجٌ ولا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ ولا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي لما كانوا يتحرّجون من مؤاكلة الأصحّاء حذرا من استقذارهم، أو من اجابة من يدعوهم إلى الأكل من بيوت أقاربه. عن الباقر (ع) في الآية قال: وذلك أن أهل المدينة قبل أن يسلموا كانوا يعزلون الأعمى والأعرج والمريض وكانوا لا يأكلون معهم وكان الأنصار منهم فقالوا: ان الأعمى لا يبصر الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام على الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح، فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مؤاكلتهم جناح، وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم فاعتزلوا من مؤاكلتهم، فلما قدم النبي (ص) سألوه عن ذلك؟ فأنزل اللّه عزّ وجلّ: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا﴿ ولا عَلى أنْفُسِكُمْ﴾ حرج ﴿ أنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت عيالكم يشمل بيوت الأولاد لقوله (ص): أنت ومالك لأبيك. وقوله: ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه. وسئل الصادق (ع): ما يحلّ للرجل من مال ولده؟ قال: قوت بغير سرف إذا اضطرّ إليه... الخبر﴿ أو بُيُوتِ آبائِكُمْ أو بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أو بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أو بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أو بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أو بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أو بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أو بُيُوتِ خالاتِكُمْ أو ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ ﴾ جمع مفتح ما يفتح به. أي: ما وكّلتم بحفظه من حائط ونحوه لغيركم أو بيوت مماليككم. وعن الصّادق (ع) قال: الرجل يكون له وكيل يقومه في ماله فيأكل بغير إذنه. وعن أحدهما (ع): ليس عليك جناح فيما أطعمت أو أكلت مما ملكت مفاتحه ما لم تفسده ﴿ أو صَدِيقِكُمْ﴾ أو بيوت أصدقائكم، وهو للواحد والجمع. سئل الصادق (ع): ما يعني بقوله: أو صديقكم؟ قال: هو ـ واللّه ـ الرجل يدخل بيت صديقه فيأكل بغير إذنه.

وعنه (ع): هؤلاء الذين سمّى الله عزّ وجلّ في هذه الآية يأكل بغير إذنهم من التمر والمأدوم[1] وكذلك تطعم المرأة من منزل زوجها بغير إذنه، فأما ما خلا ذلك من الطعام فلا. وعنه (ع) قال: للمرأة أن تأكل وان تتصدّق، وللصديق ان يأكل من منزل أخيه ويتصدّق﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أو أَشْتاتاً﴾ مجتمعين أو متفرقين، قيل: نزلت في قوم من كنانة تحرّجوا ان يأكل الرجل وحده، أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه، أو تحرجوا أن يأكلوا جميعاً خوفاً من حصول ما ينفر﴿ فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ من هذه البيوت وغيرها﴿ فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم، وعن الصادق (ع): هوتسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم﴿ تَحِيَّةً﴾ مصدر بمعنى (تسليماً)﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ مشروعة من لدنه، أو هو صلة بحتة فإنها طلب حياة من عنده﴿ مُبارَكَةً﴾ لأنها دعاء بالسلامة من آفات الدارين﴿ طَيِّبَةً﴾ تطيب بها النفس بالتواصل والثواب﴿ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ﴾ الآيات الدالة على كل ما يتعبدكم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معالم دينكم.

[سورة النور الآيات ٦٢ - ٦٤]

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ

(١) من (الإدام) وهو: ما يستمرأ به الخبز. يقال: (طعام مأدوم) أي: وضع فيه ألواناً أخرى مع الخبز ليسهل أكله.

شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكاملون في الإيمان﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بإخلاص﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ﴾ جامعٍ كالجمعة والأعياد والحروب. و وصف الأمر بالجمع مبالغة﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ فيأذن لهم واعتبر ذلك في كمال الإيمان لأنه المميز للمخلص عن المنافق الذي شأنه التسلّل، أو لتعظيم ذنب الذاهب عنه (ص) بغير إذنه ولذا أكّد بإعادته بأبلغ أسلوب بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ له فجعل الاستئذان كالمصداق لصحّة الإيمان، وعرّض بالمنافقين وتسللهم بقوله: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ مهامِّهم﴿ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويض للأمر إليه (ص) مخيراً بين الإذن وتركه فأيهما فعل فهو عن وحي المفوض لا الاجتهاد﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ لتركهم الأفضل وهو الكف عن الإستئذان﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ القمي: لا تدعوا رسول الله كما يدعو بعضكم بعضاً، وعن

الباقر (ع) قال: يقول[1] لا تقولوا (يا محمد) و(لا يا أبا القاسم) ولكن قولوا: يا نبي الله ويا رسول الله. وقيل: المعنى: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً فان إجابته فرض والرجوع بغير إذنه حرام، أو لا تجعلوا دعاء ربّه كدعاء فقيركم غنيكم يجيبه، أو يردّه فان دعاءه لا يرد﴿ قَدْ﴾ للتحقيق﴿ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾ يخرجون عن الجماعة بخفية﴿ لِواذاً﴾ مصدر وقع حالاً أي: ملاوذين يستتر بعضهم ببعض﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يخالفون أمر الله أو رسوله بترك مقتضاه، وأتى بـ(عن) لتضمّنه معنى الإعراض، أو يصدّون عن أمره دون المؤمنين، من خالفه عن الشيء صدّ عنه دونه وحذف مفعوله لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه. والقمي: أي: يعصون أمره ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا﴿ أو يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: قال القتل[2]. وعن الصادق (ع): يسلّط الله عليهم سلطاناً جائراً وعذاب أليم[3] في الآخرة﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماوات والأَرْضِ﴾ ملكاً مختصاً به﴿ قَدْ﴾ للتحقيق﴿ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من المخالفة والموافقة، والنفاق والإخلاص، وإنما أكد علمه بـ(قد) لتأكيد الوعد﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾ إليه يرجع المنافقون إليه للجزاء، ويجوز كونه إلتفاتاً من الخطاب بتعميمه، أو تخصيص الخطاب بالمنافقين أيضاً و(يوم) عطف على (ما) أو ظرف لقوله: ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا﴾ من خير وشر والفاء لتلازم ما قبلها وما بعدها﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافية، ومنه أعمالهم.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة النور وتفسيرها.

---

(١) أي: أن الله تعالى يقول....

(٢) ورد هكذا في النسخة الخطية ولعل (قال) الثانية زيادة سهوية. أو أن (قال) الأولى راجعة الى الإمام(ع) والثانية الى الله تعالى.

(٣) الصحيح: (وعذاباً أليماً).

سورة الفرقان

سبع وسبعون آية، مكية.

وقيل: إلاّ والّذين لا يدعون... إلى رحيما.

[الآيات ١ - ١١]

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ

إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

وعن الكاظم (ع): من قرأ هذه السورة في كل ليلة لم يعذبه الله أبداً ولم يحاسبه وكان منزله في الفردوس الأعلى﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقانَ﴾ تكاثر خيره، أو تزايد وتعالى عن كل شيء، والفرقان: مصدر(فرق) سمّي به القرآن لفرقه بين الحق والباطل، أو لإنزاله مفروقاً بعضه عن بعض﴿ عَلى عَبْدِهِ﴾ محمد (ص)﴿ لِيَكُونَ﴾ عبده، أو الفرقان﴿ لِلْعالَمِينَ﴾ أي: الثقلين﴿ نَذِيراً﴾ مخوفاً من العذاب، وصحّ الوصل بهذه الصفات لأنها معلومة بدلائل الإعجاز﴿ الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ بدل من الأول، أو مدح مرفوع أو منصوب﴿ ولَمْ يَتَّخِذْ ولَداً﴾ كزعم النصارى وغيرهم﴿ ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كزعم الوثنية والثنوية[1] ﴿ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أوجده على تقدير وتسوية في شكله وجبلته حسبما تقتضيه

---

(١) الوثنية: هم عبدة الأوثان التي هي التماثيل والأصنام. وأما الثنوية: فهو مذهب المانوية سموا بهذا الإسم لأنهم يقولون بإلهين اثنين للكون: اله للخير واله للشر. ورمزوا للأول بالنور وللثاني بالظلام.

الحكمة ﴿ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ فهيأه لما يصلح له في باب الدّين والدّنيا، أو فقدّره للبقاء إلى أجل مسمّى، أو أريد بالخلق مجرّد الإيجاد بدون نظر إلى وجه الاشتقاق وهو تضمّنه لمعنى التقدير، فكأنه قيل: أوجد كل شيء فقدّره في إيجاده فلم يوجد متفاوتاً، وعن الرضا (ع): تدري ما التقدير؟ قيل: لا، قال: هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء. تدري ما القضاء؟ قيل: لا. قال: هو إقامة العين. ﴿ واتَّخَذُوا مِنْ دُونِه آلِهَةً ﴾ لما أثبت التوحيد والنبوة شرع في الرّد على منكرهما ﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم ﴿ ولا يَمْلِكُونَ ﴾ لا يستطيعون ﴿ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا ﴾ دفع ضرّ ﴿ ولا نَفْعاً ﴾ ولا جلب نفع ﴿ ولا يَمْلِكُونَ مَوتاً ولا حَيَاةً ﴾ إماتةً وإحياءً ﴿ ولا نُشُوراً ﴾ بعثاً للأموات ومن هذا حاله كيف يُتخذ إلهاً؟ ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا ﴾ يعني: القرآن ﴿ إلاّ إِفْكٌ ﴾ كذب مصروف عن وجهه ﴿ افْتَراهُ ﴾ إختلقه ﴿ وأَعانَهُ عَلَيْه قَومٌ آخَرُونَ ﴾ القمي: قالوا هذا الذي يقرأه رسول الله (ص)[1] ويخبرنا به إنما يتعلمه من اليهود ويكتبه من علماء النصارى، ويكتب عن رجل يقال له (ابن قسطة) ينقله عنه بالغداة والعشي وعن الباقر (ع): الإفك: الكذب قوم آخرون يعنون إما فيهمله[2] وصبراً وعداساً وعابساً مولى حويطب ﴿ فَقَدْ جاؤُ ﴾ فعلوا ﴿ ظُلْماً ﴾ هو تكذيبهم الرسول (ص) ﴿ وزُوراً ﴾ هو كذبهم عليه ويجوز انتصابه بنزع الخافظ ﴿ وقالُوا أَساطِيرُ الأَولِينَ ﴾ ما سطره المتقدّمون ﴿ اكْتَتَبَها ﴾ كتبها بنفسه أو استكتبها ﴿ فَهِيَ تُمْلى تقرأ عَلَيْه بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾

---

(١) الأولى بالقمي أن ينقلها هكذا: (هذا الذي يقرأه محمد ويخبرنا به) لأنه يحكي قول المشركين وهؤلاء لا يقولون (رسول الله(ص)) كما هو واضح.

(٢) هكذا في النسخة الخطية. ولم نستظهر منها شيئاً معقولاً.

طرفي نهاره ليحفظها، أو ليكتبها﴿ قُلْ أنزلَهُ الَّذي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿ فِي السّماوات والأرْضِ﴾ لإعجازه بفصاحته وتضمّنه لمصالح العباد في المعاش والمعاد وإخباره بما لا يعلمه إلاّ علاّم الغيوب﴿ إنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحيماً﴾ فلذلك لم يعاجلكم بما استوجبتموه من العقوبة﴿ وقالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ﴾ أي: الزاعم أنه الرسول وفيه تهكم ﴿ يَأْكُلُ الطَّعامَ﴾ كما نأكل﴿ ويَمْشِي فِي الأسْواقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، والمعنى: إن صحّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لقصور نظرهم على المحسوسات، فإن تمييز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه بقوله: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ)[1] ﴿لَولا أُنْزِلَ إليه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذيراً﴾ يصدّقه ثم نزلوا عن ذلك فقالوا: ﴿ أو يُلْقى إليه كَنْزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش ثم نزلوا عنه فقالوا: ﴿ أو تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْها ﴾ ويرتزق كالدهاقين[2] والمياسير[3] فيتعيش[4] بريعه، وقرأ حمزة والكسائي بالنون﴿ وقالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا﴿ إنْ ما تَتَّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ سحر فغلب على عقله ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ أمْثالَ ﴾ قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة﴿ فَضَلُّوا﴾ عن الطريق

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢) الدهاقين: هم التجار وذوي الأملاك والعقارات.

(٣) جمع (ميسور) والمقصود : ميسوري الحال وهم الأغنياء .

(٤) ربما كان الأصح: (فيعيش).

لموصل إلى معرفة خواص النبيّ (ص) والتمييز بينه وبين المتنبّي[(١)] فخبطوا خبط عشواء[(٢)]﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى القدح في نبوتك، أو إلى الرشد والهدى. وعن الباقر (ع): إلى ولاية علي (ع) وعلي هو السبيل﴿ تَبارَكَ الَّذي﴾ تكاثر خير الذي ﴿ إِنْ شاءَ جَعَلَ﴾ لَكَ﴾ في الدنيا﴿ خيراً مِنْ ذلكَ﴾ مما قالوا﴿ جَنَّات﴾ بدلاً من (خيراً)﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ﴾ وقد شاء لك في الآخرة﴿ ويَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾ جزم عطفاً على محل الجزاء ورفعه ابن كثير وابن عامر وأبو بكر لجواز الرفع والجزم في جزاء الشرط الماضي أو استئنافاً﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكي عنهم أي: بل أتوا بأعجب من تكذيبك وهو تكذيبهم بالساعة أو حملهم عليه تكذيبهم بها لا ما طعنوا به عليك﴿ وأَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾ ناراً شديدة الإسعار .

[سورة الفرقان الآيات ١٢ - ٢٠]

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ

---

(١) المتنبي: هو الذي يدعي النبوة كذباً وزوراً. ولهذا سمي الشاعر العظيم ابوالطيب بـ(المتنبي) حيث اتهمه حساده بهذه التهمة وهو بريء منها. فاشتهر بهذا الإسم.

(٢) خابط العشوة : الجاهل . وسمي بذلك لأنه كالذي يمشي في الظلام فيضل طريقه.

يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ﴾ دورهم تتراءى كان بعضها يرى بعضاً على المجاز والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد وعن الصادق (ع): من مسيرة سنة ﴿سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً﴾ صوت تغيظ﴿ وزَفيراً﴾ شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره. وقيل: يجوز ان يخلق الله لها حياة فترى وتغضب وتزفر وقيل: ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف مضاف﴿ وإذا أُلْقُوا مِنها مَكاناً﴾ في مكان، ومنها نعت قدم فصار حالاً﴿ ضَيِّقاً﴾ يضيّق عليهم، كما يضيق الزجّ[1] في الرمح وخففه ابن كثير ﴿مُقَرَّنينَ﴾ قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال، والقمي: مقيدين بعضهم مع بعض

---

(١) الزّجّ ـ بالضم ـ: الحديدة التي في أسفل الرمح.

﴿ دَعَوا هُنالِكَ﴾ في ذلك المكان﴿ ثُبوراً﴾ هلاكاً، أي: يقولون: وا ثبوراه فهذا وقتك فيقال لهم: ﴿ لا تَدْعُوا الْيَومَ ثُبوراً واحداً وادْعُوا ثُبوراً كثيراً﴾ لأن عذابكم أنواع كثيراًة فكل نوع ثبور، أو لدوامه فهوكل وقت ثبور﴿ قُلْ أ ذلكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة السعير﴿ خَيْرٌ أمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ أضيفت إليه تنبيهاً على خلودها، والإستفهام للتبكيت والتهكم﴿ الَّتي وعِدَ﴾ وعدها﴿ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ ﴾ في علمه تعالى لأن وعده في تحققه كالكائن﴿ جَزاءً﴾ على أعمالهم﴿ ومَصيراً﴾ ومرجعاً ﴿ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ﴾ ما يشاءونه من النعيم﴿ خالِدِينَ﴾ حال لازمة﴿ كانَ﴾ ما يشاءون﴿ عَلى رَبِّكَ وعْداً﴾ موعوداً واجباً عليه إنجازه﴿ مَسْؤُلاً﴾ يسأله الناس: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، أو الملائكة بقولهم وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم، أو من حقّه أن يسأل﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص بالياء﴿ وما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة وعيسى وعزير، أو الأصنام ينطقها اللّه، أو ما يعم الكل ﴿ فَيَقُولُ﴾ للمعبودين تبكيتاً وإلزاماً للعبدة، وقرأ ابن عامر بالنون﴿ أ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: عنه وحذف (عن) مبالغة ولم يقل: أ أضللتم أم ضَلّوا: لأن السؤال ليس عن الفعل لأنه متحقق وإلاّ لما توجه العتاب بل عن متوليه فلزم إيلاؤه حرف الاستفهام﴿ قالُوا سُبْحانَكَ﴾ تعجباً مما قيل: لهم لأنهم إما ملائكة وأنبياء معصومون، أو جمادات لا تقدر على شيء، أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسبيحه وتحميده فكيف يليق بهم إضلال عبيده، أو تنزيها للّه عن الأنداد﴿ ما كانَ يَنْبَغِي﴾ يصحّ﴿ لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَولِياءَ﴾ نتولاهم ونعبدهم للعصمة، أو العجز فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا. و(من) زائدة و(أولياء) مفعول و(من دونك) حال مقدّم، أو مفعول ثان إن جعل (نتخذ) متعدّياً إلى اثنين كقراءة البناء للمفعول وتنسب إلى الصادق(ع) ويعقوب، ومفعولها الأول عليها نحن والثاني (من أولياء) و(من)

للتبعيض﴿ ولكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وآباءَهُمْ﴾ بأنواع النعم﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا ذكرك، أو القرآن وتدبّره﴿ وكانُوا قَوماً بُوراً﴾ هالكين. جمع (بائر) كحائل وحول. أو مصدر يوصف به الواحد والجمع ويفيد أنه تعالى لا يضلّ عباده حقيقة وإلاّ كان الجواب أن يقولوا: بل أنت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت عليهم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الفكر سبب الكفران ونسيان الذكر، فهم ضلّوا بأنفسهم وهلكوا باختيارهم الضلال﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ التفات إلى العبدة بالإحتجاج والإلزام على حذف القول أي: قد كذبكم المعبودون﴿ بِما تَقُولُونَ﴾ في قولكم إنهم آلهة وهؤلاء أضلّونا، وقرأ ابن كثير بالياء أي: كذبوكم بقولهم: سبحانك ما ينبغي لنا ﴿ فَما يَسْتَطيعونَ﴾ أي: المعبودون وقرأ ابن حفص بالتاء أي: أنتم﴿ صَرْفاً﴾ دفعاً للعذاب عنكم﴿ ولا نَصْراً﴾ فيعينكم عليه﴿ ومَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أيها المكلّفون بشرك أو فسق﴿ نُذِقْهُ عَذاباً كَبيراً﴾ وهو النّار ما لم يتب، أو نعف عن الفسق﴿ وما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلاّ إِنَّهُمْ لَيأْكُلونَ الطَّعامَ ويَمْشُونَ فِي الأَسْواقِ﴾ الجملة بعد (إلاّ) صفة محذوف دلّ عليه (المرسلين) أي: ما أرسلنا قبلك رسلاً إلا آكلين وماشين. وكسر إنّ للجملة لا للاّم، وهو ردّ لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. وعن علي (ع): (يُمشّون) بضم الياء وفتح الشين المشدّدة أي: يمشيهم حوائجهم، أو الناس﴿ وجَعَلْنا بَعْضَكُمْ﴾ أيها الناس﴿ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ إبتلاء، ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء، والمرسلين بالمُرسَل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وإيذاؤهم لهم. وهو تسلية للنبي (ص) على ما قالوه بعد ردّه﴿ أَ تَصْبِرُونَ﴾ أي: ليظهر انكم تصبرون على البلاء أم لا، أو مستأنف بمعنى: اصبروا﴿ وكانَ رَبُّكَ بَصيراً﴾ بالصّواب فيما يبتلي به وغيره، أو فيمن يصبر وغيره.

[سورة الفرقان الآيات ٢١ - ٣٢]

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ

عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

﴿ وقالَ الَّذينَ لا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون ولا يخافون﴿ لقاءَنا﴾ أي: جزاءه﴿ لَولا﴾ هلاّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ﴾ فيخبروننا بصدق محمد، أو فيكونون رسلاً إلينا﴿ أو نَرى ربَّنا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا في أَنْفُسِهِمْ﴾ أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر في قلوبهم واعتقدوه﴿ وعَتَوا﴾ وأفرطوا في الظلم﴿ عُتُوا كَبِيراً﴾ بالغاً الغاية بقولهم هذا، وعتوا بالواو على أصله وفي مريم (عتيّا) بالقلب واللام جواب قسم محذوف﴿ يَومَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾ عند الموت، أو في القيامة ونصب بـ(اذكر) مضمراً، أو بما دلّ عليه ﴿ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمينَ﴾ أي: يمنعون البشرى و(يومئذ) تكرير و(للمجرمين) في موضع ضمير هم، أو عام فيشملهم﴿ ويَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ أي: يقول الكفرة حينئذٍ للملائكة هذه الكلمة استعاذة منهم كما كانوا يقولونها في الدنيا عند لقاء عدو، أو نحوه أي: اسئل اللّه أن يمنع ذلك منعاً، أو تقولها الملائكة أي: حراماً محرماً عليكم الجنة، أو البشرى، و وصف بـ(محجوراً) تأكيداً كـ(شعر شاعر)﴿ وقَدِمْنا﴾ عمدنا﴿ إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصلة رحم وإغاثة ملهوف﴿ فَجَعَلْناهُ هَباءً﴾ هو: غبار يرى في شعاع الشمس الخارج من الكوّة[1] ﴿ مَنْثوراً﴾ مفرقاً صفة أو مفعول ثالث كتعدد الخبر في: (كونوا قردة خاسئين)[2]

---

(١) أي: النافذة. وحق العبارة أن يقال: (شعاع الشمس الداخل من الكوة) لا(الخارج) كما هو الصحيح.

(٢) سورة البقرة الآية ٦٥.

سئل الصادق (ع) عن الآية؟ فقال: ان كانت أعمالهم لأشدّ بياضاً من القباطي[١]، فيقول الله عزّ وجلّ لها: كوني هباءً، وذلك انهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه. وفي رواية: لم يدعوه، وفي آخر سئل (ع): أعمال مَن هذه؟ قال: أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا﴿ أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَومَئِذٍ﴾ يوم القيامة﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ﴾ مكانا يستقر فيه والتفضيل بالنسبة إلى ما للمترفين في الدنيا، أو أريد به الزيادة مطلقاً وكذا: ﴿ وأَحْسَنُ مَقيلاً﴾ مكاناً يؤوى إليه للإسترواح بالأزواج والتمتع بهن. على التشبيه بمكان القيلولة إذ لا نوم في الجنة ويفيد انقضاء الحساب في نصف نهار. وروي عن الصادق (ع): انه لا ينتصف نهار ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنة فيها وأهل النار فيها وفي (أحسن) إيماء إلى ما في مقيلهم من التحاسين كحسن الصورة وغيره﴿ ويَومَ تَشَقَّقُ السَّماءُ تتشقق﴾ حذفت التاء وأدغمها نافع وابن كثير وابن عامر أي: تتفتح ﴿ بِالْغَمامِ﴾ بسبب خروج الغمام منها﴿ ونُزِّلَ الْمَلائكَةُ تَنْزِيلاً﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد، وقرأ ابن كثير وننزل ونصب الملائكة﴿ الْمُلْكُ يَومَئِذٍ الْحَقُّ للرَّحْمنِ﴾ الثابت له لزوال كل ملك يومئذ الا ملكه فهو الخبر و(للرحمن) صلته و(يومئذ) معمول لـ(الملك) لا له، أو صفة والخبر (يومئذ للرحمن)﴿ وكانَ﴾ اليوم﴿ يَوماً عَلَى الْكافِرِينَ﴾ لا المؤمنين﴿ عَسِيراً﴾ شديداً﴿ ويَومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسّراً، وعض اليدين كناية عن الغيظ والتحسر للزومه لهما غالباً كأكل البنان ونحوه، وأريد جنس الظالم، وقيل: عقبة بن أبي معيط، دعا النبي (ص) إلى ضيافته فأبى أن يأكل طعامه حتى يأتي بالشهادتين ففعل فعاتبه أبيّ بن خلف وقال: صبأت[٢]؟ فقال: لا ولكن أبى

---

(١) القباطي: هي ثياب كتان بيض رقيقة ، كانت تنسج بمصر فنسبت الى الأقباط وهم مسيحو مصر.

(٢) معناه: هل خرجت من دينك؟ يقال: (صبأ فلان) أي: خرج من دينه ودخل في دين آخر.

أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال: لا أرضى عنك حتى تأتيه فتبصق في وجهه، ففعل فقال (ص): لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر ببدر وأمر عليا (ع) بقتله وطعن أبيّاً بأحد ومات بمكة. والقمي قال: الأول[1]﴿ يَقُولُ يا﴾ للتنبيه﴿ لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ طريقاً إلى الهدى. وفتح أبوعمرو الياء﴿ يا وَيْلَتى﴾ بإبدال ياء الإضافة ألفاً أي: يا هلكتي احضري فهذا وقتك﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾ من أضلّه، وفلان كناية عن الأعلام، القمي: قال يعني: الثاني﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ عن القرآن أو موعظة الرسول﴿ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي﴾ قال يعني: الولاية﴿ وَكانَ الشَّيْطانُ﴾ قال: وهو الثاني﴿ لِلإِنْسانِ خَذُولاً﴾ يسلمه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه﴿ وَقالَ الرَّسُولُ﴾ محمد (ص) يشكو قومه في الدنيا أو يوم القيامة﴿ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً، وفتح نافع وأبو عمرو والبزّي الياء ﴿ اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ متروكاً أوزعموا أنه هجر وهذيان، أو هجروا فيه ولغوا أي: مهجوراً فيه، وفيه تخويف لهم لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم عجل عذابهم﴿ وَكَذلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من كفارقومك﴿ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بأن لم نمنعهم من العداوة لهم فاصبر كما صبروا﴿ وَكَفى بِرَبِّكَ هادِياً﴾ إلى الإعتصام منهم ﴿ وَنَصِيراً﴾ لك عليهم﴿ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلاّ ﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: انزل بقرينة ﴿ جُمْلَةً واحِدَةً ﴾ مجتمعاً كالكتب الثلاثة، وهي شبهة واهية، إذ إعجازه لا يختلف بنزوله جملة ومفرّقاً مع أن من حكم التفريق ما أفاده قوله﴿ كَذلِكَ﴾ نزل مفرّقاً﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ﴾ لنقوّي بتفريقه ﴿ فُؤادَكَ﴾ على حفظه

---

(١) ليس كل الروايات الموجودة في (تفسير القمي) معتمدة عند الشيعة الامامية . بل تخضع الروايات للمحاكمة الرجالية والدلالية وبعد ذلك يُبتّ فيها . وديدن المؤلف (قده) أنه يورد كلام القمي من دون التعليق عليه. ولذلك لا يلزم باقواله .

وفهمه، ولأن نزوله بحسب الحوادث يزيده بصيرة، ولأن نزول جبرئيل به حيناً بعد حين يقوي قلبه ومنها اقتضاء الناسخ والمنسوخ التفريق﴿ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ نزلناه شيئاً بعد شيء بتمهل في نحو عشرين سنة، أو أمرنا بترتيله أي: تبيينه والتأني في قراءته.

[سورة الفرقان الآيات ٣٣ - ٤٣]

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ

وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾

﴿ ولا يَأْتونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤال عجيب كالمثل في البطلان للقدح فيك﴿ إلاّ جِئْناكَ بِالْحَقّ﴾ الرّاد له في جوابه﴿ وأَحْسَنَ تَفْسيراً﴾ بما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ﴾ مسحوبين إليها، ذم منصوب أو مرفوع، أو مبتدأ خبره: ﴿ أولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ممّن حقروا مكانه وضللوا سبيله، وهو الرسول (ص). ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة ﴿ وجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وزِيراً﴾ مُعيناً في الدعوة﴿ فَقُلْنا اذْهَبا إلى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا﴾ أي: فرعون وقومه، فذهبا إليهم﴿ فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً﴿ وقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده إذ تكذيبه تكذيبهم، أو بعثة الرسل كالبراهمة، ونصب بما يفسره﴿ أَغْرَقْناهُمْ﴾ بالطوفان ﴿ وجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة﴿ وأَعْتَدْنا هيأنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾ عام، أو خاص في موضع الضمير تظليماً له﴿ وعاداً﴾ عطف على (هم) في (جعلناهم) أو الظالمين إذ المعنى: وعدناهم﴿ وثمودا﴾ نون بتأويل: الحيّ، ومنعه حمزة وحفص بتأويل القبيلة ﴿ وأَصْحابَ الرَّسِّ﴾ هو البئر الغير المطويّة. وكانت لعبدة أصنام فبُعث إليهم شعيب فكذبوه فانهارت بهم وبدارهم، أو قرية بفلج اليمامة وكان فيهم بقية ثمود فقتلوا نبيهم فأهلكوا، أو بئر بأنطاكيّة قتلوا فيها حبيب النجار، أو هم قوم رسّوا نبيهم أي: دفنوه في بئر، أو اصحاب الأخدود، أو اصحاب النبي (ص) حنظلة بن صفوان قتلوه فأهلكوا﴿ وقُرُوناً﴾ أهل أعصار﴿ بَيْنَ ذلِكَ﴾ المذكور كثيراً﴿ وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ

الأَمْثالَ﴾ ضربنا له القصص العجيبة فلم يعتبروا﴿ وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً﴾ كسّرنا تكسيراً. ومنه التبر لفتات الذهب والفضة، وعنهما (ع): ان سحق النساء كان في أصحاب الرس. وبلفظ آخر: كان نساؤهم سحّاقات﴿ ولَقَدْ أَتَوا﴾ أي: مرّ قريش﴿ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة وهي سدوم من قرى قوم لوط﴿ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها﴾ في مرورهم فيعتبرون؟ استفهام تقرير﴿ بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ لا يتوقعون بعثاً لكفرهم ولذلك لم يعتبروا، أو لا يأمله كما يأمله المؤمنون للثواب، أو لا يخافونه﴿ وإِذا رَأَوكَ إِنْ ما يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾ محل هزؤ أي: مهزوء به. يقولون: ﴿ أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ لم يقيدوه بزعمه بل أخرجوه في معرض الإقرار مع فرط إنكارهم استهزاء﴿ إِنْ﴾ المخففة أي: إنه﴿ كادَ لَيُضِلُّنا﴾ يصرفنا، واللام فارقة﴿ عَنْ آلِهَتِنا﴾ عن عبادتها ببذل جهده في دعائنا﴿ لَولا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾ ثبتنا على عبادتها بصرفنا عنها﴿ وسَوفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ﴾ عياناً في الآخرة، وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أخطأ طريقاً هم أم أنت حيث زعموك مضلاً والمضل ضالّ﴿ أَ رَأَيتَ﴾ أخبرني﴿ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ﴾ لطاعته له في دينه، وقدم المفعول الثاني عناية به﴿ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وكِيلاً﴾ حافظاً تجبره على الإسلام، والإستفهام الأول للتقرير والثاني للإنكار.

[سورة الفرقان الآيات ٤٤- ٥٥]

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ

إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿أَمْ بل تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تَفَهُّم ﴿أو يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ما تأتي به من الحجج، اضرب عن ذمّهم السابق إلى ما هو أشنع وخصّ الأكثر إذ فيهم من عقل وكابر حباً للرياسة ﴿أنْ ما هُمْ إلاّ كالأنعامِ﴾ في عدم تفهم قولك وتدبر حججك ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ منها لأنها تعرف المحسن إليها من المسيء وتطلب المنافع وتجتنب المضار، وهؤلاء لا يعرفون إحسان ربهم من إساءة الشيطان ولا

يطلبون نفع الثواب ولا يتقون ضرر العقاب، ولأنها لم تمكن من المعرفة وهم تمكنوا وقصّروا﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر﴿ إلى رَبِّكَ﴾ إلى صنعه﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه من الفجر إلى طلوعها وهو أطيب الأحوال، فان الظلمة الخالصة تنفِّر الطبع وتسد النظر، وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذا وصف به الجنّة فقال: (وظل ممدود)[1] وعن الباقر (ع) في الآية قال: الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس﴿ ولَوشاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ ثابتاً، من (السكنى) أو غير متقلّص من (السكون) بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ إذ لا يعرف وجوده ولا يتفاوت إلا بطلوعها وحركاتها وفيه إلتفات إلى التكلم﴿ ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا﴾ أي: أنزلنا الظل الممدود بإيقاع الشعاع موقعه لما عبّر عن أحداثه بـ(المد) بمعنى: التسيير عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو بمعنى: الكف﴿ قَبْضاً يَسِيراً﴾ قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق ﴿ وهُو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً﴾ شبّه ظلامه باللباس في ستره﴿ والنَّومَ سُباتاً﴾ راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع﴿ وجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً﴾ ذا نشور أي: انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش. وفيه إشارة إلى ان النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور، وفي النبوي: كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون﴿ وهُو الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً﴾ ناشرات السّحاب، أو مبشرات ـ على اختلاف القراءة ـ كما مضى في الأعراف﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: المطر﴿ وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾ مطهراً، لقوله تعالى: (ليطهركم به)[2] وهو إسم لما يتطهر به كالوقود لما يوقد به، أو بليغاً في

---

(١) سورة الواقعة الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنفال الآية ١١.

الطهارة والمبالغة لأنه مطهّر﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ بالنبات وذكّر بتأويل: البلد ﴿ وَنُسْقِيَهُ﴾ بالضم﴿ مِمَّا خَلَقْنا أَنعاماً وأَناسِيَّ﴾ كثيراً جمع (انسي) أو (إنسان) وأصله: أناسين قلبت النون ياء، وهم المتعيشون بالحيا[1] كأهل البوادي ولذا نكّرهم والانعام، وتخصيصهم لان أهل القرى وأشباههم منيخون بقرب المنابع والأنهار فهم وأنعامهم في غنىً عن سقي السّماء﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ﴾ أي: المطر﴿ بَيْنَهُمْ﴾ بين الناس في البلدان والأوقات والصفات من وابل[2] وطل[3] وغيرهما، أوصرّفنا ما ذكر من الدلائل في القرآن وسائر الكتب﴿ لِيَذَّكَّرُوا﴾ ليتفكروا ويعرفوا سعة القدرة وحق النعمة به ويشكروا. وخففه حمزة والكسائي من (ذكر) بمعنى: تذكر﴿ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ جحوداً للنعمة، فيقولون: أمطرنا بنوء[4] كذا، ويرون استقلال الأنواء بالمطر بخلاف من يراها وسائط وإمارات بجعله تعالى﴿ وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾ نبياً يخوف أهلها فتخف عنك أعباء الرسالة، لكن خصصناك بعموم الدعوة إجلالاً لك وتعظيماً لأجرك، فقابل ذلك بالتشدد في الدين﴿ فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه تهييج له (ص)﴿ وَجاهِدْهُمْ بِهِ﴾ بالقرآن، أو بترك طاعتهم الدال عليه فلا تطع، والمراد: أنهم يجتهدون في توهين أمرك فاجتهد في أن تغلبهم﴿ جِهاداً كَبِيراً﴾ تتحمل فيه المشاق بإقامة الحجج، أو بجهاد جميع أهل القرى﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين، من (مرج الدابة) خلاّها﴿ هذا عَذْبٌ

---

(١) الحيا: المطر . والمتعيشون بالحيا: هم أهل البوادي لأن المطر يسبب الخصب.

(٢) الوابل: هو المطر الشديد.

(٣) الطَلّ ـ بفتح الطاء ـ هو: المطر الضعيف القطر قال تعالى: (وان لم يصبها وابل فطل) البقرة : ٢٦٥.

(٤) النوء : هو النجم.

فُراتٌ﴾ بليغ العذوبة﴿ وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾ بليغ الملوحة عنهما (ع): ان الله عزّ وجلّ عرض ولايتنا على المياه فما قبل ولايتنا عذب وطاب وما جحد ولايتنا جعله الله مراً وملحاً أجاجاً﴿ وجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً﴾ حاجزاً من قدرته﴿ وحِجْراً مَحْجُوراً﴾ تنافراً بليغاً، أو حداً محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها. والقمي: يقول حراماً محرّماً ان يغيّر واحد منهما طعم الآخر﴿ وهُو الَّذي خَلَقَ مِنَ الْماءِ﴾ الذي هو العنصر، أو النطفة﴿ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وصِهْراً﴾ أي: قسمين ذوي نسب أي: ذكوراً ينتسب إليهم وذوات صهر أي: إناثاً يصاهر بهنّ نحو: (وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)[1]﴿ وكانَ ربُّكَ قَديراً﴾ على كل شيء أراده. عن الباقر والصادق (ع): ان الله خلق آدم من الماء العذب وخلق زوجته من سنخه فبرأها من أسفل أضلاعه فجرى بذلك الضلع بينهما سبب ونسب، ثم زوجها إياه فجرى بينهما بسبب ذلك صهر فذلك قوله: (نسباً وصهراً) فالنسب: ما كان بسبب الرجال، والصهر: ما كان بسبب النساء. وروي: أنها نزلت في النبي (ص) وعلي (ع) زوج فاطمة علياً فهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته﴿ ولا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام﴿ وكانَ الْكافِرُ﴾ أي: جنسه، أو أبو جهل﴿ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ عويناً للشيطان بأتباعه، أو هيناً مهيناً من قولهم (ظهرت به) أي: جعلته خلف ظهرك.

---

(١) سورة القيامة الآية ٣٩.

[سورة الفرقان الآيات ٥٦ - ٦٧]

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا
مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا
يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ
عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ
لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴿٦٠﴾
تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا
﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ
سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

﴿ وما أَرْسَلْناكَ إلاّ مُبَشّراً﴾ لمن آمن﴿ ونَذيراً﴾ لمن كفر﴿ قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿ مِنْ أَجْرٍ إلاّ مَنْ شاءَ﴾ إلا فعل من شاء﴿ أَنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ﴾ إلى ثوابه﴿ سَبِيلاً﴾ بالتقرب إليه بالإيمان والطاعة، استثني من الأجر حسماً لشبهة الطمع وإظهاراً للشفقة باعتداده ما ينفعون به أنفسهم أجراً له، وقيل: الإستثناء منقطع أي: ولكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإنفاق في مرضاته فليفعل ﴿ وتَوكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذي لا يَمُوتُ﴾ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم فانه الكافي لمن توكل عليه لا غيره ممّن يموت﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ونزهه عمّا لا يليق به مثنياً عليه بنعوت كماله شاكراً له على إفضاله﴿ وكَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً﴾ عليماً فيجازيهم بها﴿ الَّذي خَلَقَ السَماوات والأرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ مرّ تفسيره في الأعراف والمراد بالأيام مقدارها واستولى على العرش المحيط بالعالم﴿ الرَّحْمنُ﴾ خبر محذوف، أو بدل من ضمير (استوى) ﴿ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ فاسأل عن المذكور من الخلق والإستواء عالماً وهو الله أو جبرئيل يخبرك به، أو فاسأل عن الرحمن إن أنكروه ومن يخبرك به من أهل الكتاب ليعرفوا انه مذكور في كتبهم والسؤال يعدّى بـ(عن) و(الباء) لتضمنه معنى البحث والإهتمام، وقيل: الباء صلة (خبيراً)﴿ وإِذا قيل لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا ومَا الرَّحْمنُ﴾ سؤال عن المسمّى به، جهلوا أنه من أسمائه تعالى، أو عرفوه وجحدوا. القمي: قال: جوابه الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان﴿ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا﴾ للذي تأمرنا بالسجود له، أو لأمرك لنا ولم نعرفه، وقرأ حمزة والكسائي بالياء كأنهم قالوه بينهم ﴿ وزادَهُمْ﴾ أي: المقول وهو (اسجدوا للرحمن)﴿ نُفُوراً﴾ عن الإيمان﴿ تَبارَكَ﴾ تعظم وتعالى﴿ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾ هي الاثني عشر، شبهت بالقصور

العالية والبروج من التبرج لظهوره﴿ وجَعَلَ فِيها سِراجاً﴾ هو الشمس، وقرأ حمزة والكسائي (سرجاً) وهي الشمس وكبار الكواكب﴿ وقَمَراً مُنِيراً ﴾ مضيئاً بالليل، وعنهم (ع): لا تقرأ (سرجاً) وانما هي (سراجاً) والشمس ﴿ وهُوالَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً﴾ يخلف كل منهما صاحبه بقيامه مقامه فيما يحتاج أن يعمل فيه، أو يتعاقبهما، أو يخالفه كيفاً أوكماً﴿ لِمَنْ أَرادَ أنْ يَذَّكَّرَ﴾ يتذكر. وخففه حمزة من (ذكر) بمعنى: تذكر﴿ أو أَرادَ شُكُوراً﴾ شكر اللّه، أي: ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته وِرد، أو عمل في أحدهما فعله في الآخر، أو داعيين للمتفكرين في صنع اللّه إلى العلم بوجوده وقدرته وحكمته وللشاكرين إلى شكره على نعمه فيهما. عن الصادق (ع): كل ما فاتك بالليل فاقضه بالنهار قال تعالى: وتلا الآية ثم قال: يعني: ان يقضي الرجل ما فاته بالليل بالنهار وما فاته بالنهار بالليل﴿ وعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً﴾ مصدر وصف به أي: هينين، أو مشياً هيناً أي: بسكينة. عن الصادق (ع): هوالرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر، وعن الباقر (ع): الأئمة يمشون على الأرض هوناً خوفاً من عدوهم، وعن الكاظم (ع): هم الأئمة متقون في مشيهم﴿ وإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلونَ﴾ بما يكرهونه ﴿ قالُوا سَلاماً﴾ تسلماً منكم ومتاركة لكم، أو قولاً يسلمون فيه من الإثم والإيذاء ولا تنسخه آلية السيف لعدم المنافاة﴿ والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِياماً﴾ في الصلاة جمع (قائم) أو مصدر وصف به وأخر للرويّ﴿ والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً﴾ لازماً ومنه الغريم لملازمته، وصفوا بحسن السيرة مع الخلق والإجتهاد في طاعة الحق وهم مع ذلك فرقون من العذاب يسألون ربهم صرفه عنهم غير معتدّين بأعمالهم، وعن الباقر (ع): ملازما لا يفارق﴿ إِنَّها ساءَتْ

مُسْتَقَرّاً ومُقاماً﴾ موضع استقرار وإقامة هي، والتعليلان متداخلان، أو مترادفان من قولهم، أو من قوله تعالى﴿ والَّذِينَ إِذا أنفقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم يتجاوزوا الحد. وضم الياء نافع وابن عامر من (أقتر) وفتحها الباقون مع كسر التاء لابن كثير وابي عمرو وضمّها لغيرهما﴿ وكانَ إنفاقهم بَيْنَ ذلِكَ﴾ بين الإسراف والإقتار ﴿ قَواماً﴾ وسطاً من استقامة الطرفين كالسواء من استوائهما، خبر ثان، أو حال مؤكدة. القمي: الإسراف الإنفاق في المعصية في غير حق ولم يقتروا لم يبخلوا عن حق اللّه، والقوام العدل والانفاق فيما أمر اللّه به، وعن النبي (ص) من اعطى في غير حق فقد أسرف، ومن منع من حق فقد قتر. وعن علي (ع): ليس في المأكول والمشروب سرف وان كثُر. وعن الصادق (ع): انما الإسراف فيما أفسد المال وأضرّ بالبدن، قيل: فما الإقتار؟ قال: أكل الخبز واللحم وأنت تقدر على غيره، قيل: فما القصد؟ قال: الخبز والملح واللبن والخل والسمن مرّة هذا ومرة هذا.

[سورة الفرقان الآيات ٦٨ - ٧٧]

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿ والَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إلهاً آخَرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها، وبه يتعلق: ﴿ إلاّ بالْحَقِّ﴾ أوبـ(لا يقتلون) ﴿ ولا يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم أصول السيئات بعد وصفهم بأصول الحسنات إيذاناً بأن الجزاء الموعود مختص بمن جمع ذلك وتعريضاً بما عليه أضدادهم ﴿ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً﴾ جزاء إثم، أو إثماً بإضمار الجزاء. والقمي: أثام وادٍ من أودية جهنم من صفر مذاب قدامها حدّه في جهنم يكون فيه من عبد غير اللّه ومن قتل النفس التي حرّم اللّه ويكون فيه الزناة ويضاعف لهم فيه العذاب ﴿ يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامَةِ﴾ بدل من (يلق) ورفعه ابو بكر استئنافاً وكذا ﴿ ويَخلُدْ فيهِ مُهاناً﴾ كابن عامر في يضعّف مشدّداً وشدّده أيضاً ابن كثير جازماً، وقرأ ابوعمرو (ويخلد) مجهولا من أخلد وابن كثير وحفص فيه بالإشباع، ومضاعفة العذاب لضمّ المعاصي إلى الشرك بدليل: ﴿ إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ

عَمَلاً صالحاً فَأولئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ ﴾ عن الباقر (ع): يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يُطْلِع على حسابه أحداً من الناس، فيعرفه بذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته، قال الله للكتبة: بدلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة ثم يأمر الله به إلى الجنة ﴿ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لمعاصي عباده﴿ رَحِيماً﴾ منعماً عليهم﴿ ومَنْ تابَ﴾ عن ذنوبه بتركها والندم عليها، تعميم بعد تخصيص ﴿ وعَمِلَ صالِحاً﴾ بدلها﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إلى اللَّهِ مَتاباً﴾ يرجع إليه بذلك مرجعاً مرضياً رافعاً للعقاب جالباً للثواب، أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين ويكرمهم، أو يرجع إلى ثوابه مرجعاً حسناً، والقمي يقول: لا يعود إلى شيء من ذلك بإخلاص ونية صادقة﴿ والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يحضرون محاضر الباطل، أو لا يقيمون شهادة الكذب، وعن الصادق (ع): هو الغناء. والقمي قال: الغناء ومجالس اللهو﴿ وإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفحشاء، والصفح عن الذنوب، والكناية عمّا يستهجن التصريح به. وعن الباقر (ع): هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كفّوا عنه﴿ والَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ﴾ بالقرآن، أو الوعظ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وعُمْياناً﴾ نفي للحال دون الفعل أي: لم يكبّوا عليها غير منتفعين بها كالصّم والعميان بل أكبّوا عليها واعين لها، متبصرين ما فيها﴿ والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وذُرِّيّاتِنا﴾ ووحدها ابوعمرو وحمزة والكسائي﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بأن نراهم مطيعين فإن المؤمن يسرّ بأهله وتقر عينه بهم إذا رآهم صلحاء معاونين له في دينه راجياً لقاءهم في الجنة. و(من) للإبتداء، أو البيان كلقيت منك أسداً، ونكرت (الأعين) كتنكير (القرّة) تعظيماً وقللت

لقلة أعين المتقين بالنسبة إلى عيون غيرهم﴿ واجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً﴾ يقتدى بنا في الدين بأن توفقنا للعلم والعمل. ووحّد لدلالته على الجنس، أو لإرادة كل واحد منا، أو لأن أصله مصدر، وقيل: جمع (آم) كقائم وقيام، أي: قاصدين لهم، وعن الصادق (ع): أيّانا عنى، وفي رواية هي فينا، وعنهم (ع): انهم قرءوا: (واجعل لنا من المتقين إماما)﴿ أولئِكَ يُجْزَونَ الْغُرْفَةَ﴾ جنسها وهي أعلى منازل الجنة﴿ بما صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الطاعات وقمع الشهوات﴿ ويُلَقَّونَ﴾ وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي (يَلْقون) من (لَقِي)﴿ فيها تَحِيَّةً وسَلاماً﴾ دعاء بالتعمير والسلامة من الملائكة، أو من بعضهم لبعض﴿ خالِدِينَ فِيها﴾ بلا موت ولا زوال﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقاماً قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ ما يصنع وما يكترث، وعن الباقر (ع) يقول: ما يفعل ربي بكم ﴿ لَوْلا دُعاؤُكُمْ﴾ عبادتكم له، أو دعاؤكم إياه إلى الدين. وسئل الباقر (ع) كثرة القراءة أفضل أوكثرة الدعاء؟ فقال: كثرة الدعاء أفضل، وقرأ هذه الآية.﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أعلمتكم به إذ خالفتم﴿ فَسَوفَ يَكُونُ﴾ جزاء تكذيبكم، أو أثره ﴿ لِزاماً﴾ لازماً لكم في الآخرة، وقيل: هو قتل يوم بدر.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الفرقان وتفسيرها.

سورة الشّعراء

مائتان وسبع وعشرون آية مكية.

[الآيات ١ – ١٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم

مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

عن الصادق (ع): من قرأ سور الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً وأعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاه، وزوّجه الله مائة زوجة من الحور العين. ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ طسم﴾ أمالها أبو بكر وحمزة والكسائي وأظهر حمزة النون، وعن النبيّ (ص): الطاء: طور سيناء، والسين: اسكندريّة، والميم: مكة. وقال: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سين المنتهى، والميم: محمد المصطفى. والقمي قال: هو حرف من حروف إسم الله الأعظم. وعن الصادق (ع): معناه: أنا الطالب السميع المبديء المعيد ﴿تِلْكَ﴾ الآيات آيات ﴿الْكتاب الْمُبِينِ﴾ للإعجاز والحكم والشرائع وغيرها ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ قاتلها ﴿ألاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ من أجل أن لا يؤمنوا، أو (لعل) للإشفاق، أي: أشفق عليها أن تقتلها غمّاً لذلك ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ﴾ آية علامة ملجأة إلى الإيمان ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾ منقادين. أجريت الأعناق مجرى العقلاء حين وصفت بوصفهم، أو أصله: فضلوا لها خاضعين فاقحمت، أو أريد بها رؤساؤهم، أو جماعاتهم. عن الصادق (ع): ثم أن القائم لا يقوم حتى ينادي منادٍ من السماء يسمع الفتاة في خدورها ويسمع أهل المشرق والمغرب، وفيه نزلت هذه الآية ﴿وما يَأْتِيهِمْ مِنْ﴾ زائدة، أو تبعيضية ﴿ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمنِ﴾ صفة، أو صلة

(يأتيهم)﴿ مُحْدَثٍ﴾ مجدد تنزيله﴿ إِلاَّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إلا جددوا إعراضاً وكفراً به﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: (بالذكر) بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدّى بهم إلى الاستهزاء﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبؤُا﴾ أخبار ﴿ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ من أنه كان حقاً أم باطلاً، أي: سيعلمون بأي: شيء استهزءوا إذا مسهم العذاب يوم بدر، أو يوم القيامة﴿ أَ وَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا﴿ إِلَى الأَرْضِ﴾ وعجائبها﴿ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف﴿ كَرِيمٍ﴾ محمود ذي فوائد و(كل) لإحاطة الأزواج و(كم) لكثرتها ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ الإنبات، أو كل واحد من الأزواج﴿ لآيَةً﴾ على قدرة منبتها على إحياء الموتى﴿ وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم مطبوع على قلوبهم﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَالْعَزِيزُ﴾ القادر على عقوبتهم﴿ الرَّحِيمُ﴾ بإمهالهم﴿ وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ﴾ بأن، أو أي﴿ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر وتعذيب بني إسرائيل ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ عطف بيان أو بدل من السابق﴿ أَ لا يَتَّقُونَ﴾ استئناف إنكار عليهم وتعجب له من فرط ظلمهم وقلة خوفهم. وفيه حث على التقوى لمن عقل ﴿ قالَ موسى رَبِّ إِنِّي﴾ وفتح الحرميان وأبو عمرو الياء﴿ أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم لي﴿ وَلا يَنْطَلِقُ﴾ لِساني للعقدة ان كان هذا قبل دعوته، أو لبقيتها ان كان بعدها، أو لقصور فصاحته وإن انجلت، ونصب يعقوب الفعلين عطفاً على يكذبون فهما من المخوف لاستلزام التكذيب لضيق الصدر المستلزم لإحتباس اللسان﴿ فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ﴾ أخي أي: اجعله نبياً يعضدني في أمري، طلب المعاونة حرصاً على الإمتثال لا تعللاً﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ هو قتل القبطي أي: تبعة ذنب وهو القود﴿ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به قبل التبليغ استدفاع للبلاء المتوقع لا تعلل ﴿قالَ كَلاَّ﴾ ردع له عن الخوف وعدة له بالدّفع﴿ فَاذْهَبا﴾ بآياتنا إجابة لسؤاله ضمّ أخيه إليه وهو عطف على فعل دل عليه كلاً أي: ارتدع عمّا تظن فاذهب أنت ومن طلبته وخوطبا

تغليباً للحاضر﴿ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أريد به موسى وأخوه أو مع فرعون وعلى الأول فأقل الجمع اثنان﴿ مُسْتَمِعُونَ﴾ لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه قوله تعالى: ﴿ فأْتيا فِرْعَونَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة، أو لإتحادهما لوحدة مطلبهما وللأخوة، أو أريد كل واحد منّا﴿ أَنْ﴾ بأن، أو أي﴿ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ خلهم يذهبوا معنا إلى الشام فأتياه فقالا له ذلك﴿ قالَ﴾ فرعون لموسى (ع): ﴿ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا﴾ في منازلنا﴿ وَلِيداً﴾ طفلاً قريباً من الولادة﴿ وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ اثنتي عشرة، أو اكثر وكان يدعى ولده﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتل القبطي وبّخه بعد تذكيره نعمته ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ بنعمتي، حال، أو ابتداء حكم عليه بأنه ممن كفر نعمته، أو إلهيته، وعن الصادق (ع): لما بعث اللّه موسى إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه فلم يأذن له فضرب الباب بعصاه فاصطكت الأبواب ففتحه ثم دخل على فرعون فأخبره أنه رسول رب العالمين وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل، فقال له فرعون كما قال اللّه (أَ لَمْ نربك) إلى (فعلت) يعني: قتلت الرجل﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ يعني: كفرت نعمتي.

[سورة الشعراء الآيات ٢٠ - ٣٩]

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

﴿ قالَ فَعَلْتُها إِذاً﴾ أي: حينئذٍ﴿ وَأنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الرضا (ع): من الضالين عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك، وقيل: الجاهلين أي: الفاعلين فعل ذوي الجهل، أو الذاهبين عن مآل الأمر، أو المخطين أي: لم أتعمد قتله، أو الناسين ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾ حكمة وعلماً﴿ وجَعَلَنِي مِنَ

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ردّ لما وصفه به من الكفر، ثم قصد إلى ردّ امتنانه بالتربية بقوله: ﴿ وتِلْكَ﴾ التربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ اتخذتهم عبيداً تذبح أبناءهم، أي: ما أمننت به في الحقيقة هو تعبّدك إياهم فانه سبب حصولي عندك وتربيتك فهو نقمة لا نعمة. وقد تضمر همزة إنكار أي: أوتلك، ومحل (أن عبّدت) رفع بأنه خبر محذوف أو بدل نعمة أو نصب بنزع اللام أي: إنما صارت نعمة لأن عبّدت ولولاه لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليمّ، وقيل: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وبيانها: ان عبدت، والمعنى: تعبيدهم نعمة يمن بها عليّ، ووحد الضمير في تمنّها وجمع فيما قبله لأن المنّة منه والخوف والفرار من ملائه معه ﴿ قالَ فِرْعَوْنُ﴾ تَعنّتاً حين بلّغه الرسالة ﴿ وما رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعوِ بذلك شرع في الإعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل ﴿ قالَ رَبُّ السَماوات والأرْضِ وما بَيْنَهُمَا﴾ عرّفه بأظهرخواصه وآثاره، وعن علي (ع) في خطبة جوامع التوحيد: الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا ببعض بل وصفته بفعاله ودلّت عليه بآياته. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ علمتم ذلك ﴿ قالَ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ أ لا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه سألته عن حقيقته فأجاب عن أفعاله روي: قال فرعون متعجباً لأصحابه: ألا تستمعون أسأله عن الكيفية فيجيبني عن الحق، أقول: يعني الثبوت ﴿ قالَ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبائِكُمُ الأولِينَ﴾ عدل إلى ما لا شك في افتقاره إلى مصور حكيم وخالق عليم ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل ﴿ قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر، وسمّاه (رسولاً) على السخرية ﴿ قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ وما بَيْنَهُما﴾ إذ تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويذهب بها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الخلق ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علمتم ذلك. لاطفهم أولاً ثم لمّا خاشنوه خاشنهم،

ولما بهت فرعون عدل عن جداله إلى تهديده﴿ قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهَاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ممن عرفت حالهم في سجوني، كان يلقى الشخص في هوّة[1] عميقة فرداً حتى يموت فهو أبلغ من (لأسجننك)﴿ قالَ أَ ولَو﴾ (واو) الحال وليت الهمزة أي: أ تفعل ولو ﴿ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ يصدق دعواي: وهو المعجزة﴿ قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك﴿ فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الثعبانية قال الباقر (ع): فالتقمت الأيوان بلحييها فدعاه أن يا موسى أقلني إلى غدٍ، ثم كان من أمره ما كان﴿ ونَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ قال (ع): قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وعنه (ع): فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب، وداخل فرعون من الرعب ما لم يملك نفسه، فقال فرعون: يا موسى أنشدك الله وبالرّضاع إلا ما كففتها عنّي فكفّها، ثم نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه، فقام إليه هامان فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد﴿ قالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ حاذق فائق في علم السحر﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ﴾ بَهَرَهُ سلطان المعجز حتى حطّه عن دعوى الربوبيّة إلى مؤامرة القوم ﴿ قالُوا أَرْجِهْ وأَخاهُ﴾ أخّر أمرهما﴿ وابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ جامعين﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق يفوق موسى بالسحر﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ لما وقت به من ساعات يوم معيّن وهو وقت الضحى من يوم الزينة ـ كما مرّ في طه ـ﴿ وقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثاً على مبادرتهم إليه.

---

(١) الهوّة: هي الحفرة أو منخفضات الأرض.

[سورة الشعراء الآيات ٤٠- ٦٠]

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ

وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ﴾ لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا، كان مقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية ﴿فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا﴾ لفرعون ﴿أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ قالَ نَعَمْ﴾ وكسر عينه الكسائي، أنعم لهم بالأجر وزيادة هي ﴿وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي ﴿قالَ لَهُمْ مُوسى﴾ بعد ما قالوا إما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أمر بتقديم إلقائهم توسلاً إلى إظهار الحق على الباطل لا أمر بالسحر ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ﴾ جزموا بأن الغلبة لهم، وأقسموا عليها بعزته ثقة بأنفسهم إذ بذلوا جهدهم في السحر ﴿فَأَلْقى مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تتلقف أي: تبتلع، وخففه حفص ﴿ما يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه بتمويههم فيخيلون أن حبالهم وعصيّهم حيّات تسعى ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾ ألقاهم ما بهرهم من الحق حتى لم يتمالكوا أنفسهم، أو الله بإلهامهم ذلك ﴿قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ ولئلا يتوهم إرادة فرعون به أبدلوا منه ﴿رَبِّ مُوسى وَهارُونَ قالَ﴾ فرعون ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ لموسى، وخفف الهمزتين حمزة والكسائي وأبو بكر، وقرأ حفص (آمنتم) خبراً ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ أنا لَكُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ رئيسكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وتواطأتم على ما فعلتم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال أمركم وعيد بيانه ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ من كل شق طرف ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ليعتبر بكم ﴿قالُوا لا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾ إلى ثوابه راجعون بعد الموت بأيٍّ وجه وقع، أو مصيرنا ومصيركم إليه فيحكم بيننا وبينك، وتعليل لنفي

الضير، وكذا: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ لأن كُنَّا أَولَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا، أو من رعية فرعون﴿ وأَوحَيْنا إِلى مُوسى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بالآيات إلى الحق فلم يجيبوه﴿ أَنْ﴾ بأن، أو أي﴿ أَسْرِ بِعِبادِي ﴾ بالقطع والوصل، أي: سر بهم ليلاً وفتح نافع الياء﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده تعليل لـ(أسر)أي: بيّت أمركم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يلجوا وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ﴾ حين أخبر بسراهم﴿ فِي الْمَدائِنِ﴾ قيل: كان له ألف مدينة سوى القرى﴿ حاشِرِينَ﴾ للجنود فجمعوا فقال لهم: ﴿ إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة قليلة﴿ قَلِيلُونَ﴾ جمع (قليل) أي: هم أسباط كل سبط منهم قليل استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً بالنسبة إلى جيشه إذ كان ألف ألف ملك مع كل ملك ألف ﴿ وإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا﴿ وإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾ حذرون من عادتنا الحذار والتيقظ، وقرأ الكوفيون وابن ذكوان ﴿ حاذِرُونَ﴾ أي: آخذون حذرنا وهذه معاذير لئلاً يظنوا به عجزاً﴿ فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين﴿ وعُيُونٍ﴾ جارية فيها ﴿ وكُنُوزٍ﴾ أموال من ذهب وفضة﴿ ومَقامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة ومجالس بهيّة ﴿ كَذلِكَ﴾ مصدر أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو صفة مقام أي: مثل ذلك المقام الذي كان لهم، أو خبر محذوف أي: الأمر كذلك﴿ وأَورَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس.

[سورة الشعراء الآيات ٦١ - ١١١]

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي

يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿ فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ﴾ حصل كل منهما بمرأى للآخر﴿ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لملحقون﴿ قالَ كَلاَّ﴾ لن يدركوكم، فإن الله وعدكم الخلاص منهم ﴿ إِنَّ مَعِي رَبِّي﴾ بالحفظ والنصر﴿ سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة﴿ فَأَوحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ أي: ضرب فانفلق﴿ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الشامخ الراسي، فسلك كل سبط مسلكاً﴿ وأَزْلَفْنا ثَمَّ﴾ قرّبنا هناك﴿ الآخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسلكهم﴿ وأَنْجَيْنا مُوسى ومَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإمساك البحر أن ينطبق حتى عبروا﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ بإطباقه عليهم﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ المقصوص لآية عجيبة لمن تدبر﴿ وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بعد الإنجاء حيث سألوا تمثال بقرة يعبدونه وعبدوا العجل وطلبوا رؤية الله﴿ وإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه﴿ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على قومك﴿ نَبَأَ إِبْراهِيمَ﴾ خبره﴿ إِذْ قالَ لأَبِيهِ﴾ عمّه (آزر) ﴿ وقَومِهِ ما تَعْبُدُونَ﴾ سألهم للإلزام﴿ قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً﴾ بسطوا جوابه بزيادة (نعبد) وعطف ﴿ فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ﴾ عليه ابتهاجاً به أي: فندوم عابدين لها﴿ قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ يسمعون دعاءكم، حذف لقرينة: ﴿ إِذْ تَدْعُونَ﴾ وهو حكاية حال ماضية ليستحضروها لأن إذ للمضيّ﴿ أو يَنْفَعُونَكُمْ﴾ إذا عبدتموهم﴿ أو يَضُرُّونَ﴾ إن تركتم عبادتهم﴿ قالُوا بَلْ وجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أضربوا عن جواب سؤاله وتمسكوا بالتقليد﴿ قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ

أَنْتُمْ وآباؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ﴾ فإن الباطل لا ينقلب حقاً بتقدّمه﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُو لِي﴾ يريد عدوكم ولكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فانه أنفع في النصح من التصريح، والبدأة بنفسه في النصيحة أدعى للقبول﴿ إِلاّ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ استثناء منقطع، أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه، وكان من آبائهم مَن عَبدَ الله﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُو يَهْدِينِ﴾ لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال: (الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى)[1] هداية مدرجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله﴿ والَّذِي هُو يُطْعِمُنِي ويَسْقِينِ﴾ لا غيره إذ خلق الغذاء وما يتوقف عليه الإغتذاء به ﴿ وإِذا مَرِضْتُ فَهُو يَشْفِينِ﴾ لم يقل (أمرضني) لحدوث المرض غالباً بإسراف الإنسان في مطعمه ومشربه وغيرهما وبتفريطه في أوامر الله ونواهيه كما قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)[2] ولأنه في مقام تعديد النعم ونسب الإماتة إليه في: ﴿ والَّذِي يُمِيتُنِي﴾ لأن الموت لا يحس به فلا ضرر الا في مقدّماته وهي المرض، ولأنه وصلة إلى الحياة الباقية وخلاص من كل محنة وبلية﴿ ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ في الآخرة﴿ والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ﴾ ذكر ذلك هضماً لنفسه[3] وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي، ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم، واستغفار لما عسى يندر منه من خلاف الأولى ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ كمال العلم والعمل، أو خلافة الحق ورئاسة الخلق

---

(١) في القرآن الكريم: (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) سورة طه الآية ٥٠. بلفظ (أعطى) وليس (أحسن). وأما الآية الواردة بلفظ (أحسن) فهي قوله تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه) سورة السجدة الآية ٧. فوقع هذا الخلط في نقل الآيه .

(٢) سورة الشورى الآية ٣٠.

(٣) أي: كَسْراً لها . إذ الهضم ـ هنا ـ بمعنى الكسر.

﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح ﴿ واجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ جاهاً وحُسن صيتٍ في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين. ولذا ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه. عن علي (ع): قال: لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خير له من المال يأكله ويورثه، أو المراد: واجعل صادقاً من ذريتي يجدّد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد (ص) وعلي والأئمة (ع) من ذريتهما. القمي قال: هو أمير المؤمنين (ع) ﴿ واجْعَلْنِي مِنْ ورَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة ﴿ واغْفِرْ لأَبِي﴾ بالهداية والتوفيق للإيمان. وفتح نافع وابو عمرو الياء﴿ إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ هذا كان قبل أن يتبين له أنه لن يؤمن كما قال: (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه)[١] ﴿ ولا تُخْزِنِي﴾ بمعاتبتي على ما فرّطت من الحق، من (الخزي) بمعنى: الهوان، أو من (الخزاية) بمعنى: الحياء﴿ يَومَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: العباد. وهو من نحو(يغفر لي خطيئتي) ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك وحب الدّنيا، متّصل أي: إلا مال من هذا نعته حيث أنفقه في البرّ، أو لا ينفعان أحداً إلا من سلم قلبه من فتنة المال والبنين، أو منقطع أي: لكن نعت من هذا نعته ينفعه، وعنه (ع): القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه، قال وكل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم في الآخرة﴿ وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قربت﴿ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها من الموقف فيزدادوا فرحاً﴿ وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ كشفت﴿ لِلْغاوِينَ﴾ ليروها فيزدادوا غمّاً﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَينَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم كما زعمتم شفاعتهم

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿ أو يَنْتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم إذ هم وآلهتهم وقود النار، ويحققه:﴿ فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا﴿ فِيها هُمْ والْغاوونَ﴾ الآلهة وعبدتها بعضهم على بعض. عن الصادق (ع): هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره. وفي آخر: هم بنوأميّة والغاوون: بنوالعباس﴿ وجُنُودُ إبْلِيسَ﴾ شياطينه، أو أتباعه من الثقلين﴿ أجْمَعُونَ﴾ عن الباقر (ع): جنود إبليس ذرّيته من الشياطين ﴿ قالُوا﴾ أي: العبدة ﴿ وهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ﴾ مع الأصنام﴿ تَاللَّه إنْ﴾ المخففة﴿ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ اللام فارقة﴿ إذْ نُسَويكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ في العبادة. القمي: أطعناكم كما أطعنا اللّه فصرتم أرباباً﴿ وما أضَلَّنا إلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ رؤساؤنا، أو أولونا الذين اقتدينا بهم، وعن الباقر (ع): يعني: المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتبعوهم على شركهم وهم قوم محمد (ص) ليس فيهم من إليهود والنصارى أحد... الخبر﴿ فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ ﴾ كما للمؤمنين﴿ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ يهمّه أمرنا إذ لا تصادق ثمّ الا للمتقين، وعن الصادق (ع): الشافعون الأئمة (ع) والصديق من المؤمنين. وعنهما (ع): واللّه لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: فما لنا من شافعين...إلخ ولعل جمع (الشافع) وتوحيد (الصديق) لكثرة الشفعاء عادةً وقلّة الصديق﴿ فَلَو أنَّ لَنا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا، ولو في معنى التمني، أو شرط حذف جوابه ﴿ فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التمني أو عطف على كرّة إذ معناه أن نكرّ القمي: قال من المهتدين لان الإيمان قد لزمهم بالإقرار﴿ إنَّ فِي ذلِكَ﴾ المقصوص ﴿ لآيَة﴾ دلالة لمن اعتبر﴿ وما كانَ أكْثَرُهُمْ﴾ أكثر قوم إبراهيم﴿ مُؤْمِنِينَ﴾ به﴿ وإنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ﴾ القادر على النقمة﴿ الرَّحِيمُ﴾ بتأخيرها للحكمة﴿ كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبه لإشراكهم في الدعاء إلى التوحيد، و(قوم) مؤنث معنى﴿ إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ﴾ نسباً﴿ نُوحٌ ألا تَتَّقُونَ﴾ اللّه في الإشراك به﴿ إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ﴾ فيكم﴿ فَاتَّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من

توحيده وطاعته﴿ وما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء والنصح﴿ مِنْ﴾ زائدة﴿ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ وفتح نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ياء أجري في الخمسة﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ﴾ كرّره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا ﴿ قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ الذين لا مال لهم ولا عز عن غير بصيرة، جعلوا أتباع هؤلاء مانعاً من إيمانهم وموجباً لتكذيبه لجهلهم وقصر هممهم على حطام الدنيا.

[سورة الشعراء الآيات ١١٢ - ١٣٦]

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿ قالَ وما عِلْمي﴾ وأيُّ علمٍ لي؟﴿ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أعن بصيرةٍ أم لا؟ وما عليّ الا اعتبار الظواهر﴿ إِنْ ما حِسابُهُمْ إلاَّ عَلى رَبِّي﴾ العالم ببواطنهم لاعليّ ﴿ لَوتَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك ولكن تجهلون فتقولون ما لا تعلمون﴿ وما أنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنينَ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا إتباعهم المانع عنه ﴿ إِنْ أنَا إلاَّ نَذيرٌ مُبينٌ﴾ لا يليق بي طرد الفقراء لاستمتاع الأغنياء﴿ قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ﴾ عمّا تقول﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومينَ﴾ من المشتومين، أو المضروبين بالحجارة﴿ قالَ رَبِّ إِنَّ قَومي كَذَّبُونِ﴾ أراد أنه إنما يدعو عليهم لتكذيبهم الحق لا لإيذائهم له﴿ فَافْتَحْ﴾ فاحكم﴿ بَيْني وبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾ حكماً ﴿ ونَجِّني ومَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾ مما يحل بهم، وفتح ورش وحفص ياء معي ﴿ فَأَنْجَيْناهُ ومَنْ مَعَهُ في الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿ الْباقينَ﴾ من قومه﴿ إِنَّ في ذلِكَ لآيَةً﴾ باهرةً﴿ وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزيزُ الرَّحيمُ كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلينَ﴾ قبيلة عاد وهو إسم أبيهم﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ

أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ وما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمينَ﴾ دلّ تصدير القصص بذلك على أن الغرض من البعثة الدّعاء إلى توحيد اللّه وطاعته، والأنبياء متفقون فيه وان اختلفوا في بعض شرائعهم، ولم يطلبوا به طمعاً دنيوياً ﴿أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع﴿آية﴾ عَلَماً للّمارة﴿ تَعْبَثُونَ﴾ ببنائها إذ كانوا في أسفارهم يهتدون بالنجوم فيستغنون عنها، أو يجتمعون للعبث بمن يمرّ بهم، أو بروج الحمام، وعن النبي (ص) إن كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلاّ ما لا بدّ منه﴿ وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ﴾ مأخذاً للماء أو حصوناً وقصوراً مشيّدة﴿ لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم﴿ تَخْلُدُونَ﴾ أو ترجون الخلود فتحكمونها ﴿ وإِذا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة. القمي: بالضرب بغير استحقاق﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأشياء﴿ وأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه﴿ واتَّقُوا﴾ اللّه ﴿ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بما تَعْلَمُونَ﴾ من ضروب النعم، كرّره مرتباً عليه إمداد اللّه إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإعداد والوعيد على تركه بالإنقطاع ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وبَنِينَ وجَنَّاتٍ وعُيُونٍ﴾ أجمل النعم أولاً ثم فصّل بعضها مما يعلمونه مبالغة في تنبيههم عليها، وحثّهم على التقوى، ثم أنذرهم فقال: ﴿ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني. وفتح الحرميان وأبو عمرو الياء﴿ قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ﴾ أصلاً فلا نقلع عمّا نحن فيه. لم يقابلوا (أوعظت) بـ(أم لم تعظ) عدولاً إلى الأبلغ.

[سورة الشعراء الآيات ١٣٧- ١٨٣]

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ
لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ
لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ
يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا
عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ
فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ

بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

﴿إنْ﴾ ما هذا الذي جئتنا به ﴿إلاّ خُلُقُ الأولينَ﴾ إختلاقهم وكذبهم، أو ما خلقنا إلا خلقهم نحيي ونموت مثلهم ولا بعث. وضمّ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة أولي (خلق) أي: وما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يفترون مثله، أو ما الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة في الناس ﴿وما نَحْنُ بِمُعَذَّبينَ﴾ كما تزعم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأهلكْناهُمْ﴾ بالريح بتكذيبهم ﴿إنَّ في ذلكَ لآية وما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمنينَ وإنَّ ربَّكَ لَهُو الْعَزيزُ الرَّحيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلينَ إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ صالِحٌ أ لا تَتَّقُونَ إنّي لكُمْ رَسُولٌ أمينٌ فَاتَّقُوا اللّهَ وأطيعُونِ وما أسْئَلُكُمْ عَلَيْه مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمينَ أ تُتْرَكُونَ﴾ إنكار ﴿في ما هاهُنا﴾ من النعم ﴿آمنينَ﴾ الزوال ثم بيّن (ما هاهنا) بقوله: ﴿في جَنَّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُها هَضيمٌ﴾ لطيف ضامر للطف طلع إناث النخل، أو ليّن نضيج وهو الرطب، وأفرد النخل بالذكر لفضلها ﴿وتَنْحِتُونَ مِنَ الْجبالِ بُيُوتاً﴾ فرهين حاذقين بنحتها، أو بطرين. وقرأ الكوفيّون وابن عامر (فارهين) ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وأطيعُونِ ولا تُطيعُوا أمْرَ الْمُسْرِفينَ﴾ لا تطيعوهم، فنسب للأمر مجازاً ﴿الّذينَ يُفْسِدُونَ في الأرْضِ ولا يُصْلِحُونَ﴾ أي: فسادهم خالص عن الصلاح ﴿قالُوا إنَّما أنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرينَ﴾ الذين سحروا كثيراً حتى لم يعقلوا ﴿ما أنْتَ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْت بآية إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادقينَ﴾ في دعواك ﴿قالَ هذه ناقَةٌ﴾ أي: بعد ما خلقها الله له من الصخرة كما اقترحوها ﴿لَها شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿ولَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فلا تجاوزوه إلى شربها ﴿ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ كعقر وأذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظيمٍ﴾ مبالغة في عظم عذابه ﴿فَعَقَرُوها﴾ أسند فعل

البعض إلى الكل لرضاهم به﴿ فَأَصْبَحُوا نادمينَ﴾ على عقرها حين عاينوا العذاب ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ﴾ الموعود﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآية وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ وإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ وما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ أَ تَأْتونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ﴾ من الناس مع كثرة الإناث فيهم، أو من بين ما ينكح من الحيوان اختصصتم بذلك﴿ وتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ﴾ بيان لـ(ما)﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ عادُونَ﴾ متعدون حدّ الحلال إلى الحرام﴿ قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ﴾ عن نهينا وتقبيح أمرنا﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا كأنهم كانوا يعنفون بمن يخرجونه﴿ قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ﴾ المبغضين أشد البغض، أي: معدود في جملتهم فهو أبلغ من لعملكم ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وأهلي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من وباله﴿ فَنَجَّيْناهُ وأَهلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ يشمل من آمن به لأنه يأهلهم﴿ إِلاَّ عَجُوزاً﴾ هي امرأته﴿ فِي الْغابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب، لرضاها بفعلهم وإعانتها لهم﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ أهلكناهم﴿ وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ حجارة﴿ فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم. واللام للجنس﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآية وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ وإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحابُ الأَيكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأيكة: الشجر الملتف وهي: غيظة بقرب (مدين) يسكنها قوم بعث إليهم شعيب ولم يكن منهم كمدين فلذا لم يقل (أخوهم)﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ وحذف نافع وابن كثير همزة (الأيكة) والقوا حركتها على اللام وكتبت هنا وفي (ص) بلا ألف اتباعاً للّفظ، ومن ثم توهم بعض إنها (ليكة) إسم بلدهم، ففتح الياء﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ وما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ أَوفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه

﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ الناقصين ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوي بضم القاف، وكسره حفص وحمزة والكسائي ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ لا تنقصوهم حقوقهم ﴿ولا تعثوا﴾ لا تفسدوا ﴿في الأرض مفسدين﴾ بالقتل وغيره، حال مؤكدة.

[سورة الشعراء الآيات ١٨٤ -٢٢٧]

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ
يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن
مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ
﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا
يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾
فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ
عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ
فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن
تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ

وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿ واتَّقُوا الَّذي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ﴾ ذوي الجبلّة وهي الخلقة أي: والخلائق ﴿ الأولينَ قالُوا إِنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ وما أنتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ الواو تفيد انه جمع بين وصفين منافيين للرسالة ﴿ وإنْ﴾ المخففة ﴿ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾ في دعواك. واللام فارقة﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً﴾ قطعة، وفتح حفص سينه﴿ مِنَ السَّماءِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ وبجزائه الذي استوجبتموه من كسف أو غيره فينزله بكم، وفتح الحرميّان وأبو عمرو الياء﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَومِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أضلتهم بعد حرّ شديد أصابهم سبعة أيام، فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم ﴿ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذلكَ لآيَةً وما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قصّ سبع قصص هذا آخرها تسليةً لرسوله (ص) وتهديداً للمكذبين به بما أصاب الأمم بتكذيب الرّسل﴿ وإِنَّهُ﴾ أي: القرآن المشتمل على هذه القصص وغيرها ﴿ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ﴾ تقرير لحقيتها وإشعار بإعجاز القرآن وصدق محمد (ص) إذ إخبار الأمّي بها إنما يكون بوحي من الله، ويؤكّده: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ عليه، سمّي جبرئيل (روحاً) لأنه به يحيى الدين، أو لأنه روحانيّ، وشدّد الزاي ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي، ونصبوا (الرّوح)﴿ عَلى قَلْبِكَ﴾ أي: أثبته فيه وحفظكه﴿ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ عن أحدهما (ع):

يبين الألسن ولا تتبيّنه الألسن. وعن الباقر (ع): ما أنزل اللّه كتاباً ولا وحياً إلا بالعربيّة، وكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبينا (ص) بالعربية فإذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول اللّه (ص) بأي لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية، كل ذلك يترجم جبرئيل عنه تشريفاً من اللّه له (ص) وعنه (ع): في قوله (لتكون من المنذرين) هي الولاية لأمير المؤمنين (ع) ﴿ وإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأولينَ﴾ أي: معناه، أو ذكره لفي كتب الأنبياء الأولين﴿ أ ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ آية﴾ على صحة القرآن ونبوة محمد (ص) ﴿ أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ كابن سلام وغيره أي: علمهم بنعته من كتبهم، وقرأ ابن عامر تكن بالتاء، ورفع (آية) إسماً والخبر (لهم) وان يعلمه بدل، أو الإسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن ولهم حال﴿ ولَو نَزَّلْناهُ﴾ كما هو ﴿ عَلى بَعْضِ الأعْجَمِينَ﴾ الذين لا يحسنون عربيّة ليزيد إعجازه، أو بلغة العجم ﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ عناداً، أو أنفة من اتباع العجم. عن الصادق (ع): لونزّلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل على العرب فآمنت به العجم فهذه هي فضيلة العجم﴿ كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل إدخالنا القرآن مكذباً به في قلوبهم بقراءة الأعجم أدخلناه في قلوبهم بقراءتك عليهم، فاسند إليه تعالى كناية عن تمكنه مكذباً به في قلوبهم كأنهم جُبلوا عليه بدليل إسناد ﴿ لا يُؤْمِنُونَ﴾ إليهم. وهو استئناف يقرر ما قبله، أو حال أي: سلكناه غير مؤمن ﴿ به حَتَّى يَرَوا الْعَذابَ الأليمَ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه ﴿ فَيَقُولُوا﴾ ندماً﴿ هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن﴿ أ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لهم بتهكم، أي: كيف يستعجله من إذا نزل به سأل النظرة﴿ أ فَرَأَيتَ﴾ أخبرني

﴿ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتيعهم في دفع العذاب﴿ وما أهلكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ لَها مُنْذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها بالحُجج﴿ ذِكْرى﴾ تذكرة نصبت علة، أو مصدراً لأنها بمعنى الإنذار، أو رفعت خبر محذوف، والجملة معترضة، أو صفة (منذرون) بتقدير: ذووا، أو (نجعلهم ذكرى) مبالغة ﴿ وما كُنّا ظالِمِينَ﴾ فنهلك غير الظالمين﴿ وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ﴾ كما زعم الكفرة انه من جنس ما يلقي الشيطان إلى الكهّان﴿ وما يَنْبَغِي﴾ يصح﴿ لَهُمْ﴾ التنزل به﴿ وما يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة﴿ لَمَعْزُولُونَ﴾ ممنوعون بالشهب﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ من قبيل: إياك أعني، أو تهييج له (ص) ليزدادوا إخلاصاً﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ مبتدأ بهم الأقرب فالأقرب لأهمّيّة الإهتمام بهم. روي: أنه لما نزلت جمعهم وقال: يا بني عبد المطّلب إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، ثم قال: من يؤازرني ويكون وصيي وخليفتي؟ يعيدها ثلاثاً فيسكتون، ويقول عليّ (ع): أنا، فقال: أنت، وقاموا وهم يقولون لأبي طالب (ع): أطع ابنك فقد أمّره عليك. وعن الرضا (ع): وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين، قال: هكذا في قراءة أبي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف ابن مسعود﴿ واخْفِضْ جَناحَكَ﴾ ألن جانبك استعير من خفض جناح الطائر حين ينحط﴿ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (من) للبيان، أو التبعيض، ويُراد بـ(المؤمنين) مَن صدّقوا بألسنتهم. عن الصادق (ع): قد أمر اللّه أعزّ خلقه وسيّد بريّته محمداً (ص) بالتواضع فقال: (واخفض ...)إلخ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ القمي: فان عصوك يعني من بعدك في ولاية علي (ع) والائمة (ع) قال: ومعصية رسول اللّه (ص) وهو ميت كمعصيته وهو حي﴿ وتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه، يكفك شر من يعصيك. وقرأه

نافع وابن عامر بالفاء (فتوكل)﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في التهجد﴿ وتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ وتصرّفك في المصلّين بالقيام والركوع والسجود والقعود حين تؤمهم، أو مشيك في تصفح أحوال المتهجدين لتطّلع على تهجّدهم، أو تنقلك في أصلاب النبيين نبيّ بعد نبيّ، وعن الباقر (ع): (الذي يراك حين تقوم) في النبوة (وتقلبك في الساجدين) في أصلاب النبيين (ص). وعنهما (ع) قالا: في أصلاب النبيين نبيّ بعد نبيّ حتى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غير سفاح من لدن آدم. وعن النبيّ (ص) انه قال للمصلّين جماعة: لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فاني أراكم من خلفي كما أراكم أمامي، ثم تلا الآية. ﴿ إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ﴾ لقولك﴿ الْعَلِيمُ﴾ بنيّتك ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تتنزل، حذفت أحدى التاءين﴿ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذاب فاجر كالكهنة والمتنبئة، لا على محمد (ص)﴿ يُلْقُونَ﴾ أي: الأفاكون﴿ السَّمْعَ﴾ إلى الشياطين فيتلقون منهم﴿ وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يضمّون إلى ما يسمعونه كذباً كثيراً، أو يلقي الشياطين السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون بعض المغيبات فيوجهونه إلى الكهنة، أو يلقون المسموع إلى الكهنة وأكثرهم كاذبون فيما يوحونه إليهم. وعن الصادق (ع): في الآية قال: هم سبعة المغيرة وبنان وصائد وحمزة بن عمارة البربري والحارث الشامي وعبد الله بن الحارث، وأبو الخطّاب﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ﴾ وخففه نافع ﴿ الْغَاوُونَ﴾ باستحسان باطلهم ورواياته عنهم. عن الباقر (ع) في الآية قال: هل رأيت شاعراً يتبعه أحد، انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلّوا وأضلّوا. وعن الصادق (ع): هم قوم تعلّموا وتفقهوا لغير علم فضلّوا وأضلوا، وفي رواية: هم القُصّاص﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾ يذهبون غير مبالين بما نطقوا من غلو في مدح وذم، القمي: يعني: ساطرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج المضلين، وفي كل مذهب يذهبون يعني بهم: المغيّرين دين

اللّه﴾ ﴿وأنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ من وعد كاذب وافتخار باطل وحديث مفترى، القمي: قال يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم﴿ إلاَّ الشعراء الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ وذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً﴾ بحيث يكون الذكر عليهم أعليهم[1] من الشعر وإن قالوا شعراً ففيما يرضي اللّه كالثناء عليه والحكمة والموعظة ومدح النبي (ص) ورثاهم (ع). فعن الصادق (ع): من قال فينا بيتَ شعرٍ بنى اللّه له بيتاً في الجنة. وقال: ما قال فينا قائلٌ شعراً حتى يؤيد بروح القدس. ﴿ وانْتَصَرُوا﴾ من هجاهم من الكفار بأن يهجوه﴿ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾ بالإعتداء عليهم بذلك (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[2]﴿ وسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أي مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أيَّ مرجع يرجعون بعد الموت. القمي: ثم ذكر آل محمد وشيعتهم المهتدين فقال: إلا الذين آمنوا ثم ذكر أعداءهم ومن ظلمهم فقال وسيعلم الذين ظلموا آل محمد (ص) حقهم هكذا واللّه نزلت[3].

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة الشعراء وتفسيرها.

---

(١) كذا وردت في المخطوطة. والظاهر أنه أراد أن يقول: أعلى عندهم.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٤. ولكن بداية الآية هي: «فمن اعتدى ...» وليس «ومن اعتدى ...».

(٣) أسلفنا في أكثر من تعليقة: ان الشيعة لا تعترف بروايات التحريف. راجع في ذلك مقدمة كتاب «البيان» للسيد ابو القاسم الخوئي (رض) و«دفاع عن الحقيقة» للشيخ احمد الوائلي (رض).

سورة النّمل

ثلاث وتسعون آية، مكية.

ومرّ ثوابها في السابقة.

[الآيات ١ - ١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ

مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ طس﴾ أمالها أبو بكر وحمزة والكسائي، وعن الصادق (ع): معناه: أنا الطالب السميع ﴿ تِلْكَ﴾ إشارة إلى آي السّور ﴿ آيات الْقُرْآنِ وكِتابٍ مُبِينٍ﴾ للحق من الباطل، والكتاب: اللوح، أو القرآن، وعطفه عليه كعطف أحد النعتين على الآخر، ونكّر تفخيماً ﴿ هُدىً﴾ حال، أي: هاد به، وعاملها الإشارة، أو بدل من (آيات) أو خبر محذوف وكذا ﴿ وبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ بحدودها ﴿ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ بتمامها ﴿ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الواو للحال، أو العطف، وغير النظم إيذاناً بكمال إيقانهم، أو جملة معترضة تفيد أن هؤلاء المؤمنين المتعبدين هم الموقنون بالآخرة فإن خوف العاقبة يحملهم على تحمّل المشاق وتكريرهم للقصة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾ القبيحة بتخلية الشيطان حتى زيّنها لهم، أو بتمتيعهم بالنعم فبطروا واتبعوا أهواءهم فكأنه تعالى زيّنها فهو مجاز حكمي، أو استعارة، أو أعمال الخير بالترغيب فيها ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون فيها كمن ضلّ الطريق ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ﴾ أشرّه كالقتل والأسر ببدر ﴿ وهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ أشد الناس خسراناً لفوات

المثوبة واستحقاق العقوبة﴿ وإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾ تؤتاه﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيُّ حكيم وأيُّ عليم، وهو تمهيد لما يسوق بعده من القصص المؤذنة ببلاغته وحكمته وإحاطة علمه﴿ إِذْ قالَ مُوسى﴾ اذكر قصته إذ قال﴿ لأهلِه﴾ لامرأته في مسيره من مدين إلى مصر﴿ إِنِّي﴾ وفتح الحرميّان وابو عمرو الياء﴿ آنَسْتُ﴾ أبصرت ﴿ ناراً سَآتيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق وكان قد ضلّه، وخوطب بلفظ الجمع كما كنّى عنها بالأهل﴿ أوآتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ ﴾ بشعلة نار مقبوسة، والاضافة للبيان، ونوّنه الكوفيّون بجعل (القبس) بدلاً أو صفة أي: مقبوس والوعدان على جهة الظن فلا ينافيه ترجّيهما في طه، و(أو) للإيذان بأنه إن لم ينلهما لم يحرم أحدهما ثقة بكرم الله انه لا يجمع عليه حرمانين﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها﴿ فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ﴾ أي: ﴿بُورِكَ﴾ بارك الله يتعدى بنفسه وبالحرف﴿ مَنْ فِي النَّارِ﴾ من في مكانها وهو البقعة المباركة، يعني: الملائكة، أو الشجرة، أو النور المتقد بها ﴿ ومَنْ حَولَها﴾ أي: موسى، أو الملائكة، أو يعم كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام التي بارك الله فيها﴿ وسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ ممّا نودي به، تنزيه له تعالى عن التشبيه أو تعجب لموسى من عظمة ما قضي له﴿ يا مُوسى إِنَّهُ﴾ (الهاء) للشأن ويفسره جملة : ﴿ أَنا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حيّة الفاعل بمقتضى الحكمة﴿ وأَلْقِ عَصاكَ﴾ عطف على (بورك) فألقاها﴿ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ﴾ تتحرك﴿ كَأَنَّها جَانٌّ﴾ حيّة خفيفة سريعة﴿ ولَّى مُدْبِراً ولَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع. من (عقّب المقاتل) إذا كرّ بعد ما فرّ﴿ يا مُوسى لا تَخَفْ﴾ من غيري ثقة بي﴿ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ لعصمتهم عمّا يوجب عقوبة يخافونها ـ وان كانوا أخوف الناس لعظمته تعالى ـ ﴿ إلاّ﴾ لكن﴿ مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه من غيرهم

بذنب، أو منهم بترك الأولى، وعلى هذا يجوز جعله متصلاً﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ﴾ توبة بعد ذنب أو ترك أولى وسمي (سوء) كما سمّي (ظلماً) ﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل توبته وأثيبه فانه لا يخاف أيضاً، والقمي: معنى إلا من ظلم: ولا من ظلم، فوضع حرف مكان حرف ﴿ وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طرف مدرعتك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضاءَ﴾ ذات شعاع﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ برص كما عن الصادق آيتان ﴿ فِي تِسْعِ آياتٍ﴾ أي: معها وهي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، ولمن عدّ العصا واليد من التسع أن يعدّ الأخيرين واحداً ولا يعدّ الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون﴿ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ﴾ أي: مرسلاً إليهم، أو يتعلق الظرف بـ(أذهب) مستأنفاً﴿ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال﴿ فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا﴾ بأن جاءهم موسى بها﴿ مُبْصِرَةً﴾ بيّنة واضحة كأنها تبصر وتهدي، أو أريد إبصار متأمليها للملابسة، وعن السجاد (ع): مبصرة بفتحهما﴿ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن.

[سورة النمل الآيات ١٤- ٢٢]

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿وجَحَدُوا﴾ وكذبوا ﴿بها واسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ﴾ (الواو) للحال بإضمار قد ﴿ظُلْماً﴾ لأنفسهم علة لـ(جحدوا) وكذا: ﴿وعُلُوا﴾ ترفعاً عن الإيمان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسدينَ﴾ من الغرق عاجلاً والنار آجلاً ﴿ولَقَدْ آتَيْنا داود وسُلَيْمانَ عِلْماً﴾ طائفة من العلم، أو علماً أيُّ علم ﴿وقالا الْحَمْدُ للَّه﴾ لم يعطفه بالفاء: إشعاراً بأن ما قالا بعض ما قابلوا به هذه النعمة كأنه قال: فعرفا حقّه وأدّياه وقالا: الحمد للّه، أو أريد مجرد الإخبار لا النسب، فلا موقع للفاء ﴿الَّذي فَضَّلَنا عَلى كَثيرٍ مِنْ عِبادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممّن لم يؤت مثل علمهما ودلّ على شرف العلم وأهله﴿ وورِثَ سُلَيْمانُ داود﴾ ماله وملكه وقيل: نبوته وعلمه بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وهم تسعة عشر، والأول هو المروي عنهم (ع)﴿ وقالَ يا أيهَا النَّاسُ﴾ تحديثاً بنعمة الله ودعاء لهم إلى التصديق بمعجزته﴿ عُلّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أصواته وفهم معانيها كما يفهم بعضه من بعض، وضمير (عُلمنا) له ولأبيه أوله على عادة الملوك، وكذا: ﴿ وأوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وعن الصادق (ع): ليس فيها (من) وإنما هي وأوتينا كل شيء ﴿ إنّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الذي لا يخفى على أحد، وعن الصادق (ع): يعني: الملك والنبوة، وعنه (ع): أعطي سليمان بن داود مع علمه معرفة المنطق بكل لسان ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسّباع، وكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسية وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلم بالرّومية وإذا خلا بنسائه تكلم بالسريانية والنبطية، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربية، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانية وعن علي (ع): إن الله علمنا منطق الطير كما علّم سليمان، ومنطق كل دابّة في برّ وبحر، وعنه (ع) قال: إن سليمان بن داود قال: علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، وقد ـ والله ـ علمنا منطق الطير وعلم كل شيء﴿ وحُشِرَ﴾ وجمع﴿ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ـ كما عن الباقر (ع) ـ يعني: ليتلاحقوا ﴿ حَتّى إذا أتَوا عَلى وادِ النَّمْلِ﴾ واد بالشام، أو الطائف كثير النمل، والتعدية بـ(على) لأنهم أتوا من فوق، أو لقطعهم الوادي من (أتى على الشيء) بلغ آخره. والقمي: قعد على كرسيّه وحملته الريح، فمرّت به على وادي النمل وهو وادٍ ينبت فيه الذهب والفضة وقد وكل به النمل،

وهو قول الصادق (ع): ان لله وادياً ينبت الذهب والفضة وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل لو رامته البخاتي[1] ما قدرت عليه﴿ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وجُنُودُهُ﴾ نهي، بدل من (ادخلوا) أي: لا تكونوا بحيث يكسرنكم من باب لا أرينك هاهنا﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بحطمكم، إذ لوشعروا لم يفعلوا، كأنها عرفت عصمته من الظلم﴿ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَولِها﴾ أخذ في الضحك تعجباً من حذرها وتحذيرها، أو سروراً بما آتاه الله من إدراك همسها ولذلك دعا. وعن الرضا (ع): عن أبيه (ع): قال: حملت الريح صوت النملة إلى سليمان (ع): وهو مارّ في الهواء والريح قد حملته، فوقف وقال: عليّ بالنملة. فلما اتي بها قال سليمان يا أيتها النملة أما علمت اني نبي الله وأني لا أظلم أحداً؟ قالت: بلى، قال: فلم تحذرينهم ظلمي، قالت خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتنون بها فيبعدون عن الله. ﴿ وقالَ رَبِّ أوزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأرتبطه بحيث لا ينفك عنّي ولا أنفكّ عنه﴿ الَّتي أنْعَمْتَ عَلَيَّ وعَلى والِدَيَّ﴾ أدرج ذكرهما لأن النعمة عليه نعمة عليهما وبالعكس﴿ وأنْ أعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ﴾ تماماً للشكر واستدامة للنعمة ﴿ وأدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ في عدادهم في الجنة، عن الصادق (ع): كان سليمان عنده إسم الله الأكبر الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي أجاب، ولوكان اليوم احتاج إلينا. ﴿ وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ تعرّفها فلم يجد فيها الهدهد﴿ فَقالَ﴾ ظاناً أنه حاضر ولم يره﴿ ما لِيَ﴾ وفتح ابن كثير وعاصم والكسائي وهشام الياء﴿ لا أرَى الْهُدْهُدَ﴾ ثم لاح له أنه غائب فقال: ﴿ أمْ﴾ بل﴿ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ﴾ القمي: كان سليمان إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطير التي سخرها

---

(١) نوع من الإبل . يقال أنه من أقوى المخلوقات.

اللّه له، فتظل الكرسي والبساط بجميع من عليه من الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير، فوقع الشمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه وقال ـ كما حكى اللّه ـ ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً﴾ كنتف ريشه، أو جعله مع ضدّه في قفص﴿ أو لأَذْبَحَنَّهُ أو لَيَأْتِيَنِّي﴾ مشدداً وقرأ ابن كثير بنونين والتشديد﴿ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ ببرهان يبيّن عذره، والمقسم عليه أحد الأولين ما لم يأت بعذر، ومقتضاه: وقوع ثلاثة أمور هما: والإتيان بعذر، ولذلك عطفه عليهما وان لم يكن فعله، عن الكاظم (ع): انّما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء قال: فهذا وهوطائر وقد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريّح والنمل والجن والإنس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه وان اللّه يقول في كتابه: (ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال أوكلّم به الموتى)[1]، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال ويقطع به البلدان، ويحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء.﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ زماناً يسيراً، يريد به الدلالة على سرعة رجوعه، وفتح عاصم الكاف وضمّه الباقون ﴿ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يعني: حال سبأ. وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه على أنه في أدنى خلق اللّه من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاقر إليه نفسه، قيل: هذا يبطل وجوب كون الإمام أعلم أهل زمانه وردّ أن المراد: كونه أعلمهم فيما يحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا، لا فيما يطلعون عليه مما لم يتعلق بذلك كحال أهل سبأ، وإلا لزم وجود من هو أعلم من مدينة العلم محمد (ص) إذ كثيراً ما يخبره رسله وعيونه بحال قوم غيّب، أو بلد ناءٍ ونحوه مما لم يطلع عليه، ولا يخل ذلك كونه أعلم البشر

---

(١) حذف مقطع من وسط الآية. فالآية الكريمة بهذا النص: «ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» سورة الرعد الآية ٣١.

﴿ وجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ منونًا إسماً للحي، أو أبيهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع صرفه أبو عمرو البزي بتأويل: القبيلة، أو المدينة﴿ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ بخبر متيقن.

[سورة النمل الآيات ٢٣ - ٣٥]

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾

قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنِّي وجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: ملكة لسبأ، أو أهلها وهي (بلقيس) بنت شراصيل ملك اليمن وابن ملوكها ولم يعقب غيرها فورثت ملكه﴿وأوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك﴿ولَها عَرْشٌ﴾ سرير﴿عَظِيمٌ﴾ استعظمه بالنسبة إليها، أو لأنه لم يكن لسليمان مثله ـ وان عظم ملكه ـ وكان ثلاثين، أو ثمانين ذراعاً في مثلها عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة مكللاً بالجوهر﴿وجَدْتُها وقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كانوا مجوساً يعبدونها﴿وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ﴾ القبيحة ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق﴿فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ إليه. ألهمه الله تعالى معرفته وتفرّده بوجوب السجود له، فأنكر سجودهم للشمس ونسبه إلى الشيطان﴿ألا يَسْجُدُوا﴾ فصدّهم أن لا يسجدوا وزين لهم أن لا يسجدوا بإبداله من أعمالهم، أو لا يهتدون لأن يسجدوا فزيدت (لا) وخفّف الكسائي (ألا) على أنها للتنبيه و(يا) لنداء محذوف أي: ألا يا قوم اسجدوا، أو استئنافاً من الله، أو من سليمان، أو من الهدهد﴿لِلَّهِ الَّذي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ مصدر بمعنى: المخبو وهو ما خفي﴿فِي السَّماوات والأَرْضِ﴾ كالمطر والنبات بل كل ما يخرجه من العدم إلى الوجود﴿وَيَعْلَمُ ما يُخْفُونَ وَما يُعْلِنونَ﴾ ما يسرّونه وما يظهرونه. وقرأهما حفص والكسائي بالتاء﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ بالنسبة إلى سائر أجرام العالم لإحاطته بها، بخلاف عرشها

فبينهما بون[١] عظيم﴿ ولَقَدْ آتَيْنا داود وسُلَيْمانَ عِلْماً قالَ سَنَنْظُرُ﴾ سنتأمل ﴿ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبينَ﴾ عدل عن (أم كذبت) مبالغة وللفاصلة، ثم كتب كتاباً وقال له: ﴿ اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ﴾ وسكن الهاء عاصم وابو عمرو وحمزة ﴿ إليهمْ﴾ إلى الذين دينهم ما ذكرت، اهتم بأمر الدين فلم يقل: (إليها) ﴿ ثُمَّ تَولَّ﴾ تنحّ عنهم متوارياً قريباً منهم﴿ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ﴾ يرجع بعضهم إلى بعض القول. القمي: قال الهدهد: انها في حصن منيع، قال سليمان: الق كتابي على قبتها، فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها، فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها﴿ قالَتْ يا أَيهَا الْمَلأُ إِنِّي﴾ وفتح نافع الياء، وقيل: كانت مستلقية في بيت مغلق الأبواب فدخل من كوّة وألقاه على نحرها، وقيل: أتاها وجندها حولها فألقاه في حجرها﴿ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾ القمي: أي: مختوم، وعن النبي (ص) كرم الكتاب ختمه، وقيل: لكرم مرسله أو مضمونه﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ﴾ أي: الكتاب، أو عنوانه﴿ وإِنَّهُ﴾ أي: مضمونه ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ (ان) مفسرة أو مصدرية هي بصلتها خبر محذوف أي: المقصود أن لا تعلوا﴿ وأْتُونِي مُسْلِمينَ﴾ منقادين، أو مؤمنين. وقد اشتمل مع إيجازه على تمام المقصود من إثبات الصانع وصفاته بالبسملة والنهي عن التكبّر والأمر بالإنقياد، كل ذلك بعد إظهار المعجز برسالة الهدهد﴿ قالَتْ يا أَيهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أجيبوني بما عندكم من الرأي﴿ ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون. استعطفتهم بذلك ليمالؤوها[٢] على الإجابة﴿ قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوةٍ﴾ بالأجساد والعدد، وعن الصادق (ع): ما يخرج القائم (ع) إلا في أولي قوة، وما

---

(١) البون : هو البُعد والمسافة الطويلة.

(٢) أي: ليتابعوها على رأيها . يقال للقوم إذا تتابعوا على رأيٍ(تمالؤوا عليه).

يكون أولو قوة إلا عشرة آلاف﴿ وأولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ نجدة وشجاعة﴿ والأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول﴿ فَانْظُرِي ما ذا تَأْمُرِينَ﴾ من المقاتلة والصلح، نطعك ونتبع أمرك ﴿ قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة[1] أو قهراً﴿ أَفْسَدُوها﴾ خرّبوها﴿ وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أهلها أَذِلَّةً﴾ بالإهانة والأسر﴿ وكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ القمي: فقال الله وكذلك يفعلون﴿ وإِنِّي مُرْسِلَةٌ إليهمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ﴾ منتظرة ـ كما عن علي (ع) ـ ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من حالة فأعمل بحسبه. القمي: قالت: ان كان هذا نبياً من عند الله كما يدعي فلا طاقة لنا به، فان الله عزّ وجلّ لا يغلب، ولكن سأبعث إليه بهدية فان كان ملكاً يميل إلى الدنيا قبلها وعلمت أنه لا يقدر علينا، فبعثت حُقَّة[2] فيها جوهرة عظيمة، وقالت للرسول: قل له يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار، فأتاه الرسول بذلك، فأمر سليمان بعض جنوده من الديدان فأخذ خيطاً في فمه ثم ثقبها وأخذ الخيط من الجانب الآخر، وقيل: أرسلت منذر بن عمرو في جمع بهديّة منها غلمان في زي الجواري، وجواري في زي الغلمان، وحُق[3] فيه درّة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت: ان كان نبياً ميّز الغلمان عن الجواري وثقب الدّرة وسلك في الجزعة خيطاً، فلما دنوا بهرهم ما رأوا من عظمة شأنه، وكان جبرئيل أعلمه الحال فأخبر بما في الحق وأمر أرضة فثقبت الدرّة وأمر دودة فأخذت خيطاً ونفذت في الجزعة وأمر بالماء فكانت الجارية تأخذه بيد فتفرغه في الأخرى فتضرب به وجهها، ثم ردّ الهدية.

---

(١) أي: بالغلبة . بأن يقاتل اهلها وتؤخذ ارضهم عن طاعة أو عن غير طاعة.

(٢) الحُقّة ـ بضم الحاء ـ: وعاء أو كيس لحمل الأشياء.

(٣) الحُق: هو الوعاء ايضاً.

[سورة النمل الآيات ٣٦ - ٤٤]

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا

ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿ فَلَمَّا جاءَ﴾ الرسول بما معه﴿ سُلَيمانَ قالَ﴾ إنكاراً ﴿ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ﴾ وشدّد النون حمزة ويعقوب واثبت ابن كثير أو حمزة الياء مطلقاً ونافع وابوعمرو وصلاً ﴿ فَما آتانِيَ اللَّهُ﴾ من النبوة والمُلك الذي لا مزيد عليه﴿ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ﴾ فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا﴿ ارْجِعْ﴾ أيها الرسول﴿ إِلَيهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ ﴾ بِها لا طاقة لهم بمقاومتها﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها﴾ من سبأ﴿ أَذِلَّةً﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز﴿ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾ أسَراء مهانون. القمي: فرجع إليها الرسول فأخبرها بذلك وبقوة سليمان فعلمت أنه لا محيص لها فخرجت وارتحلت نحو سليمان، ولما علم سليمان بإقبالها ﴿ قالَ يا أَيهَا الْمَلَؤُا أَيكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إذ لا يحل لي أخذه إذا أسلمت، وقيل: أراد بذلك ان يريها بعض ما خصّه اللّه به من العجائب الدّالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بتنكير عرشها﴿ قالَ عِفْرِيتٌ﴾ خبيث مارد﴿ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ﴾ مجلسك للحكومة، قيل: وكان يجلس إلى نصف النهار﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ على حمله﴿ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ لا أختزل منه شيئاً ولا أبدّله ﴿ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾ الكتب المنزلة، آصف بن برخيا وزيره وكان صِدّيقاً يعلم إسم اللّه الأعظم، أو الخضر، أو جبرئيل، أو سليمان. القمي: قال سليمان

يعني: بعد مقالة العفريت أريد اسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا:﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعا الله بالإسم الأعظم فخرج السرير من تحت كرسي سليمان. وعن الصادق (ع): ان الأرض طويت له. وفي آخر: انخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان، وفي رواية: لم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه أحب أن يعرف الجن والإنس انه الحجة من بعده. أقول: والطرف: تحريك الأجفان للنظر. فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرساله وصف بردّه والطرف بالإرتداد، والمعنى: أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن تردّه أحضر عرشها﴿ فَلَمَّا رَآهُ﴾ أي: العرش﴿ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ بين يديه﴿ قَالَ﴾ تلقياً للنعمة بالشكر﴿ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ تفضل عليّ به من غير استحقاق﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾ بأن أراه فضلاً منه بلا حول ولا قوة وأقوم بحقه ﴿ أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد نفسي في البين، أو أقصّر في أداء واجبه فعزم الله على الشكر﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يستجلب دوام النعمة ومزيدها﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره﴿ كَرِيمٌ﴾ بالإنعام عليه ثانياً ﴿ قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها﴾ بتغيير هيئته وشكله﴿ نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته﴿ فَلَمَّا جاءَتْ﴾ قيل: ﴿ أَهكَذا عَرْشُكِ﴾ تشبيهاً[1] عليها زيادة في امتحان عقلها﴿ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل: (هو) لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها﴿ وأوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قيل: هو من تتمة كلامها كما ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها، فقالت: أوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة، وقيل: هو من قول سليمان عطفاً على مقدّر كأنه قيل: عند جوابها هي عاقلة وقد عرفت قدرة الله تعالى وآمنت

---

(١) المراد: إلقاءها في الشبهة.

به وبنبيّه، أي: وأوتينا العلم بالله وقدرته قبلها وكنا مخلصين له﴿ وصَدَّها﴾ قبل ذلك عن الإسلام﴿ ما كانَتْ تَعْبُدُ منْ دُون اللَّه﴾ أي: عبادة الشمس، أو صدّها الله، أو سليمان عن عبادتها﴿ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَومٍ كافِرِينَ﴾ نشأت بين أظهرهم ﴿ قيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر، أو صحن الدار. روي: أنه أمر قبل قدومها فبنى قصراً صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلمّا أبصرته ظنت ماء راكداً فكشفت عن ساقيها﴿ لَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء غامراً﴿ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها﴾ لتخوضه، فوجدها أحسن الناس ساقاً وقدماً. القمي: فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها فإذا عليها شعر كثير﴿ قالَ لها انَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملّس﴿منْ قَوارِيرَ﴾ من زجاج فأمر الشياطين أن يتخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشعر عنها، فعملوا الحمّامات وطبخوا النورة، فالحمّامات والنورة مما اتخذته الشياطين لبلقيس، وكذا الأرحية التي تدور على الماء﴿ قالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشمس، أو بظني بسليمان أنه يغرقني في الماء﴿ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ فتزوجها وأقرّها على ملكها وأن يزورها في كل شهر مرّة؛ فيقيم عندها ثلاثة أيام.

[سورة النمل الآيات ٤٥ – ٥٥]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ

وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا إلى ثَمُودَ أخاهُمْ صالِحاً أنِ﴾ بأن ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ﴾ فريق مؤمن وفريق كافر ﴿ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين. والواو للمجموع ﴿ قالَ يا قَومِ لِمَ تَستَعْجِلُونَ بالسَّيِّئَةِ﴾ بقولكم: ائتنا بما تعدنا ﴿ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ قبل الثواب وقد مكنتم من التوصل إليها بأن تؤمنوا ﴿ لَوِلا﴾ هلاّ ﴿ تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ بأن تتوبوا فلا تعذبون ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قالُوا اطَّيَّرْنا﴾ تطيرنا. أدغمت التاء في الطاء ووصل بهمزة أي: تشأمنا ﴿ بِكَ وبِمَنْ مَعَكَ﴾ وباتباعك، وكانوا قد قحطوا

﴿ قالَ طائِرُكُمْ﴾ سبب شؤمكم﴿ عِنْدَ اللّهِ﴾ وهو قدره، أو عملكم المثبت عنده ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء ﴿ وكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ ميّز به التسعة لأنه بمعنى: الجمع، وهو من الثلاثة إلى العشرة، أي: تسعة رجال ﴿ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ولا يُصْلِحُونَ﴾ أي: شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح، القمي: كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي﴿ قالُوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿ تَقاسَمُوا بِاللّهِ﴾ أي: تحالفوا، أمر أو خبر بدل، أو حال بتقدير: (قد) ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ بالنون على التكلم، أي: لنقتلن صالحاً﴿ وأَهْلَهُ﴾ ليلاً، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم بعضاً﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالقراءتين ﴿ لِوَلِيِّهِ﴾ لولي دمه﴿ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ بضم الميم مصدر، أو زمان، أو مكان من أهلك، وفتحه أبو بكر من: هلك، وكسر حفص اللام كـ(مطلع) أي: لا ندري من قتلهم ﴿ وإِنَّا﴾ والحال إنا﴿ لَصادِقُونَ﴾ إذ الشاهد غير المباشر بزعمهم، أو ونقسم أنا لصادقون﴿ ومَكَرُوا مَكْراً﴾ بهذه المواضعة﴿ ومَكَرْنا مَكْراً﴾ بأن جعلناها سببا لهلاكهم﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

روي: أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب[1] يصلّي فيه، فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشِعْب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة جبالهم فطبقت عليهم في الشعب فهلكوا ثمة، وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة، والقمي: فأتوا صالحاً ليلاً يقتلوه وعند صالح ملائكة يحرسونه، فلما أتوه قاتلهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة فأصبحوا في داره مقتلين، وأخذت قومه الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنّا دَمَّرْناهُمْ وقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (كيف) خبر كان و(انا دمرناهم) استئناف وان تمت

---

(١) الشِعْب : هو الإنفراج بين الجبلين.

كان فـ(كيف) حال وفتح الكوفيون انا خبر محذوف، أو بدلاً من إسم كان، أو خبراً لها و(كيف) حال﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً﴾ خالية، أو ساقطة حال عاملها الإشارة ﴿ بِما ظَلَمُوا﴾ بظلمهم﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتعظون﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحاً ومَن معه﴿ وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة﴿ ولُوطاً﴾ واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً بقرينة سبق (أرسلنا)﴿ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ﴾ بدل على الأول، وظرف على الثاني﴿ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ﴾ اللّواط﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون خبثها، أو يبصرها بعضكم من بعض، أو كانوا يعلنون﴿ أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ﴾ اللاتي خلقن لذلك﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ سفهاء.

[سورة النمل الآيات ٥٦ - ٦٣]

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿ فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أنْ قالُوا أخرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إنَّهُمْ أناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن أفعالنا﴿ فَأنْجَيْناهُ وأهلَهُ إلاّ امْرَأتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ﴾ قدرنا كونها من الباقين في العذاب﴿ وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ هو الحجارة﴿ فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم﴿ قُلِ﴾ يا محمد (ص)﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ﴾ على إهلاك كفرة الأمم الماضية ونصر رسله عليهم﴿ وسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى﴾ إختارهم حججاً على خلقه. عنهم (ع): هم آل محمد (ص)﴿ آللّهُ خَيْرٌ ﴾ لمن يعبده﴿ أما تُشْرِكُونَ﴾ به يا أهل مكة من الأصنام، لعبدتها إلزام لهم وتهكم بهم إذ لا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بمن هو مبدأ كل خير. وقرأ عاصم وأبو عمرو بالياء﴿ أمَّنْ﴾ بل أمّن ﴿ خَلَقَ السَماواتِ والأرْضَ﴾ التي هي أظهر الحسّيات ومنشأ المنافع﴿ وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأنْبَتْنا بِهِ﴾ التفت إلى التكلّم تأكيداً لإختصاص الإنبات به ﴿ حَدائِقَ﴾ بساتين محوطة﴿ ذاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ونضارة﴿ ما كانَ لَكُمْ أنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها﴾ أي: لم تقدروا عليه﴿ أ إلهٌ مَعَ اللّهِ﴾ يقدر على مثل ذلك أي: لا اله معه ﴿ بَلْ هُمْ قَومٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره، أو عن الحق﴿ أمَّنْ جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من (أمّن

خلق)﴿ الأَرْضَ قَرَاراً﴾ يستقر عليها الناس والدواب بتسويتها﴿ وجَعَلَ خِلالَها﴾ وسطها﴿ أنهاراً﴾ جارية﴿ وجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾ جبالاً تثبتها إذ لا تميد﴿ وجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح﴿ حاجِزاً﴾ لهما أن يختلطا﴿ أ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ الحق فيشركون﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ الذي أحوجه شدّة ما به إلى اللجأ إلى اللّه﴿ إِذا دَعاهُ﴾ بشرائط الدّعاء فلامه جنسية لا استغراقية﴿ ويَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يزيل من عبادته ما يسوؤهم﴿ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ﴾ فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن كان قبلكم﴿ أ إِلهٌ مَعَ اللّهِ﴾ الذي خصّكم بهذه النعم ﴿ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً. و(ما) زائدة والقلّة بمعنى: النفي، وقرأ أبو عمرو وهشام بالياء عن الصادق (ع): نزلت في القائم من آل محمد (ص) هو ـ واللّه ـ المضطر إذا صلّى في المقام ركعتين ودعا اللّه فأجابه بكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ﴾ بالنجوم وعلامات الأرض، وظلماتها ظلمات الليل فيهما، أو مبهمات طرقهما﴿ ومَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾ قدام المطر، وسبق ما فيه من القراءة في الأعراف والفرقان﴿ أ إِلهٌ مَعَ اللّهِ تعالى اللَّهُ﴾ الخالق﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به من المخلوق.

[سورة النمل الآيات ٦٤ - ٧٦]

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا

عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لما أزيح عذرهم في إنكار الإعادة بدلالة الإبداء وغيره عليها احتج بها عليهم ﴿ومَنْ يَرْزُقُكُمْ منَ السَّماء والأرْضِ﴾ أي: بأسباب سماوية وأرضية ﴿أَ إلهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ﴿إنْ كُنْتُمْ صادقِينَ﴾ في إشراككم ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّماوات والأرْضِ﴾ من الملائكة والثقلين، و(من) موصولة، أو موصوفة ﴿الْغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ﴾ متّصل. وأريد بـ(من فيهما) من تعلّق علمه بهما ولو إجمالاً لا من فيهما حقيقة

ليعم الله وأولو العلم من خلقه بالتشكيك كالعالم والرحيم، فليس فيه سوء أدب بإيهام التسوية بينه تعالى وبينهم، أو منقطع مستثناه على لغة تميم والمعنى: إن كان الله ممن يعلم فيهما ففيهما من يعلم الغيب لكنه ليس منهم فلا يعلمونه. وفيه: ان استثناء نقيض المقدّم لا ينتج فلا يلزم من امتناع كونه تعالى ممن فيهما عدم علمهم بالغيب ﴿ وما يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لـ(من) أو للمشركين﴿ أيانَ﴾ متى ﴿ يُبْعَثُونَ بَلِ ادّارَكَ﴾ تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال ووصل بهمزة أي: تتابع واستحكم، وقرأ ابن كثير وابو عمرو (أدرك) كأكرم أي: انتهى وتكامل﴿ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ في شأنها، حصل لهم بالحجج أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة وهم ينكرونه، وقيل: وصفوا بالعلم تهكماً بهم. والقمي يقول: علموا ما كانوا جهلوا في الدنيا﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها﴾ مع تمكنهم من اليقين بتدبر الحجج﴿ بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ﴾ عن إدراك حججها لتركهم تدبرها والإضرابات الثلاثة تنزيل لأحوالهم، وصفوا أولاً بنفي شعورهم بوقت البعث، ثم بنفي علمهم بالقيامة فضلاً عن وقتها، أو بالعلم بها تهكماً، ثم بأنهم في شك يمكنهم إزالته، ثم بالعمى عن الدليل الواضح ﴿ وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا أ إِذا كُنَّا تُراباً وآباؤُنا أ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور تقريراً لعماهم. والعامل في (إذا) ما دلّ عليه (مخرجون) أي: نخرج، لا مخرجون لمنع الهمزة وإنّ واللام عن العمل فيما قبلها وكررت الهمزة مبالغة في إنكارهم، وقرأ نافع (إذا) خبراً وابن عامر والكسائي إننا بنونين ﴿ لَقَدْ وعِدْنا هذا نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل وعد محمد﴿ إِنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأولينَ﴾ أكاذيبهم التي سطروها﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم على الكفر بأن يصيبهم ما أصاب الكفرة قبلهم﴿ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ حرصاً على إيمانهم﴿ ولا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكرهم فأنا عاصمك منهم، وكسر ابن كثير الضاد

﴿ ويقولون متى هذا الوعد﴾ العذاب الموعود﴿ إن كنتم صادقين﴾ فيه﴿ قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ لحقكم واللام زائدة، أو ضمن ردف معنى: دنا وأزف﴿ بعض الذي تستعجلون﴾ وقوعه وهو عذاب بدر، والترجّي على قاعدة مواعيد الملوك يريدون به القطع بوقوع الأمر وإظهار الوقار﴿ وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ بتأخيره عقوبتهم على المعاصي﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه﴿ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ تخفيه﴿ وما يعلنون﴾ يظهرونه فيجازيهم به﴿ وما من غائبة في السماء والأرض﴾ خافية فيهما. وهما إسمان لما يغيب ويخفى كالذبيحة، أو صفتان والتاء للمبالغة كالرواية ﴿ إلا في كتاب مبين﴾ بيّن أو مبيّن وهو اللوح، ومنه تعذيب الكفرة﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ كأمر عزيز وعيسى والتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة.

[سورة النمل الآيات ٧٧ - ٩٣]

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ

مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا
جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا
جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ
خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن
فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ
هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ
هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي

لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿ وإِنَّهُ لَهُدىً ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾ فإنهم المنتفعون به﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين من آمن ومَن كفر﴿ بِحُكْمِه﴾ بما يحكم به وهو عدله﴿ وهُو الْعَزِيزُ﴾ فلا يغالب﴿ الْعَليمُ﴾ بالقضاء بالحق﴿ فَتوكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تكترث بهم﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبينِ﴾ البيّن. والمحقّ أحقّ بأن يثق بنصر الله وحفظه﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوتى﴾ تعليل ثان لـ(توكل) يقنّطه من متابعتهم له، وشبهوا بالموتى لعدم تدبّرهم ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في: ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا ولَّوا مُدْبِرينَ﴾ فهم حينئذ أبعد عن الإسماع، وقرأ ابن كثير بالياء ورفع الصم﴿ وما أَنْتَ بِهادي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ أي: ما تبعدهم عنها بالهدى، وقرأ حمزة (تهدي)﴿ إِنْ تُسْمِعُ﴾ أي: ما يجدي إسماعك﴿ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتنا﴾ من علمه الله أنه يصدق بها﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون بالتوحيد﴿ وإِذا وقَعَ الْقَولُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: قرب وقوع المقول وهو ما وعدوه من البعث والعذاب﴿ أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فتقول حاكية لقول الله ﴿ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بآياتنا لا يُوقِنُون﴾ أي: بالقرآن، أو بخروجها لأنه من آيات الله، أو هو ابتداء منه تعالى، وقيل: تكلمهم من (الكلم) لقراءة التخفيف، وتردّه الرواية عن الباقر (ع): قال: كلم الله من قرأ تكلمهم ولكن (تكلّمهم) بالتشديد، ونحوه عن الصادق. وعن علي (ع): بعد ذكر الدّجّال قال: الا أن بعد ذلك الطامّة الكبرى، قيل: وما ذاك؟ قال: خروج دابّة الأرض من عند الصّفا معها خاتم سليمان وعصا موسى،

تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقاً، ويضعه على وجه كل كافر فيكتب هذا كافر حقاً، وسئل (ع) عن الدابّة، فقال: واللّه ما لها ذنب وان لها للحية﴿ ويَومَ نَحشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً﴾ يعني: يوم الرجعة﴿ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتنا﴾ يعني بالأئمة (ع)﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا﴿ حَتَّى إذا جاؤ﴾ إلى المحشر﴿ قالَ أ كَذَّبْتُمْ بِآياتي ولَمْ تُحِيطُوا بها عِلْماً﴾ الواو حالية، أي: أ كذبتم بها بادئ الرأي غير متأمليها ليحيط علمكم بحقيقتها وأنها جديرة بالتصديق أو التكذيب، أو عاطفة أي: أجمعتم بين جحودها وعدم تأملها﴿ أمَّا ذا﴾ أي: أيُّ شيء ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها، وهو تبكيت إذ لم يعملوا سوى التكذيب فلا يسعهم أن يقولوا: صدّقنا بها﴿ ووقَعَ الْقَولُ عَلَيْهِمْ﴾ غشيهم العذاب الموعود وهو النار بعد ذلك﴿ بِما ظَلَمُوا﴾ بظلمهم بالتكذيب﴿ فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ بعذر لعدمه وشغلهم بالنار ﴿ أ لَمْ يَرَوا أنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ خلقناه﴿ لِيَسْكُنُوا فيهِ﴾ بالنوم والدّعة[1]﴿ والنَّهارَ مُبْصِراً﴾ أي: ليبصروا فيه فجعل حالاً مجعولاً هو عليها مبالغة﴿ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دلالات لهم على التوحيد والبعث والنبوة، إذ تعاقب النور والظلمة انما يتم بقدرة قاهر ويشبه النوم بالموت والانتباه بالبعث، ولأن من جعل ذلك لبعض مصالحهم كيف يهمل ما هو مناط جميعها من بعث رسول إليهم؟﴿ ويَومَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، أو جمع صورة﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَماوات ومَنْ فِي الأرْضِ﴾ عند النفخة الأولى فزعاً يميتهم كما في آية أخرى (فصعق) وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه﴿ إلاّ مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾ ممّن ثبّت قلبه وهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، وقيل: حملة العرش والحور والخزنة، وقيل: الشهداء، وقيل: موسى لأنه صعق مرّة

---

(١) الراحة.

وشمول الكل ممكن﴿ وَكُلٌّ﴾ آتوه إسم فاعل، حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية، أو منقادون لأمره وقرأه حفص وحمزة فعلاً﴿ داخِرِينَ﴾ صاغرين. سئل النبي (ص) عن الصور؟ فقال: قرن من نور التقمه إسرافيل، فوصف بالسعة والضيق، واختلف[١] في أن أعلاه ضيّق وأسفله واسع، أو بالعكس ولكل وجه وورد أن فيه ثقباً بعدد كل إنسان ثقبة فيها روحه﴿ وتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها﴿ وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ في السرعة وكذا الأجرام العظام إذا تحركت لا تكاد تظهر حركتها ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها، وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وهشام بالياء﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾ بالأضعاف وبأن العمل منقض والثواب دائم. وقيل: الحسنة كلمة الشهادة وخير منها أي: خير حاصل من جهتها وهو الجنّة ﴿ وهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ أريد به فوق العذاب يوم القيامة، وبالسابق فزع الهيبة اللاحق لكل أحد لهول المطّلع، ونوّنه الكوفيون ونصبوا (يوم) أي: من فزع واحد وهو خوف العذاب، وفتحه نافع على الإضافة لإضافته إلى غير متمكن، و(أمن) يعدّى بالجار وبنفسه﴿ ومَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قيل: بالشرك﴿ فَكُبَّتْ وجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ألقوا فيها منكوسين، أو عبّر بالوجوه عن ذواتهم ويقال لهم: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عن علي (ع): الحسنة: معرفة الولاية وحبّنا أهل البيت، والسيئة: إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت. ونحوه غيره﴿ قل لهم إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ أي: مكة. والإضافة للتشريف﴿ الَّذِي حَرَّمَها﴾ جعلها حَرَماً آمناً والقمي: يعني: مكة شرفها الله﴿ ولَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ خلقاً وملكاً﴿ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(١) كثيراً ما نختلف في مسائل لا ثمرة فيها. ولهذا وصلنا إلى ما نحن فيه.

﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين، أو المخلصين بالتوحيد﴿ وأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ عليكم أدعوكم إلى ما فيه، أو أتبعه﴿ فَمَنِ اهْتَدى﴾ باتباعه إيّاي: في ذلك﴿ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِه﴾ لعود نفعه إليه﴿ ومَنْ ضَلَّ﴾ بترك الإجابة﴿ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وما على الرسول إلا البلاغ، وقد بلغت﴿ وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه ﴾ على نعمة النبوة وعلى ما علمني ربي ووفقني للعمل به﴿ سَيُرِيكُمْ آياتِه﴾ إذا رجعتم إلى الدنيا ورجعوا، أو في الآخرة﴿ فَتَعْرِفُونَها﴾ يقيناً أنها آياته ولا تنفعكم المعرفة حينئذ. القمي: الآيات أمير المؤمنين والائمة (ع) إذا رجعوا إلى الدنيا يعرفهم أعداؤهم في الدنيا. قال علي (ع) : والله ما لله آية أكبر منّي﴿ وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلة عن أعمالكم. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة النمل وتفسيرها.

فهرس الكتاب

[سورة الإسراء]

الآيات(١-٧) ٥

الآيات (٨-١٧) ٨

الآيات (١٨-٢٧) ١٢

الآيات (٢٨-٣٨) ١٥

الآيات (٣٩-٤٩) ١٩

الآيات (٤٠-٥٨) ٢٣

الآيات (٥٩-٦٦) ٢٦

الآيات (٦٧-٧٥) ٢٩

الآيات (٧٦-٨٦) ٣٢

الآيات (٨٧-٩٦) ٣٦

الآيات (٩٧-١١١) ٣٩

[سورة الكهف]

الآيات (١-١٥) ٤٥

الآيات (١٦-٢٠) ٤٩

الآيات (٢١-٢٧) ٥٢

الآيات (٢٨-٣٤) ٥٦

الآيات (٣٥-٤٥) ٥٩

الآيات (٤٦-٥٣) ٦٣
الآيات (٥٤-٦١) ٦٦
الآيات (٦٢-٧٤) ٦٩
الآيات (٧٥-٨٣) ٧٢
الآيات (٨٤-٩٧) ٧٦
الآيات (٩٨-١١٠) ٧٩

[سورة مريم]

الآيات (١-١١) ٨٢
الآيات (١٢-٢٥) ٨٥
الآيات (٢٦-٣٨) ٨٨
الآيات (٣٩-٥١) ٩١
الآيات (٥٢-٦٤) ٩٤
الآيات (٦٥-٧٦) ٩٩
الآيات (٧٧-٩٨) ١٠٣

[سورة طه]

الآيات (١-١٢) ١٠٧
الآيات (١٣-٥١) ١١١
الآيات (٥٢-٦٤) ١١٨
الآيات (٦٥-٧٦) ١٢١
الآيات (٧٧-٨٧) ١٢٥

الآيات (٨٨-٩٨) ١٢٨
الآيات (٩٩-١١٣) ١٣١
الآيات (١١٤-١٢٥) ١٣٤
الآيات (١٢٦-١٣٥) ١٣٧

[سورة الأنبياء]

الآيات (١-١٠) ١٤١
الآيات (١١-٢٤) ١٤٤
الآيات (٢٥-٣٥) ١٤٧
الآيات (٣٦-٤٤) ١٥٠
الآيات (٤٥-٥٧) ١٥٣
الآيات (٥٨-٧٢) ١٥٦
الآيات (٧٣-٨١) ١٥٩
الآيات (٨٢-٩٠) ١٦١
الآيات (٩١-١٠١) ١٦٥
الآيات (١٠٢-١١٢) ١٦٧

[سورة الحج]

الآيات (١-٥) ١٧١
الآيات (٦-١٥) ١٧٤
الآيات (١٦-٣٠) ١٧٥
الآيات (٣١-٣٨) ١٨٤

الآيات (٣٩-٤٦) ١٨٨
الآيات (٤٧-٥٥) ١٩١
الآيات (٥٦-٦٤) ١٩٤
الآيات (٦٥-٧٢) ١٩٦
الآيات (٧٣-٧٨) ١٩٨

[سورة المؤمنون]

الآيات (١-١٧) ٢٠٢
الآيات (١٨-٢٧) ٢٠٥
الآيات (٢٨-٤٢) ٢٠٨
الآيات (٤٣-٥٩) ٢١١
الآيات (٦٠-٧٤) ٢١٤
الآيات (٧٥-٨٩) ٢١٨
الآيات (٩٠-١٠٤) ٢٢٠
الآيات (١٠٥-١١٨) ٢٢٤

[سورة النور]

الآيات (١-١٠) ٢٢٦
الآيات (١١-٢٠) ٢٣١
الآيات (٢١-٢٧) ٢٣٤
الآيات (٢٨-٣١) ٢٣٨
الآيات (٣٢-٣٦) ٢٤٢

الآيات (٣٧-٤٣) ٢٤٨
الآيات (٤٤-٥٣) ٢٥١
الآيات (٥٤-٥٨) ٢٥٤
الآيات (٥٩-٦١) ٢٥٨
الآيات (٦٢-٦٤) ٢٦١

[سورة الفرقان]

الآيات (١-١١) ٢٦٤
الآيات (١٢-٢٠) ٢٦٨
الآيات (٢١-٣٢) ٢٧٢
الآيات (٣٣-٤٣) ٢٧٦
الآيات (٤٤-٥٥) ٢٧٨
الآيات (٥٦-٦٧) ٢٨٣
الآيات (٦٨-٧٧) ٢٨٦

[سورة الشعراء]

الآيات (١-١٩) ٢٩٠
الآيات (٢٠-٣٩) ٢٩٣
الآيات (٤٠-٦٠) ٢٩٧
الآيات (٦١-١١١) ٣٠٠
الآيات (١١٢-١٣٦) ٣٠٦
الآيات (١٣٧-١٨٣) ٣٠٩

الآيات (١٨٤-٢٢٧) ٣١٣

[سورة النمل]

الآيات (١-١٣) ٣٢٠

الآيات (١٤-٢٢) ٣٢٣

الآيات (٢٣-٣٥) ٣٢٨

الآيات (٣٦-٤٤) ٣٣٢

الآيات (٤٥-٥٥) ٣٣٥

الآيات (٥٦-٦٣) ٣٣٨

الآيات (٦٤-٧٦) ٣٤٠

الآيات (٧٧-٩٣) ٣٤٣